الإبانة عن أصول الديانة
لأبي الحسن الأشعري

تقديم وتحقيق وتعليق

دكتورة فوقية حسين محمود
كلية البنات جامعة عين شمس ـ القاهرة

جزءان
(ج ١ ، ج ٢)

توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع البستان خلف شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣١٥٨١

حقــوق النشر محفوظة

طبعة أولى ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَآيَاتُهَا مِائَتَانِ وَثَمَانُونَ وَمَانِيَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير

ان أبا الحسن الأشعرى من الشخصيات التى نالت فى عصرنا الحاضر قدرا من الاهتمام بين الباحثين ، خاصة المستشرقين منهم ٠

ومن بين الدراسات العربية التى خصت هـذا الإمام بالبحث كتـاب : (أبو الحسن الأشـعرى) للمرحوم الدكتور حمودة غرابة(١) الذى قام أيضـا بتحقيق ونشر كتاب : (اللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبدع) للأشعرى(٢) ٠

كمـا اهتم الأسـتاذ محيى الدين عبـد الحميد بتحقيق ونشر كتـاب (مقالات الإسلاميين) للأشعرى(٣) ٠ وهناك دراسات عنـه موجزة متعددة فى كتب تاريخ الفلسفة بالعربية(٤) ٠

أما دراسات المستشرقين : فمنها ما يتناول مصنفاته بالتحقيق والدراسة ومنها ما يتعرض لآرائه وما لها من أثر فيمن جاء بعده من الأشاعرة وغيرهم ٠ ومنها ما يتضمن ترجمة لبعض رسائله وكتبه ، أو أجزاء منها ٠

فلدينا ريتر Ritter الذى قام بنشر كتاب (مقالات الإسلاميين) لأول مـرة مـع التحقيق والتقـديم له (٥) وكلاين Klein الذى ألحق

---

١ ـ ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٣ م القاهرة ـ مطبعة الرسالة بعابدين ، وظهرت طبعته الثانية ضمن مطبوعات مركز البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة ١٩٧١ م ٠

٢ ـ ظهر ضمن سـلسلة جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر مكتبـة الخانجى القاهرة سنة ١٩٥٥ م ٠

٣ ـ ظهرت هذه الطبعة بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ٠

٤ ـ توجد دراسة للسيد الدكتور جلال موسى كان قد تقدم بهـا لنيل درجة المـاجسـتير فى الآداب (تخصص فلسفة) من جامعـة الاسكندرية وعنوان البحث هو : (نشأة الأشعرية وتطورها) تحت اشراف د ٠ على سامى النشار حيث خصص جزءا منه لدراسة الأشعرى وآرائه ـ وأيضا كتاب (مذاهب الإسلاميين) للدكتور عبد الرحمن بدوى وقد جمع فيـه الكثير من المعلومات عن الأشعرى ومصنفاته ٠

٥ ـ Edition Ritter, Bibliotheca Islamica. Vol. Ia, Ib, Ic, Istamboul 1930.

بدراسته عن الأشعرى ترجمة انجليزية لجزء من كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)(٦) ثم مكارثى Mc. Carthy الذى ترجم بعض مصنفات الأشعرى الى الإنجليزية مثل (اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع) (٧) و (رسالة استحسان الخوض فى علم الكلام)(٨) التى ظهر بالبحث أخيرا أنها ليست للأشعرى(٩) وقد اهتم الأب مكارثى بكتابة مقدمة للتعريف به وبآثاره وأهم آرائه .

ثم دكتور مونتجمرى واط M. Watt. الذى كتب عن الأشعرى بدائرة المعارف الإسلامية مقالا بين فيه موقف الأشعرى ممن سبقه ولحقه من المتكلمين(١٠) .

وكذلك بروفسور توموسون(١١) W. Thomson الذى كتب مقالا بمجلة Moslem World عرض فيه آراء الأشعرى من خلال كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) .

وهناك عدد آخر من الباحثين ممن اهتموا بدراسته مثل نيبرج Nybeng(١٢) وماسينيون Massignom (١٣) ولاووست Laoust (١٤)

---

٦ — Dr. Klein. English translation of the Ibana - New Haven (U.S.A.) 1940

وقد نبهنا أعلاه الى أن الترجمة ليست للكتاب بأكمله ولكن لجزء منه

٧ — Mc. Carthy in : The theology of al-Ash'ari-Beyrouth 1953.

٨ — أنظر المرجع رقم ١

٩ — أنظر كتاب (مصنفات منسوبة لأبى الحسن الأشعرى) . بقلم دكتورة فوقية حسين محمود (تحت الطبع) .

١٠ — مقالة باللغة الإنجليزية بدائرة المعارف الإسلامية

Art. al-Ash'ari dans, E. I. (2) I, 716.

١١ — أنظر Thomson (W) al-Ash'ari and his al-Ibànah, dans Moslem World XXXII 1942. pp. 242 - 260.

١٢ — أشار اليه فى دراسته عن المعتزلة بدائرة المعارف الإسلامية .

Nyberg : art. al-Mu'tazila dans E. I. III, pp. 841 - 847.

١٣ — أشار اليه فى مقالة عن الكرامية بدائرة المعارف الإسلامية

Massignon. art. Karmates, dans E. I., II 813 - 818.

١٤ — أشار اليه فى دراساته عن الحنابلة أنظر

Laoust - Les Premières Professions de foi hanbalites, ds Melanges III, pp. 7 - 35, Damas 1957.

وأرنالديز(١٥) Arnaldez وأخيرا الأب ميشل آلار(١٦) Michel Allard الذى كتب دراسة مستفيضة عن (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى

وبعض كبار الأشاعرة) غير أن هذه الدراسات : العربى منها والأجنبى ، تناولت الأشعرى سيرة ومذهبا ، وقد أسقطت من حسبانها قيمة ابراز العناصر الإسلامية التى تدخلت فى تكوينه ، ونشأته الأولى ، وغضت النظر عن بعض حقائق ايمانية عند تحوله عن الاعتزال ، كما أغفلت حقيقة منهجه وما يمكن أن يكون قد نسب اليه من رسائل بعد تحوله عن الاعتزال ، الأمر الذى كان له أثره فى تبين الأبعاد الحقيقية لمذهبه ، خاصة وأنه حدث أن ألقيت الأضواء أولا على ثقافته المعتزلية ، الأمر الذى جعل الدارسين يعتبرونه صاحب موقف وسط بين الاعتزال والسنة ٠

واذا رجعنا الى سيرة الإمام الأشعرى نجد أنه قد عرف ، قبل اقباله على الاعتزال علوم القرآن والحديث ، فقد كان والده (حديثيا سنيا جماعيا) على نحو ما سنتبين ذلك تفصيلا بعد ، فهو من بيت علم ودين ، ولا غرابة فى ذلك وهو من سلالة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ٠

ولعل هذه الخلفية السنية ، هى التى كان لها أثرها فى أن استيقظت نفسه بعد أن مارس الاعتزال ثلاثين عاما ، فاذا به يتحول فجأة الى الحق ، الى طريقة السلف الصالح ٠

لذلك رأينا أن نعاود كتابة سيرة أبى الحسن الأشعرى ، من أجل ابراز العناصر الإسلامية فى هذه السيرة ، ونبين حقيقة المنهج الذى أراده لنفسه بعد خروجه عن الاعتزال ، ونقدم دراسة عن مصنفاته للتعريف بما نسب اليه خطأ(١٧) ، مما يعين على تخليص آرائه من الشوائب والأدران التى علقت بها خطأ ٠

وذلك تمهيدا لتحقيق الكتاب الذى بين أيدينا وهو كتابه : (الإبانة عن

---

١٥ ـ أنظر — Arnaldez : Grammaire, et theologie chez Ibn Hazm de Cordoue, Paris 1956.

١٦ ـ أنظر — Le Probleme des Attributs divins dans la doctrine d'Al ash'ari et de ses premiers Grands disciples - Beyrouth 1965.
وهو من بحوث ودراسات معهد الآداب الشرقية ٠

١٧ ـ أنظر هامش رقم ٩

أصول الديانة) . الذى لم يسبق أن حقق كاملا تحقيقا علميا على مختلف نسخه الخطية(١٨) .

هذا وانى أتقدم بالشكر لكل من عاوننى فى اخراج هـذا الكتاب ، وأبدأ بالسادة المسئولين بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، الذين تفضلوا مشكورين فصوروا لى نسختى : بلدية الاسكندرية ، ومكتبة ريفان كوشيك .

كما أشكر السادة المسئولين بالمكتبة العـامة للأزهر الشريف ، الذين سمحوا بتصوير النسخة الخطية (للإبانة) الموجودة بمكتبتهم . وأشكر السادة المسئولين بدار الكتب المصرية على تفضلهم بتصوير ما احتجت اليه من مكتبتهم خاصة النسخة الرابعة للإبانة .

وأتوجه بالشـكر للسـادة الآباء الدومينيكان بمعهد الدراسات الشرقيـة بالقـاهرة الذين تفضلوا فسمحوا لى بالتردد على مكتبـة المعهد للاطلاع على الدراسات الأجنبية التى قامت حول الأشعرى . وكذلك السادة المسئولين بمكتبتى جامعة عين شمس والقاهرة على ما قاموا به من جهـد لتيسير مختلف المراجع التى احتجت اليها فى التقديم لهذا الكتاب وتحقيقه والتعليق عليه .

ولا يفوتنى أن أشكر السـادة الذين قاموا بطبع الكتـاب على تعاونهم الصادق فى اخراجه رغم صعوبة الظروف التى تم فيها هـذا الطبع .

والله الموفق الى ما فيه خير المسلمين أجمعين ،،

مصر الجديدة { ١٣٩٦/١٠/٢٨ / ١٩٧٦/١٠/٢٢

فوقية حسين محمود

---

١٨ ـ لكتاب الإبانة عدة طبعات بدون تحقيق علمى :

(ا) الأولى بمطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند سـنة ١٣٢١ هـ بآخرها فهارس وضميمتان تتعلقان بمـا جاء فى صفحة ٣٥ منها لمولاى محمد على عنايت الحيدر أبادى .

(ب) والثانية بالمطبعة المنيرية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

(جـ) والثالثة بمطبعة الجمل المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ (هـذا ما وصل الى علمى عن نسخها الخطية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرة أبى الحسن الأشعرى

اسمه : هو على(١٩) بن اسماعيل بن أبى بشر(٢٠) اسحق بن سالم

---

١٩ ـ (الفهرست) : لابن النديم ص ١٨١ ـ (تاريخ بغداد) : لابن الخطيب م ١١ ص ٣٤٦ ـ (تبيين كذب المفترى) : لابن عساكر ص ٣٤ وما بعدها ـ (رسالة البيهقى) : أنظر ص ١٠٢ من (تبيين كذب المفترى) ـ (شذرات الذهب) : لابن العماد ج ٢ ص ٣٠٣ ـ (المشتبه فى أسماء الرجال) : للذهبى ج ١ ص ٢٦ ـ (طبقات الشافعية الكبرى) : للسبكى ج ٢ ص ٢٤ وفى الطبعة الحديثة تحقيق الأستاذ محمود الطناحى والدكتور عبد الفتاح الحلو ج ٣ ص ٣٤٧ ـ (وفيات الأعيان) لابن خلكان : ج ١ ص ٣٢٦ ـ (البداية والنهاية) : لابن كثير ج ١١ ص ١٨٧ ـ (الخطط) : للمقريزى ج ٣ ص ٣٠٧ ـ (جلاء العينين) : للألوسى ص ١٣٢ ـ (دمية القصر وعصرة أهل العصر) : للباخرزى ٠

هذه هى أبرز المصادر القديمة فى سيرته ٠ [ثم أنظر بعد ذلك كتاب (تاريخ الآداب العربية) لبروكلمان الطبعة الثانية ليدن ١٩٤٩ ملحق ١ ص ٢٢٧ ، وملحق ٣ ص ٣٤٥ ـ (تاريخ التراث العربى) لفؤاد سزجين ٠ ص ٦٠٢] ٠

ومن أوفى المصادر القديمة كتاب (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٩٥ م) وان كان ليس أقدمها ـ فهناك كتاب (الفهرست) : لابن النديم (ت ٣٧٩ هـ / ٩٨٧ م) و (تاريخ بغداد) : للبغدادى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) ٠ ويهاجم بعض الباحثين المحدثين كتاب ابن عساكر ، على اعتبار أن مؤلفه قد ذكر مناقب أبى الحسن ، كما اعتمد فى تفسير بعض الأحداث ، مثل تحول أبى الحسن عن الاعتزال ، على الرؤى ، وهو مالا يتفق والأسلوب العلمى فى رأيهم ٠ فقد صرح الدكتور حمودة غرابة بأن الكتاب : (ملىء بالبشارات ، والرؤىوالأشعار) [أنظر صفحة ٤ منكتابه (الأشعرى)=

ابن اسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة بن موسى الأشعرى • وكنيته : (أبو الحسن)(٢١) •

وقد قيل : (الأشعرى) من (أشعر) ، وقيـل : (انما سمى أشعر ، لأن أمه ولدته وهو أشـعر)(٢٢) • والأشعر من أولاد سـبأ الذين كانوا

= القاهرة ١٩٥٣ طبعـة أولى] • وسار على منـواله الدكتور جلال موسى فى بحثه (نشأة الأشعرية وتطورها) (تحت الطبع) وكذلك الأب آلار فى كتابه : (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض كبار الأشاعرة) • طبعة المكتبة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٥ من بحوث ودراسات معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان •

Le Probleme des Attributs Divins dans La Doctrine d'Al-Asha'ari et de ses premiers grands disciples. Par Pere Michel Allard - Beyrouth 1965.

[أنظر صفحة ٣١ من هـذا المرجع] كما ذكر أن سند بعض الأخبار لديه ضعيف خاصة وأنه يكتب عن الأشعرى بعد فترة تزيد على مائتين سنة [نفس المرجع السابق] • وانى أرى أن ابن عساكر مؤرخ له قدره ومكانته فى مجال التأريخ ، وأنه اذا كان قد حرص على ذكر مناقب الأشـعرى ، فلأنه كان بصدد الردّ على المفترين على هـذا الإمام ، أما اعتماده على الرؤى ، فيجب أن نتبين أنهـا ليست رؤى عادية ، وانما هى رؤى تحدث فيها النبى صلى الله عليه وسلم مع النائم وهو أبى الحسن الأشعرى [أنظر تفصيل ذلك فى هذا التقديم بعد] •

٢٠ ـ ذكر الأهوازى [ت ٤٤٦ هـ / ١٠٥٥ م] وهو من الحشوية ، وصاحب كتاب : (مثالب أبى بشر الأشعرى) أن أباه هو أبو بشر وليس جده ، ويصحح ابن عسـاكر ذلك فيقول : (والصـحيح أن أبا بشر جده) [أنظر تبيين كذب المفترى ص٣٥] وهو ما يتفق مع ما ورد فى المصدرين السابقين على (التبيين) وهما (الفهرست) لابن النـديم ص ١٨١ (وتاريخ بغـداد) للخطيب البغـدادى م ١١ ص ٣٤٦ ـ ويذكر له ابن عساكر اسم كتاب هو : (البيان فى شرح عقود الإمام) [التبيين ص ٣٦٩] ويوجـد لـكتابه (مثالب أبى بشر) نسـخة بمكتبـة الظاهرية تحت رقم ٤٥٢١ (عام) أنظر تاريخ الآداب العربية لبروكلمان ملحق ١ ص ٧٢٠

٢١ ـ أنظر هامش ١ من هذا التقديم •

٢٢ ـ الأنساب : للسمعانى ص ١٣٩ ـ جلاء العينين للألوسى ص ١٣٢ ـ نهاية الأرب للقلقشندى : ص ٤١

باليمن ، ثم لما بعث النبى (صلى الله عليه وسلم) · هاجر رهط منهم ، وعلى رأسهم أبو موسى الأشعرى الى أرض الحبشة ، وأقاموا مع جعفر ابن أبى طالب (رضى الله عنه) ، حتى قدموا جميعا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بغية التعرف على دين الله الحنيف واشهار اسلامهم · ومما يستحق الذكر عن هؤلاء القوم أنهم لما اقتربوا من المدينة صاروا يرددون : (غدا نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه)(٢٣) · هؤلاء هم قوم (أبى الحسن) أصلا وهذا هو شعورهم نحو الإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام ·

وقد حاول بعض المفترين ادعاء أن نسبته الى أبى موسى الأشعرى الذى جاء مع قومه ليلقى الرسول عليه الصلاة والسلام(٢٤) ، غير صحيحة ، ولكن ابن عساكر يكذب هذه الفرية ، ويذكر أن الناس (قد أجمعوا على ذلك ، يقصد من سبقه من المؤرخين ، وأصحاب كتب الأنساب(٢٥) ، والمشهورين من أهل العلم جميعا · خاصة وأن أجداد (أبى الحسن) من أحفاد (أبى موسى) كانوا من مشاهير القوم ، وآلت اليهم أمور حكم المسلمين(٢٦) ·

فليس هناك ما يدعو الى تكذيب هذا النسب ، (فأبو الحسن) من سلالة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ·

---

٢٣ ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ٤٦

٢٤ ـ نفس المرجع السابق ص ٣٥

٢٥ ـ الاستيعاب : لأبى عمر بن عبد البر ص ٩٧٩ باب الأسماء ـ أنظر أيضا باب (الكنى) ق ٤ ص ١٧٦٢ (نسب أبى موسى جده) ·

٢٦ ـ أنظر طبقات الشافعية للسبكى ج ٤ ص ٣٥١ تحقيق الأستاذ محمود الطناحى ـ د · عبد الفتاح الحلو ، ومن الباحثين المحدثين الذين اهتموا بالحديث عن أسرة أبى الحسن من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية · الأب آلار · اذ أشار الى جهود أبى موسى فى الفتوح الإسلامية وما كان له ولأحفاده بعد ذلك من مساهمة فى الاحتفاظ بما حصلوا عليه من ممتلكات · [أنظر صفحة ٢٩ من كتابه (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض كبار الأشعرية ـ طبعة بيروت ١٩٦٥] ويلاحظ أن اشارته هذه لا تعرف تعريفا صحيحا واضحا بحقيقة مكانة أبى موسى الأشعرى وجهاده وتضحيته بالروح والمال والبنين فى سبيل نصرة الإسلام · [أنظر فى فضل هذا الصحابى الجليل (العلم الشامخ) للمقبلى ص ٣٢٣ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧٦ ـ ٧٨ من طبعة (كتاب التحرير) بالقاهرة ـ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٦٢ ، ٣٦٤] ·

ثم ينسبه بعض الناس الى البصرة(٢٧) فقد قيل عنه انه (البصرى)(٢٨) ٠ وهذه النسبة ترجع الى مولده ، فقد ورد أنه من أهل البصرة ، حيث كانت ضيعته وكان أهل بيته على نحو ما سيتبين لنا بعد ٠

---

٢٧ ـ البصرة : تقع على بعد ٣٠٠ ميل جنوب شرقى بغداد ، يمر بها نهرا دجلة والفرات ويذكر فى كتب التاريخ أن الذى أسس مدينة البصرة عتبة بن غزوان سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ م بأمر الخليفة فى ذلك الوقت و (البصرة) تعنى (الحجر الأبيض) لأن الأرض التى شيدت عليها من الحجر الأبيض وقد بنى بها الصحابى أبو موسى الأشعرى مسجدا من اللبن المجفف بأشعة الشمس وأعيد بناؤه بعد ذلك من اللبن المحروق والبصرة من المدن التى قامت بها فتن عديدة خاصة فتن الخوارج الذين كثرت دسائسهم ، فكانت مثل الكوفة مرتعا خصبا للحروب الأهلية ٠

وقد بلغت البصرة أوج ازدهارها زمن العباسيين فى حياتها الاقتصادية والتجارية والثقافية ٠ وتقدمت الحياة العقلية وزاد اهتمام الناس بالمكتبات العامة والمساجد ، وظهرت المساجلات فى النحو وفى غير النحو من العلوم المتعلقة بالعربية وبالدين الحنيف وكانت المنافسة ظاهرة بين البصرة والكوفة ٠ ومن الفقهاء الذين ظهروا فى البصرة : أبو موسى الأشعرى ، والحسن البصرى ٠ ثم تحدثنا كتب التاريخ أن أحرار الفكر خاصة أيام الدولة العباسية كانوا يلتقون فى هذه المدينة فقد عاش فيها اخوان الصفا ، الذين كانوا يتدارسون مسائل عدة ـ وظهرت فرق كلامية متعددة من جهمية ومرجئة وشيعة وخوارج ، الذين أجهدوا الناس بما كانوا يثيرونه من فتن على الدوام ٠ كما كان هناك المشبهة من كرامية وغيرهم ٠ وكان لكل فرقة من هذه الفرق مسائل عدة أثيرت فى الأمور الغيبية ٠ وكان لأسرة أبى الحسن الأشعرى شأنها فى هذه المدينة ٠ وقد نشأ فيها وعرف هذا الجو من الآراء المتضاربة ٠

غير أن الحال الثقافية ، اضمحلت بعد فترة ظهور القرامطة فى الأفق الذين كانوا يغيرون على مدن العراق ينهبونها وبقوا يمثلون خطرا دائما على العراق لفترة طويلة [أنظر لمزيد من التفاصيل : معجم الأدباء لياقوت جـ ١ صفحة ٦٣٦ ، ٦٥٣ وابن بطوطة ـ جـ ٢ من صفحة ٨ الى ١٦ ، البلاذرى الذى أكثر من الكلام عن البصرة فى مختلف نواحى حياتها [أنظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية م ٣ ـ ٦٦٦ ـ ٦٧٢ ٠ نقلها الى العربية د ٠ محمد ثابت الفندى وآخرون] ٠

٢٨ ـ الطبقات الشافعية الكبرى : للسبكى جـ ٢ ص ٢٤٥ وفى الطبعة الحديثة جـ ٣ ص ٣٤٧

أما من لقبه : فقد ورد أنه لقب بـ (ناصر الدين) : فقد نودى على جنازته(٢٩) بذلك ٠

أما فيما يتعلق بمولده ، فلم يظهر خلاف بين المؤرخين حول مكان مولده فقد أجمعوا على أن مسقط رأسه هو البصرة(٣٠) ولكنهم اختلفوا فيما يتعلق بتاريخ المولد ٠

فبينما نجد ابن عساكر يقدم لنا رواية أبى بكر الوزان(٣١) بشأن تاريخ مولده على أنها صحيحة ، وهى التى تحدد تاريخ مولده بسنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٥ م ، نجد ابن خلكان فى (وفيات الأعيان)(٣٢) ، وابن الأثير فى (اللباب)(٣٣) يحددان سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٥ م تاريخا لمولده ، كما ورد فى (الخطط) للمقريزى(٣٤) أنه ولد سنة ٢٦٦ هـ/٨٨١ م ٠

غير أن ابن عساكر من بين هؤلاء جميعا هو الذى يناقش هذا الاختلاف(٣٥) الأمر الذى يجعلنا نركن باطمئنان أكثر الى رأيه ، خاصة وأنه يتفق مع ما ورد من تفاصيل تخص تاريخ تحوله عن الاعتزال ومقدار عمره حينذاك ، اذ قيل ان هذا التحول قد وقع سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٥ م(٣٦) وكان له من العمر

---

٢٩ ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ٣٥ ، ص ١٢٧

٣٠ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٤٦ وأيضا أنظر مصادر سيرته (هامش ١ من هذا التقديم) ٠

٣١ ـ ورد هذا بصفحة ٣٥ من كتاب تبيين كذب المفترى ٠

٣٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ٣٤٦

٣٣ ـ اللباب : لابن الأثير جـ ١ ص ٥٢

٣٤ ـ الخطط : للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠٣

٣٥ ـ يلاحظ أن ابن عساكر لا يقبل كل ما يرد عند من ينقل عنهم من أمثال الوزان وغيره ، اذ أنه يوافقه على تاريخ مولد أبى الحسن وذلك طبعا بعد تحقق يليق ويتفق وموقف ابن عساكر كمؤرخ له مكانته ويخالفه فيما يتلعق بتاريخ الوفاة ٠ [أنظر مثلا ص ١٤٦ ، ١٤٧ من كتاب تبيين كذب المفترى] ٠

٣٦ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٥٦ ـ أنظر أيضا طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٣٤٧ (الطبعة الحديثة) تحقيق الأستاذين محمود الطناحى ود٠ عبد الفتاح الحلو ٠

٤٠ عاما(٣٧) . فيكون تاريخ مولده هو سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٥ م .

بيئتـــه الخـاصة :

لم تقدم لنـا المصادر فيما يتعلق ببيئته الخاصة سوى النذر القليل(٣٨) ، اذ لم يرد عن والده : اسماعيل بن أبى بشر اسحق ... سوى أنه كان (سنية جماعيا ، حديثيا) وقال ابن فورك [ت ٤٠٦ هـ / ١٠٢١ م] أنه أوصى عند

---

٣٧ – نفس المرجع السابق – وهذا ما ينتهى اليه أيضا الأب آلار Allard فى كتابه (مشكلة الصفات الإلهية فى مذهب الأشعرى وأوائل كبـار الأشعرية) . Le Probleme des Attributs divins dans la doctrine d'al-ash'ari et de ses premiers Grands, dis ciples - Beyrouth 1965 — p. 28.

حيث نجده يعتمد على رأى المستشرق ريتر Ritter فى تقديمـه لكتاب (مقالات الإسلاميين) بالنسبة لتأريخ تصنيف هـذا الـكتاب وما ورد به من أحداث استطاع أن يؤرخ بعضها (نفس المرجع السابق) .

ومما هو جدير بالذكر أن فؤاد سزجين فى كتـاب (تاريخ التراث العربى) عن بروكلمان جـ ١ ص ٢٠٧ يقول : (ويقال ان أول مرة هجر فيها حلقته [يقصد الجبائى] كانت فى رمضان سنة ٢٨٠ هـ / ٩١٢ م) ولم يذكر من أين استقى معلوماته عن هـذا التاريخ اذ لم نقع فيما ذكر من مصادر على هـذا التحديد . وأغلب الظن أنه حـدث هنـا سهو فى تسجيل التاريخ الهجرى لأن ما يقابله من تاريخ ميلادى أقرب الى سنة ٣٠٠ هـ منه الى سنة ٢٨٠ هـ . واذا كان ما ذكره فؤاد سزجين صحيحا فأغلب الظن أننا هنا ازاء محاولة أولى من قبل الأشعرى للتخلص من الاعتزال ، وسيادته يشير فعلا الى أنها محاولة أولى . ويكون الخروج عن الاعتزال لم يكن فجأة وانما كانت له بوادره عشرين سنة قبل حدوثه وهو ما يتفق وحقيقة تحول خطير كهذا [أنظر صفحة ١٥ وما بعـدها من الدراسة] .

٣٨ – ربمـا يرجع ذلك الى أن المؤرخين القدامى ، قد رأوا فى عدم التعرض تفصيلا لمعالم سيرته مصلحة وذلك بابعاد ما كان من أمره مع المعتزلة عن جمهور المسلمين الذين أصبحو يرون فى أبى الحسن الأشعرى منقذا أخذ بيدهم من عثرات الخوض فى عقليات المعتزلة ، خاصة وأنه ظهر جرحه لذلك . [أنظر (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ٩٣ : (مثالب أبى الحسن الأشعرى) للأهوازى – وأيضا (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) لابن الجوزى جـ ٣ ص ٣٣٢] .

وفاته الى زكريا بن يحيى الساجى رحمه الله (٣٩) [ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م] ٠

غير أن هـذا النذر القليل يلقى بعض الضـوء على النشـأة الأولى لأبى الحسن ، اذ من الواضح أن هـذا الوالد كان على عقائد أهل السنة والجماعة ٠ فقد ورد أنه كان : (سنيا ، جماعيا ٠٠٠) بل كان من العارفين بعلوم الحديث ، وهو ما يزيد من قدره كرجل علم ينتمى الى جماعة المحدثين ٠

ولا غرابة فى هـذا وهو من أسرة اشتهرت بين العـرب بالصـلاح والتقوى ، فهو من سلالة الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى ، الذى انفتح قلبه للإسلام ، من قبل ملاقاته للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ فصار يردد هو وقومه : (غدا نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه) كمـا سبق وأشرنا الى ذلك ٠ ومما يزيد من قدر هذه الأسرة أنه كان لهذا الجد الأكبر مكانته عنـد النبى صلى الله عليه وسلم ٠ فقد قال ، عليه الصـلاة والسلام ، فيه ، وفى قومه الأحاديث ، ودعا لهم(٤٠) ٠ وكان لأولاد أبى موسى بعد ذلك ، وأحفاده فضل

---

٣٩ — (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ٣٥ — والساجى : هو زكريا ابن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر بن عدى ابن عبد الرحمن البصرى ، أبو يحيى الساجى ، الحافظ ٠ يقول عنه السبكى : انه من الثقات الأئمة ، رحل الى الكوفة والحجاز ومصر ، وله من المصنفات (اختلاف الفقهاء) و (اختلاف الحديث) وهو ما سماه الذهبى (بالعلل) على حدّ قول السبكى ، كما له مصنف فى الفقه والخلافيات : سماه (أصول الفقه) ويقول السبكى ان أبا الحسن قد روى عنه ، كمـا يقول نقلا عن الذهبى : انه أخذ عنه مذهب أهل الحديث [أنظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٣ ص ٢٩٩ (الطبعـة الحديثة) أنظر أيضا الهـامش الذى أثبتـه المحققان بنفس الصفحة] ٠

٤٠ — جاء أنه عندما تليت الآية الـكريمة (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) [من آية ٥٤/٥] وكان أبو موسى حاضرا ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هم قومك يا أبا موسى ، أهل اليمن) [رواه البخارى ومسلم] كما قال عليه الصلاة والسلام : (الإيمان يمان ، والحكمة يمانيـة) وقال : (أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة واليّن قلوبا) [رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ٠ [التبيين : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٩١ ، ١٠٤ وهناك أحاديث أخرى كثيرة فى أهل اليمن — أنظر التبيين : ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ — ثم أنظر الطبقات للسبكى جـ ٣ ص ٣٦٢ (الطبعة الحديثة] كما ورد أنه لمـا رمى أبو عامر بسهم فى رُكبته وكان أبو موسى برفقته ، طلب وهو يلفظ أنفاسه =

رعاية أمور المسلمين(٤١) بالعدل والتقوى وخشية الله ، عاملين بما أنزل سبحانه من أحكام فى الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ٠

فوالد (أبى الحسن) من أهل السنة والجماعة ، ويكون بالتالى قد أراد لولده ما أراده لنفسه ، وهذا ما ظهر فيما أوصى به عند وفاته الى زكريا بن يحيى الساجى رحمه الله ٠

والشيخ الساجى كما تبينا(٤٢) من كبار رجال أهل السنة فهو امام من أئمة الحديث والفقه وأصوله ٠

فاذا أردنا أن نتعرف على أثر هذا الوالد فى ولده ، فيكون ذلك فيما تكشف عنه هذه الوصية من أنه كان يريد لابنه ثقافة سنية حديثية ، تبعد عن رأى الفرق الخاصة وتأخذ برأى الجماعة ٠

فالى أى حدٍّ ، وعلى أى وجه تم تحقيق هذه الوصية ؟

مما لاشك فيه أن الوالد قد توفى و (أبو الحسن) ما زال فى سن تلقى دروسه الأولى : من اتقان القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن ٠٠٠

غير أن من تكفل به بعد وفاة والده ، وأغلب الظن أنه كبير من أسرته ، قد نفذ وصية الوالد بدليل أنه اتجه نحو تلقى ثقافة اسلامية أصيلة ، اذ لم يقف الأمر عند حدٍّ الساجى ، بل نراه قد سمع(٤٣) أيضا على

= الأخيرة أن يطلب من النبى صلى الله عليه وسلم ، عند لقائه أن يستغفر له ، ففعل واستغفر له النبى عليه الصلاة والسلام ولأبى موسى الأشعرى ودعا لهما [التبيين ص ٦٣] أنظر فى فضل أبى موسى (العلم الشامخ) للمقبلى ص ٣٢٣ ـ (الطبقات الكبر) لابن سعد ج ٨ ص ٧٦ ، ٧٧ (كتاب التحرير) (تهذيب التهذيب) ٥ : ٣٦٢ ـ المعارف لابن قتيبة ص ٤٩

٤١ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر من صفحة ٧٠ الى ٩١

٤٢ ـ أنظر هامش رقم ١٨

٤٣ ـ الخطط للمقريزى ج ٣ ص ٣٠٣ ـ انظر أيضا : طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ ص ٣٥٥ من الطبعة الحديثة (تحقيق الأستاذ محمود الطناحى ـ و د ٠ عبد الفتاح الحلو) ٠

أبى خليفة الجمحى(٤٤) وسهل بن نوح(٤٥) ، ومحمد بن يعقوب المعبرى(٤٦) ، وعبد الرحمن بن خلف الضبى(٤٧) ٠

وهؤلاء جميعا من المحدثين ، وقد روى عنهم أبو الحسن فى تفسيره ، الأمر الذى يجعلنا نتبين أنه تلقى فى مستهل حياته ثقافة قرآنية حديثية واسعة ٠

كما ورد أنه كان يتفقه على أبى اسحق المروزى(٤٨) ٠ وهو من كبار رجال الفقه ، اذ كان يجلس أيام الجمعات فى حلقته ٠ بجامع المنصور(٤٩) ٠

فهو اذن قد حصل العلوم الإسلامية من ينابيعها السنية ، فقد حفظ القرآن والحديث ، وأتقن علومهما ، ودرس الفقه وأصوله ، وعلوم اللغة ، وأصول التفسير ، وبرع فى ذلك كله ٠

وتكون بيئته الخاصة ، بفضل توجيه والده ، قبل وفاته ، قد كان لها الأثر كل الأثر فى تلقيه العلوم الدينية على أيدى كبار رجال الدين من أئمة أهل السنة فى ذلك الحين ٠

هذا فيما يتعلق بالقرآن والحديث والفقه وأصوله ٠

أما فيما يتعلق بالعقائد ، فقد كان من الطبيعى ٠ وهذه هى أجواء بيئته

---

٤٤ ـ وهو عبد الرحمن بن عبد السلام الجمحى [ت ٣٠٣ هـ / ٩٣٨ م] وقد روى عنه أبو الحسن الأشعرى فى تفسيره [أنظر الطبقات الشافعية جـ ٣ ص ٢٦٤ ـ الطبعة الحديثة] ٠

٤٥ ـ يذكر أنه روى عنه (أبو الحسن) وذكره فى تفسيره وأنه كان (بصريا) [نفس المرجع السابق ص ٣٥٥] ٠

٤٦ ـ روى أيضا عنه أبو الحسن فى تفسيره ٠ [نفس المرجع السابق] ٠

٤٧ ـ والأمر بالمثل بالنسبة للضبى فهو من الذين روى عنهم الأشعرى ٠ [نفس المرجع السابق أنظر أيضا : تهذيب التهذيب ٦/١٠٤] ٠

٤٨ ـ هو ابراهيم بن أحمد (أبو اسحق) تخرج عليه كثيرون من أهل عصره فى الفقه وأصوله وقد توفى سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ ـ ٩٥٢ م ـ [أنظر لمزيد من التفاصيل ، (وفيات الأعيان) لابن خلكان جـ ١ ص ٧ ، ٨ ـ أيضا (تاريخ بغداد) لابن الخطيب م ٦ ترجمة رقم ٣٠٤٠

٤٩ ـ تبيين كذب المفترى ٠ لابن عساكر ص ٣٥

الخاصة أن يتجه الى الأخذ بآراء المحدثين والفقهاء فيها ، ولكن يبدو انه قد دخل هذه البيئة الخاصة عنصر ، لم يكن (فى الحسبان ، وهو زواج أمه من أحد كبار رجال الاعتزال فى ذلك الحين وهو أبو على الجبائى)(٥٠) [ت ٣٠٣ هـ ٩١٨ م] ، فقد ورد هـذا الخبر فى بعض المراجع المتأخرة مثل (الخطط) للمقريزى(٥١) [ت ٨٤٥ هـ / ١٥٦٠ م] و (جلاء العينين)(٥٢) للألوسى (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٩٦ م) .

وليس هناك ما يمنع صحة هـذه الواقعة ، خاصة وأنه ما ورد من أخبار عن صلة (أبى الحسن) بالجبائى تشير الى أنه بقى بجواره ثلاثين عاما ، حتى تاريخ تحوله عنـه(٥٣) ، سـنة ٣٠٠ هـ/٩١٥ م . معنى هذا أنه ، أى (أبا الحسن) قد شرع فى تتبع آراء الجبائى ، الكلامية وهو فى سن العاشرة ، اذ سبق أن انتهينا الى أنه قد ولد سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٥ م(٥٤) .

فارتباطه به منذ هـذه السن المبكرة ، يرجح وجود هذه العلاقة الأسرية بين أبى الحسن والجبائى ، وان كان يجوز أيضا ألا تكون الأمور كذلك ، ويكون ارتباطه المبكر بالجبائى ، وبقاؤه بجواره طوال هذه الفترة يرجع الى انبهاره بأساليبه العقلية فى تناول العقائد ، وفى كلتا الحالتين ، فقـد بدأ (أبو الحسن) صقله الذهنى فى الكلاميات على الجبائى ومدرسته مبكرا ، ممـا هيأه الى اتقان أساليبهم وضبط ردوده عليهم ، أى على أهل الاعتزال فيما بعـد .

---

٥٠ ـ هو أبو على بن عبد الوهاب بن سالم ، ولد فى (جبّا) فى الخورستان سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٨ م ولذا فهو ينسب اليها ثم جاء الى البصرة ، وتتلمذ للشحام ثم ذهب الى بغداد . وهو من كبار رجال الاعتزال ، ولمـا مات دفنه ابنه أبو هشام [ت ٣٢١ هـ / ٩٣٢ م] فى جبّا وكان ذلك سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٨ م ـ ألف كتابا فى الأصول ونقد ابن الراوندى الملحد ، كما يقال انه كتب تفسيرا للقرآن بلغة أهل (جبّا) وكتب حوالى أربعين ألف ورقة فى الكلام . [أنظر كتاب (التنبيه) للملطى ص٣٢ ـ و (تاريخ بغداد) جامعة القاهرة سنة ١٩٣١ جـ ٦ ص ٩٧] .

٥١ ـ الخطط للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠٣

٥٢ ـ جلاء العينين للألوسى ص ١٣٢

٥٣ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٣٩ ، ٥٦ ، ٩١ ـ وأيضا طبقـات الشافعية للسبكى جـ ٣ من صفحة ٣٤٧ الى ٣٤٩ من الطبعة الحديثة) .

٥٤ ـ أنظر صفحة ٤ من هذه الدراسة .

للشحام ثم ذهب الى بغداد . وهو من كبار رجال الاعتزال ولمـا مات

ويبدو أنه كان يعيش بعد وفاة والده ، من ريع ضيعة وقفها جده بلال ابن أبى بردة على عقبة(٥٥) · فقد قال خادمة بندار بن الحسين(٥٦) ، وهو من الصوفية الواصلين ، (وكانت نفقته فى كل سنة سبعة عشر درهما)(٥٧) من غلة هذه الضيعة ·

فاذا كان لبيئة أبى الحسن الخاصة أثر فى حياته ، فيمكننا أن نقول : انه ، وهو العقل المتقد ، والنفس الوثابة ، والقلب المتفتح الى التحقق برضى الله تعالى ، قد عرف ، عندما قرب من الأربعين ، كيف يعزف عن أقوال أهل الزيغ والبدع ، ويأخذ من العلوم التى زاولها بالقدر الذى يخدم به عقائد المسلمين أجمعين ، ويعتمد فى موقفه الجديد(٥٨) على أصول السلف الصالح التى لم يحد عنها من بعد ، على نحو ما سنتبين ذلك عند دراسة منهجه ، واستطاع فى الوقت نفسه ، استجابة لمقتضيات عقول الناس فى ذلك الحين ، أن يستعين بالعقل ، ويقدم وجبة دسمة من الأقوال لأهل عصره · مع الحرص على اعطاء مكان الصدارة والأولوية للنص المنزّل ، وهو ما جعله ملتزما بموقف السلف ، لأن معالم الوقفات تكون فى أصولها ، على نحو ما سيتبين لنا ذلك بعد ، عند دراسة منهجه ·

---

٥٥ ـ تبيين كذب المفترى ـ لابن عساكر ص ١٤٢ ـ أنظر هامش رقم ٢٦ من هذا التقديم ·

٥٦ ـ هو بندار بن الحسين بن المهلّب ، ، الشيرازى (أبو الحسين الصوفى) سكن أرّجان ، قال السلمى : (كان عالما بالأصول ، له اللسان) المشهور فى علم الحقيقة ، وكان الشبلى يكرمه ويقدمه ، وكان يصوّب أقاويل المشايخ ، وقال فيه الخطيب : (كان بندار من أهل الفضل المميّزين بالمعرفة ، والعلم وقد توفى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٨٨ م [أنظر لمزيد من التفاصيل ـ حلية الأولياء ج ١٠ ص ٣٨٥ ـ الطبقات للشعرانى ج ١ ص ١٠٣ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٣ ص٢٣٨ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٧٩ ـ الطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٣ صفحة ٢٢٤ (الطبعة الحديثة)] ·

٥٧ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٤٢

٥٨ ـ لقد خرج أبو الحسن الأشعرى وهو فى سن الأربعين على الاعتزال ، على نحو ما سنتبين ذلك تفصيلا بعد ·

اما فيما يتعلق ببيئته العامة :

فلقد عاش أبو الحسن الأشعرى فيما بين عامى ٢٦٠ هـ ، ٣٢٤ هـ /=٦٤ ٨٧٥ م ، ٩٣٩ م(٥٩) أى فى الشطر الأخير من القرن الثالث الهجرى والربع الأول من القرن الرابع ٠

وهـذه فترة ، كمـا نعلم ، تقع فى أواخر أيام الدولة العباسية ، حيث كثر توالى الخلفاء لعدم استتباب أمور الحكم لهم ، وظهرت دويلات صغيرة : كالدولة السامانية سنة ٢٦١ هـ/٨٧٦ م ، والدولة البويهية أو دولة بنى بويه سنة ٣١٠ هـ/٩٢٥ م ، ودولة الحمدانيين سـنة ٣١٧/٩٣٢ م ، وغير هـذه وتلك من الدول التى ظهرت بمصر وغيرها (٦٠) ٠ وقد بقيت هـذه الدول ، رغم استقلالها ، على اظهار ولائها للخليفة العباسى السنى ، تثبيتا لاتجاهها السنى من جهة ، ومن جهة أخرى خشية أن يسيطر عليها الخليفة الفاطمى ويتولى الخلافة على المسلمين وقد كانت الدولة الفاطمية حينئذ فى عنفوانها ، وكان اتجاهها شيعيا(٦١) ٠

ولا يخفى ما يمكن أن يكون لتزعزع السلطة الحاكمة من أثر فى العقائد ، لما بين الحال السياسية ، والحال الدينية من صلة وثيقة ، تختلف آثارها ، بالنسبة لسيادة آراء الفرق باختلاف قوتها ، فقد كان من أثر ضعف السلطة الحاكمة فى ذلك الحين أن زاد تراشق الفرق بالألفاظ ، عن علم أو عن غير علم ، واختفت سيطرة الفرقة الواحدة الغالبة ، وكانت فى الزمن الذى يسبق هـذه الفترة ، فرقة المعتزلة ، التى حظيت بتقـدير كبـار خلفـاء العبـاسيين لفترة طويلة : اذ لا يغيب عنـا أن أبا جعفر المنصور [ت ١٥٨ هـ/٧٧٣ م] قد اهتم

---

٥٩ ـصفحتى ٩ ، ١٠ من هـذا التقديم ٠

٦٠ ـ أنظر : البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ، جـ ١٢ ، وأيضا : الكامل لابن الأثير جـ ٢ ، جـ ٣ وجلاء العينين للألوسى ص ١٣٣ (عن القرامطة المنسوبين للحمدانيين) ٠

٦١ ـ ظهرت دولة الفاطميين فى المغرب العربى ، وكانوا يعتبرون أنفسهم من أولاد على ، ولم يلتزموا الاتجاه السنى الخالص وكان قيامهم حوالى سنة ٢٩٧ هـ/٩١٢ م (أنظر : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٤ ، جـ ٥ ، وأيضا : البداية والنهـاية جـ ١١ ، جـ ١٢ ، والـكامل لابن الأثير جـ ٢ ، جـ ٣) ٠

بالاعتزال لما كان بينه وبين عمرو بن عبيد(٦٢) المعتزلى من صلات صداقة ، ثم اذا كان المهدى من بعده [ت ١٥٨ هـ ـ ١٦٩ هـ/٧٧٣ م ـ ٧٨٤ م] لم يشجع بصفة عامة من يخالط رأيه شبه تمس الدين ، فقد عاد المعتزلة الى رفع رؤوسهم من جديد فى عصر الرشيد [١٧٠ هـ ، ١٩٣ هـ/٧٨٥ م ، ٨٠٨ م] ثم لما جاء عصر المأمون [١٩٨ هـ ، ٢١٨ هـ/٨١٣ م ، ٨٣٣ م] زاد ظهورهم اذ كان عصره عصر قوة بالنسبة لهم ، وقد حادوا فى ذلك الوقت عن سبيل التروّى ، وهاجوا وماجوا وأخذوا يسائلون كبار الأئمة فى مسائل تمس العقائد ، وكانت محنة الفقهاء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل [ت ٢٤١ هـ/ ٨٥٦ م] واستمر موقفهم هذا فى عصر كلٍّ من المعتصم [ت ٢٢٧ هـ/٨٤١ م] والواثق [ت ٢٣٢ هـ/٨٤٦ م] حتى جاء المتوكل [ت ٢٤٧ هـ/٨٦١ م](٦٣) فرفع المحنة عن الأئمة وردّ لأهل السنة اعتبارهم فقلت سيطرة الاعتزال ، وان بقى رجاله يواصلون مواقفهم الموغلة فى الجدل العقلى المفصّل الصادر عن وقفة بعدت بهم عن التناول السليم للعقائد · على نحو ما سيتبين بعد ·

نقول انه قلت سيطرة المعتزلة وزاد ثبات قدم أهل السنة ولكن زاد أيضا ظهور الفرق المختلفة ، كما أشرنا ، يقول المقريزى فى ذلك ·

(··· واشتهرت مذاهب هذه الفرق : من القدرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، والخوارج ، والروافض ، والقرامطة ، والباطنية ، حتى ملأت الأرض)(٦٤) ·

وهذا ما يتبين من واقع كتاب (مقالات الإسلاميين) لأبى الحسن الأشعرى نفسه وهو كتاب فى الفرق كما نعلم حيث يرد ذكر هذه الملل والنحل على اختلافها (٦٥) خاصة الشيعة منهم ·

---

٦٢ ـ هو عمرو بن عبيد البصرى المعتزلى (ت ١٤٣ هـ/٧٥٨ م) وكان من أصحاب الحسن البصرى ثم ابتعد عنه (العبر : للذهبى جـ ١ ص ١٩٣) ·

٦٣ ـ أنظر لمزيد من التفاصيل : تاريخ بغداد · لابن الخطيب جـ ٦ ، جـ ٧ ، جـ ٨

٦٤ ـ الخطط للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠٧

٦٥ ـ مقالات الإسلاميين للأشعرى : جـ ١ ، جـ ٢

غير أنه اذا كنا قد ذكرنا أن ثبات قدم أهل السنة قد زاد عقب انتهاء فترة حكم حماة المعتزلة من الخلفاء ، فليس معنى هذا ، أنهم تزعزعوا وقت الضغط عليهم ، أو تراجعوا عن مواقفهم وقت الهجمات ، وانما المقصود أنه قد هدأ بالهم من قبل نظرة السلطة الحاكمة اليهم ، فصاروا يخرجون آراءهم دفاعا عن الموقف السنى من العقائد دون حرج البطش بهم ، أو ايقاعهم فى محن ٠

فمن جهة أنهم لم يألوا جهدا فى الدفاع عن الموقف الصحيح للعقائد ، فقد ظهرت لهم مصنفات عديدة حول السنة أصدرها كبار رجال الفقه والأصول منذ أن كانت البدع الكلامية وخاصة تلك الصادرة عن المعتزلة ـ حول مسالتى كلام الله (خلق القرآن) ورؤيته تعالى ـ وغير هذه وتلك من المسائل : مثال ذلك ما نقع عليه من أسماء رجال(٦٦) لهم مكانتهم فى الفقه وأصوله فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى حتى نهاية عصر أبى الحسن الأشعرى أى الربع الأول من القرن الرابع ـ فطوال هذه الفترة ظهرت كتب بعنوان (السنة) أو (رد على أهل البدع) ٠ ومما هو جدير بالملاحظة أن الردود على المعتزلة كانت توجه الى الجهمية ولعل السبب فى هذا هو رغبة بعض المصنفين فى تفادى الصدام(٦٧) بالسلطة الحاكمة التى كانت توالى المعتزلة باهتمامها أو لأن الجهمية هم أصل البلاء فى تكدير علم الكلام بالقول فى (الكلام) و (الرؤية) ٠٠٠ الخ ٠

فلدينا كتاب (الرد على الجهمية والزنادقة) لابن حنبل [ت ٢٤١ هـ / ٨٥٦ م] وكتاب (خلق أفعال العباد) و (الرد على الجهمية) للإمام البخارى [ت ٢٥٦ هـ/٨٧١ م] وكتاب (الاختلاف فى اللفظ والرد" على الجهمية والمشبهة) لابن قتيبة [ت ٢٧٦ هـ / ٨٩١ م] وكتاب (الرد على المريسى العنيد) للإمام أبى سعيد الدارمى [ت حوالى ٢٨٠ هـ/٨٩٥ م] ٠

وغير هذا وذاك من الكتب العديدة فى (السنة) التى نقع على حصر

---

٦٦ ـ أنظر الفهرست لابن النديم ٠

٦٧ ـ يرى هذا الرأى أيضا السيد جمال الدين القاسمى من السلف المحدثين الذين عاصروا حركة السلف المعاصرة مع الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهما ٠

لبعض منها فى مقدمة كتاب (عقائد السلف) الذى يضم الكتب الأربعة السابقة(٦٨) وغيرها ٠

فالفترة التى عاش فيها أبو الحسن الأشعرى ، تمثل نتاج معترك قديم بين فرق زلت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد ، اما لتأثرها ببعض آراء دخيلة من تراث شرقى أو غربى قديم ، أو لرغبة فى اخضاع كل ما ورد فى الشريعة للعقل البشرى ، وقد تصدت لهم جماعة الأصوليين والفقهاء الذين أرادوا مقابلة هذا الانحراف بالثبات على موقف السلف الصالح ، وهم الذين لم يتكلموا فى المسائل التى طرحها المبتدعة ، وحذروا من الخوض فيها ٠ ولقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(لا تجالسوا أهل القدر ، ولا تفاتحوهم)(٦٩) ٠

ومن يدرس أسس موقف كل من الإمام أحمد بن حنبل والإمام البخارى وابن قتيبة والدارمى وغيرهم من السلف الصالح يتبين أنهم كانوا يتبعون أسسا واحدة فى مواجهة النصوص المنزلة ، وهى أسس التفسير الصحيح ، كما أنهم تبينوا حقيقة لها أهميتها ، وهى أن الأمور الغيبية الواردة فى النصوص المنزلة تفوق مقدرة العقل البشرى على استيعابها وبالتالى فهناك موضوعات فى مستوى العقل البشرى ، وموضوعات تفوق مستوى العقل البشرى ، وهذه الأخيرة هى الغيبيات كما أشرنا ٠

وهذا التمييز الواضح بين موضوعات المعرفة هو الذى دعاهم الى التوقف عن تناول الأمور الغيبية بالعقل ، والتصريح بضرورة قبولها على ما هى عليه دون اعمال الفكر فيها ، فى الوقت الذى لم يتبين أهل البدع ذلك فخاضوا فيما يتعذّر الخوض فيه بالعقل ، وانتهوا الى الخروج عن أصول العقيدة ٠

ولا يعنى هذا أن الفقهاء والأصوليين من أهل السنة فى ذلك الحين كانوا

---

٦٨ ـ كتاب جمع فيه كل من بن الأستاذ الدكتور على سامى النشار والأستاذ عمار جمعى الطالبى نصوصا للأئمة : أحمد ابن حنبل ، والبخارى ابن قتيبة وعثمان الدارمى ٠ مع مقدمة ذكرا فيها عددا وفيرا من المصنفات فى (السنة) فى هذه الفترة ٠ (أنظر ص ٥ ، ٦ ، ٧ من مقدمة كتاب (عقائد السلف) للدكتور على سامى النشار والأستاذ عمار جمعى الطالبى منشأة المعارف الاسكندرية سنة ١٩٧١ ـ ج٠م٠ع) ٠

٦٩ ـ رواه أبو دلود : ١٦ ، ١٧ وابن حنبل : ١ : ٤٠

آخذين بمبدأ الجمود العقلى تجاه موضوعات المعرفة ، على نحو ما فهمهم بعض الدارسين المحدثين ، ولكنهم كانوا يتعرفون ، كما أشرنا ، على طبيعة الموضوعات ، ويتقبلون الغيبيات على ما هى عليه ، عاملين الفكر فقط فى اثبات وجودها ان احتاجوا الى ذلك • أما ما لا يتعلق بالغيبيات فهم يعملون الفكر فيه على أوسع مدى ، والبحوث الفقهية التى قامت على استقراء الأحداث لتطبيق نصوص الأحكام المنزلة دليل على ذلك • فالعقل طاقة انسانية ، وبقدر هذه الطاقة تعرف الأمور •

فالذين لم يتنبهوا الى هذه القاعدة ، وبالتالى لم يعملوا بها من الفرق المناوئة لأهل السنة ، انتهوا الى أقوال فى العقائد ، خاصة فى ذات الله وصفاته بعدت بهم عن الصواب وصارت تمثل ما ظهر من بدع •

فقول جهم مثلا فى (الله) تعالى ، أنه (روح) قد صدر فيه عن فكرة مسبقة مستقاة مما ذكره زنادقة النصارى عن عيسى بن مريم عليه السلام من أنه هو من روح الله ، ومن ذاته تعالى • كان الجهم يهدف من وراء ذلك الى تبرير أن الله غير مرئى ، وهذا تبرير عقلى لغيابه عن الأبصار صدر فيه ، كما أشرنا ، عن فكرة مسبقة ، فتكلم عن الله بما لم يتكلم به الله تعالى عن نفسه ، ثم لجأ من بعد ، الى النص المنزّل لتوكيد ما انتهى اليه بالعقل ، وكان قد تدرج من فكرة (الروح) غير المرئية الى نفى الصفات عنه تعالى ، وصار معتقده أو (دينه) • كما يقول أحمد بن حنبل هو أن الله تعالى : (ليس كمثله شىء من الأشياء ، وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون فى مكان دون مكان ، ولم يتكلم ، ولا يتكلم ، ولا ينظر اليه أحد فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، ولا يوصف ، ولا يعرف بصفة ، ولا يفعل ، ولا له غاية ، ولا له منتهى ، ••• وهو وجه كله ، وهو علم كله ، وهو سمع كله •••) الى أن يقول :

(••• ولا نواحى ، ولا جوانب ، ولا يمين ، ولا شمال ، ولا هو خفيف ، ولا ثقيل ولا له لون ، ولا له جسم ، وليس هو بمعمول ، ولا معقول)(٧٠) •

وهذه هى بداية القول بنفى الصفات •

---

٧٠ — أنظر كتاب (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل صفحة ٦٧ ، ٦٨ من كتاب (عقائد السلف) تحقيق د • على سامى النشار والسيد عمار جمعى طالبى — الاسكندرية ١٩٧١

ولم يفت ابن حنبل بحنكته ، أن يبين كيف أن قولهم بأنه (ليس كمثله شيء) يمكن أن يخفى وراءه فكرة خطيرة ، وهى نفى وجود الله أصلا(٧١) ، وهـذا ما لا يقبله مؤمن · ويتبين أن هدفه من ذلك هو الإمعان فى ابراز فساد وقفة جهم العقلية من النصوص ، ومن تابعه فى ذلك ، وهم المعتزلة خاصة وأن هؤلاء قد دعموا موقفهم العقلى أصـلا بكثير من الأساليب المسـتقاة من الثقافات الدخيلة ·· مثل فكرة القسمة الى (جوهر وعرض) مثلا وغيرها من التقسيمات الذهنية التى لا طائل من ورائهـا سوى بهرج القول فى العـلوم العقلية(٧٢) ·

وفى مقابل هؤلاء كان هناك المجسمة أو المشبهة(٧٣) الذين وقعوا فىشبهة التجسيم ومن هؤلاء الحشوية ، والـكراميـة ، وقد انتشروا انتشار الفرق الأخرى ، وقامت بينهم وبين المعتزلة خاصة ، مناظرات كثيرة · وترجع وقفتهم الخاطئة الى منطلقهم ، فبدلا من أن يسترشدوا بدلالة النص المنزّل بدأوا من العقل دون النقل واعتمدوا على الحس خاصة وتناولوا العقـائد على أسلوب الأمور المـادية الجسـمانية ، مشبهين الخـالق بمخلوقاته تعـالى سـبحانه عن ذلك ·

---

٧١ ـ نفس المرجع السابق ·

٧٢ ـ أنظر مقالة : (المفكر المسلم والواقع) وهى المقالة الثانية من كتابى الذى يحمل عنوان (مقالات فى أصالة المفكر المسلم) · نشر دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ١٩٧٦ حيث بينت كيف أن المفكر المسلم فيلسوفا كان أم متكلما ، خاصة الأشاعرة منهم لم يأخذوا من التراث اليونانى سوى بعض الألفاظ والتقسيمات الذهنية التى خلصوها من مفاهيمهـا التى كانت لهـا فى تراثهـا وأعطوها مضـمونا آخر يتفق والعقـائد الإسلامية كمـا بينت أن هـذه التقسيمات لم يكن لهـا أية فائدة حتى بعد اعطائها مفاهيم جديدة ، وأن المفكر المسلم كان فى غنى عنهـا ، لولا أنه اضطر الى أن يقدم للناس شيئا من صناعة الحكمة استجابة لاهتمامات العصر ، وأن هذه الألفاظ والتقسيمات تمثل فى تراثها أصلا ، تفكيرا مبتورا ·

٧٣ ـ أنظر تبيين كذب المفترى لابن عساكر من صـفحة ١٣٠ الى ١٣٣ حيث الإشارة الى المجسمة ، وما كتبه مكارثى فىكتابه عنالعقائد صفحة ٢١٤ هامش ٨ ـ وانظر عن الكرامية المنسوبين الى ابن كرام [ت ٢٥٥ هـ/ ٨٧٠ م] كتاب الدكتورة سهير مختار عن الكرامية ـ القاهرة ١٩٧٣ م ·

ولقد قاوم السلف هـذا الاتجاه أيضا وحاولوا دحض آراء أصـحابه ، بحيث يمكننا أن نقول ان الإمام الأشعرى قد وجد نفسه ، بعـد تحوله عن الاعتزال بين نوعين من المغالاة فى مجال العقائد ، مغالاة المعتزلة ، ومغالاة الحشوية والكرامية ، ومن سار على منوالهم ، ممن لم يقدّر حدود استعمال العقل فى الأمور العقائدية ٠

ثم هناك المذهب الظاهرى الذى كان أول من قال به داود الأصـبهانى [ت ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م](٧٤) وسرعان ما انتقل هذا المذهب الى المغرب العربى حيث تبناه ابن حزم الأندلسى ٠ [ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٩ م] ٠

ومما هو جدير بالذكر أيضا ، فى مجال العقائد أنه ظهر أيام الاعتزال من كان على موقف أهل السنة من العقائد ، ولكن لم يمتنع عن تقديم أدلة وبراهين عقلية لتثبيتها بصفة لاحقـة على النصوص المنزّلة ـ ومن هؤلاء ـ ابن كلاب [ت حوالى ٢٥٠ هـ/٨٦٤ م] والمحاسبى [ت ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م] والقلانسى [ت ٣٠٨ هـ/٩٢٠ م](٧٥) ٠ كما ظهر من بعدهم المـاتريدى [ت ٣٣٣ هـ/ ٩٤٨ م] وهو معاصر للأشعرى ٠

ثم الى جانب هـذا التطاحن فى مجال العقائد كانت الحياة الثقافية تنطلق نحو البحث العقلى ، بسبب اهتمام الخلفاء بترجمة العلوم الذائعة فى البلدان المجاورة ٠ خاصة العلوم الحكمية ٠ وأشهر من اشتغل بعلوم الأوائل فى هـذه الفترة : أبو بكر محمد ابن زكريا الرازى [ت ٣١١ هـ/٩٢٣ م](٧٦) الذى صنف فى العلوم الحكمية على اختلافها خاصة الطبى منها ، وكذلك أبو نصر الفارابى [ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م] الذى ساهم فى بيان علوم الحكمة الإسلامية ٠ من بعد الكندى [ت ٢٥٢ هـ/٨٦٣ م] فيلسوف العرب الأول(٧٧) ٠

---

٧٤ ـ أنظر لمزيد من التفاصيل بحث (ابن حزم الأندلسى وآراؤه الـكلامية) للدكتورة سهير فضل الله أبو وافية [تحت الطبع] حيث فصلت القول عن داود الأصبهانى وآرائه ٠ وانظر أيضا البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ص ١١٠

٧٥ ـ (الملل والنحـل) للشـهرستانى صـفحة ٦٥ ـ ويرد ذكر بعضـهم فى (مقالات) الأشعرى على أنهم من فرق الإثبات ٠

٧٦ ـ طبقات الأطباء والحكماء ٠

٧٧ ـ أنظر لمزيد من التفاصيل عن حقيقة الوقفة الحكمية الإسلامية لكل من الكندى والفارابى كتاب : (مقالات فى أصالة الفكر المسلم) للدكتورة فوقية حسين محمود ـ القاهرة ١٩٧٦ (المقالتان الثالثة والرابعة) ٠

ثم (اخوان الصفا وخلان الوفا)(٧٨) وهم أصحاب رسائل تضم موضوعات تعد دليلا على ما وصل اليه كاتبوها من معارف موسوعية لها ثقلها وقدرها فى المجال العقلى ٠

ثم هناك علوم الصوفية التى زاد ذيوعها ، وظهر فيها كثير من كبار رجال التصوف ، مثل أبو القاسم الجنيد [ت ٢٩٧ هـ/٩١٢ م] وعلى بن الموفق [ت ٢٦٥ هـ/ ٨٨٠ م] وأبو صالح حمدون القصار النيسابورى [ت ٢٧١ هـ/ ٨٨٦ م] كما نجد أصحاب السرّى السقطى وتلاميذه ، ثم الأنصارى [ت ٣٢٠ هـ/٩٣٥ م] وأبو على أحمد بن أحمد الروزبارى [ت ٣٢٢ هـ/٩٣٧ م] وأبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى [ت ٣٢٨ هـ/٩٤٣ م] ثم الحسين بن منصور الحلاج [ت ٣٠١ هـ/٩١٦ م] الذى اتصل ببعض الصوفية بالبصرة ثم دخل بغداد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٩ م] حيث تتلمذ على الجنيد ، وغيرهم(٧٩) ممن ساروا بالتصوف من الزهد والتقشف الى نظام الطوائف والفرق ، حتى صار التصوف يتميز فى هذه الفترة بخصائص نفسية وأخلاقية وميتافيزيقية ظهرت فى أقوال بعض مشايخه ٠

ولقد كان لذيوع التصوف أثره فى أبى الحسن الأشعرى وفيمن كان يخدمه وهو بندار بن الحسين ، وقد سبقت الإشارة اليه(٨٠) ٠

غير أنه اذا كانت للأشعرى حياة روحية خاصة ، متأثرا بالأجواء العامة للبيئة ؛ الا أنه تكتم هذه الحياة عن الناس ولم يجهر بها تأسيا بالسلف الصالح ٠

هذه هى بيئته فى نواحيها السياسية والدينية والثقافية : وهى تحمل فى طياتها ما يمكن أن يؤدى الى تقدير ما كان عليه الحال من خطورة بالنسبة للعقائد ، وما كان يجب أن يتخذه رجال الكلام من أمثال أبى الحسن الأشعرى ومعاصره الماتريدى(٨١) من موقف تجاه طغيان العقليات من أجل توضيح الأسلوب الصحيح فى تناول العقائد ، وهو أسلوب السلف ٠

---

٧٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ مادة اخوان الصفا ٠

٧٩ ـ أنظر لمزيد من التفاصيل : (الكواكب الدرية) للمناوى ٠

٨٠ ـ أنظر هامش ٢٢ من هذا التقديم ٠

٧٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ مادة اخوان الصفا ٠

٨١ ـ (أنظر الصفحة السابقة ٠ وهو محمد بن محمود المعروف بابى المنصور=

كما كان من الضرورى كسر شوكة الأساليب العقلية البراقة التى اتخذها المناوئون سلاحا يجذبون به العقول ، وكان هذا عن طريق توكيد أصول أسلوب السلف الصالح القائم على تقديم النص المنزل قرآنا كان أم سنة على أى نسق فكرى من نتاج العقل الإنسانى ، فيما يتعلق بالغيبيات ٠

وهـذا ما كان من الأشعرى ومن المـاتريدى وان كان الأشعرى قد ظهرت أقواله أكثر من معاصره لعدة أسباب(٨٢) من أبرزها كونه على علم تام بكل أساليب العقليات بسبب انتمائه أصلا الى المعتزلة ٠

أما عن أطوار حياته :

فان فى مقدورنا أن نقسم سيرة أبى الحسن الأشعرى الى أطوار ثلاثة :

الأول : من ولادته الى سن العاشرة ٠

= المـاتريدى ، ولد بمـاتريد ، وتلقى علومه على أيدى رجال الحـديث والفقه ، وتعرف على الكلام ووقف من العقائد موقف السلف ، وان كان لم يأل جهدا فى نفس الوقت فى تثبيت هـذه العقائد التى استقاها من النصوص المنزلة ، بحجج وبراهين عقلية ، استجابة لمقتضيات عصره ، وهو يتلاقى مع الحنفية فى آرائه وقد لقب بامام الهدى ـ وتوفى سنة ٣٣٣ هـ/٩٤٨ م ٠

ومن مصنفاته : كتاب (تأويل القرآن) ، وكتاب (الجدل) ، وكتاب (مأخذ الشرائع) وكتاب (الأصول فى أصول الدين) ، وكتاب (المقالات فى الكلام) ، وكتاب (التوحيـد) ، وكتاب (رد الأصول الخمسة) لأبى الباهلى ، وكتاب (رد أوائل الأدلة للكعبى) ، وكتاب (رد تهذيب الجدل للكعبى) ، وكتاب (رد الإمامة للروافض) ، وكتاب (الرد على القرامطة) ٠

والمـاتريدى فى رأى بعض الدارسين المحدثين يميل أكثر الى الأخذ بالبراهين العقلية وان كان يتقيد باحترام دلالة النص ويعطيه الأولوية فى بحثه [أنظر كتـاب تاريخ المذاهب الإسـلامية للدكتور (محمـد أبو زهرة) جـ ١ فى السياسة والعقائد ص ١١٨ وما بعدها ـ القاهرة دار الفكر العربى] ٠

٨٢ ـ من الأسـباب البـارزة الأخرى لذيوع أقواله أنه كان شافعيا ـ وكان المذهب الشافعى أكثر ذيوعا من الحنفى ، الذى كان ينتمى اليه الماتريدى٠ وان كانت أقواله قد ذاعت ذيوعا كبيرا أيضـا بين المـالكية خاصة فى شمال أفريقية ٠ فى المغرب العربى ٠ ولعل أقوى الأسباب أنه كان يعزف فضائح المعتزلة التى عرضها ونقدها ٠

والثانى : من سن العاشرة حتى تحوله عن الاعتزال ، وأخذه بعقائد السلف ٠

والثالث : من وقت هذا التحول الى وفاته ٠

أما الطور الأول :

فانه يمثل نشأته الأولى التى تلقى فيها علوم القرآن والحديث ٠ وسمع فيها الساجى ، والجمحى ، والمقبرى والضبى(٨٣) ٠ وغيرهم من أهل اللغة والحديث والفقه والتفسير ٠ ويبدو أنه قد بلغ من حسن الاستماع درجة ، جعلته يصير فيما بعد اماما من أئمة أصحاب الحديث(٨٤) بل توصل الى أن (ينسب اليه القول بتصويب المجتهدين فى الفروع ، مما سهّل له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحقة)(٨٥) بعد خروجه عن الاعتزال ٠

وقد حددنا فترة النشأة الأولى بعشر سنوات على أنها الفترة التى لم يكن الجبائى قد دخل فيها حياته بعد ، اذ ما يرد من تفاصيل بصدد هذه الواقعة يبين أنه عندما ترك الأشعرى الاعتزال سنة ٣٠٠ هـ/٩١٥ م كان قد رافق الجبائى ثلاثين عاما ٠ وبما أننا قد حددنا مولده سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٥ م فتكون فترة النشأة الأولى عشر سنوات غير أن الذى يصعب تحديده هو كم قضى أبو الحسن من الوقت فى كنف والده ؟ هذا أمر لم يرد فيه ما يمكّن الباحث من التقرير ٠

ولكن الذى فى مقدور الباحث توكيده هو أنه سواء عاش أبو الحسن الفترة الأولى كلها فى كنف والده أم حرم منه لوفاته مبكرا فانه قد تكوّن وتفتحت مداركه على علوم القرآن والحديث على مذهب أهل السنة والجماعة ، لأن والده ، الذى كان (سنيا حديثيا جماعيا) قد أوصى بما يجعل ولده يشب فى هذا الجو الثقافى الدينى الذى أراده له ٠ وقد تبينا أن وصيته قد نفذت ، فيما

---

٨٣ ـ أنظر صفحة ١٢ من هذا التقديم ٠

٨٤ ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ١١٣

٨٥ ـ نفس المرجع السابق ص ١١٧ ـ ويلاحظ أنه قد ورد عنه أنه كان شافعى المذهب [أنظر تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١١٧ ، كما قيل انه كان مالكى المذهب] ، (نفس المرجع السابق صفحة ١١٨ ، ثم نجد من ينسبه الى مذهب أبى حنيفة) ٠ (نفس المرجع السابق)

يتعلق بالسماع على الساجى(٨٦) وغيره من أهل السنة وكان شافعى المذهب(٨٧) ٠

أما الطور الثانى :

فانه يبدأ فى سن العاشرة وينتهى فى الأربعين وهى الفترة التى ورد فى أغلب(٨٨) المراجع أنها كانت فترة مصاحبته لأستاذه الجبائى (أبو على) ولقد رجحنا أن يكون سبب دخول الجبائى فى حياة أبى الحسن مبكرا أنه تزوج بوالدته بعد وفاة والده (٨٩) ، وسواء صح هذا أم لم يصح فان من المؤكد أن أبا الحسن قد وجد فيما يذكره الجبائى من أدلة وبراهين عقلية ما شفى غليله ولم يتعذر عليه وهو فى مثل هذه السن المبكرة أن يتابع أقوال هذا المعتزلى الموغل فى العقليات ، مما يدل على ما كان يتمتع به أبو الحسن من ذكاء وفطنة وقدرة مبكرة على الفهم والاستيعاب ٠

فكأن هذه الفترة هى التى تلقى فيها علوم الاعتزال ، التى نبغ فيها الى حدّ أنه صار اماما للاعتزال ، اذ كثيرا ما كان ينيبه الجبائى عن نفسه فى المناظرة ٠

وينتهى هذا الطور بأخطر موقف فى حياته وهو تحوله عن الاعتزال الى عقائد أهل السنة ٠

---

٨٦ ـ أنظر صفحة ٥ ، ٦ من هذا البحث ٠

٨٧ ـ زعم البعض أن أبا الحسن كان (مالكيا) غير أن المراجع تذكر أنه تفقه على أبى اسحق المروزى ٠ يقول السبكى (نص على ذلك أبو بكر بن فورك فى طبقات المتكلمين والأستاذ أبو اسحق الاسفرايينى فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجوينى فى شرح الرسالة والمالكى هو القاضى أبو بكر الباقلانى شيخ الأشاعرة) ٠ (٢٤٨ من الطبقات ج ٢ من الطبعة الأولى) ٠

٨٨ ـ أنظر هامش ١ من التقديم ٠

٨٩ ـ أنظر صفحة ٥ ، ٦ من هذا التقديم ـ ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثرى [ت ١٣٥٩ هـ/١٩٣٩ م] (بل لو لم يكن خالط هؤلاء النظار المعروفين بدقة النظر ، وطارحهم المسائل لما تمرّن على الإجادة فى البحث ، ولم يظهر منه هذه البراعة فى الزام الخصوم ، والذب عن السنة ، ولبقى مثل أولئك الذين ابتعدوا عن السنة فى معارضة المعتزلة فوقعوا فى بدع أكبر لجهلهم بطرق النظر وهذا مما لاينكر ٠٠) [أنظر هامش ١ من صفحة ٩٣ من تبيين كذب المفترى لابن عساكر] ٠

أما عن أسباب هذا التحول فواضح مما ورد فى المصادر القديمة من روايات، أن أبا الحسن الأشعرى قد مرّ بأزمة نفسية وعقلية انتهت بقرار اعلان هـذا التحول • ومن الجائز أن تكون هذه الأزمة قد استمرت فترة طويلة تقرب من العشرين عاما على نحو مايمكن أن يتضح ذلك من بعض ما ذكره بروكلمان(٩٠) ويتبين أن من هذه المصادر ما يكتفى بذكر خبر خروجه عن الاعتزال ومنها مايقدم مواقف جدلية بينه وبين أستاذه هى بمثابة الشرارة التى أعلنت عن حدوث هذا التحول وهو موقف جدله فى مسألة (الصلاح والأصلح) •

ومنها ما يضيف مسالة الرؤية أثناء نومه ، والتى ظنها بعض الدارسين أن لا قيمة لهـا سوى الدلالة على الانشغال الذهنى بمسألة عويصة صـعبة واتخاذ قرار أكثر صعوبة ، وهو الانسلاخ عمـا بقى عليه ما يقرب من نصف سنى عمره • غير أن هذه الرؤى لم تكن عادية اذ ظهر فيها النبى (عليه الصلاة والسلام) ثلاث مرات وعلى فترات متباعدة وفى شهر رمضان المبارك ، شهر الصوم والعبادة ، حيث يكون لكل عشرة منه مرتبة فى التخلص من الدنايا والتقرب من الله ــ وقد كانت الرؤية الأولى فى العشرة الأولى ، والرؤية الثانية فى العشرة الثانية ، والرؤية الثالثة فى العشرة الثالثة • الأمر الذى يجعلنـا نرى فى هذه الرؤية تعبيرا ليس فقط عن الانشغال بمشكلة ، بل عن مدى نقاء نفسه وتدرجها فى الخلاص من الشوائب والكادورات •

ثم ان رؤية النبى ، عليه الصلاة والسلام : فى المنام ، ليست أضـغاث أحلام ، فكلنا يعلم ما لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ، من دلالة صدق الرؤية ، فلدينا الحديث الشريف : قال رسول الله صلى لله عليه وسلم :

(من رآنى فقد رآنى)(٩١) •

كما قال عليه الصلاة والسلام :

(من رآنى فقد رأى الحق)(٩٢) •

---

٩٠ ــ أنظر آخر هامش رقم ٨ من صفحة ٤ من هذه الدراسة •

٩١ ــ رواه البخارى : علم ٣٨ ، تعبير ١٠ ، كما رواه مسلم : رؤيا ١١ ، وأدب ٨٨ ، والترمذى : رؤيا ٤ ، ٧ وابن ماجه : رؤيا ٢ ، والدارمى : رؤيا ٤ ــ ابن حنبل ٢ : ٢٣٢ ، ٢٦١ ، ٢٤٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣ ، ٤٧٣ ، ٥ : ٣٠٦ ، ٦ : ٣٩٤

٩٢ ــ رواه البخـارى : تعبير ــ ١ ــ ومسـلم : رؤيا ١٠ ، ١٣ ــ والدارمى : رؤيا ٤

وهذان حديثان صحيحان ، وغيرهما كثير ، فالأحاديث فى الرؤيا الصالحة متعددة ، وكذلك الأحاديث فى أن رؤية الأنبياء وحى(٩٣) ٠

وليس هناك ما يدعو أبا الحسن الأشعرى ، وهو العالم المسلم الذى نما وترعرع ، كما بينا بفضل علوم القرآن والحديث ، أن يختلق هذه الرؤى ويكذب على الله وعلى نفسه ، ولا أن يكون المؤرخون لسيرته وعلى رأسهم ابن عساكر ، وجميعهم من أهل العلم ، ويقدرون دلالة الرؤيا الصالحة ، لما ورد عنها من أحاديث ، أن يكونوا قد اختلقوا هذا القول وأجروه على لسان أبى الحسن ترويجا لرأيهم فى الدفاع عنه ضد من هاجمه ، اذ أن الافتراء فى هذه الأمور الإيمانية لا يصدر عن أهل العلم والثقة والمسئولية فى التأريخ ٠

الأمر الذى يجعل كل ما ذكر من آراء للتقليل(٩٤) من شأن هذه الرؤى على أساس أنها أمر ليس له دلالة حقيقية ، يتلاشى أمام قيمة الدلالة الإيمانية

---

٩٣ — وردت أحاديث متعددة فى الرؤيا الصالحة ، وأن رؤية الأنبياء وحى — أنظر البخارى : وضوء : ٥ وأذان : ١٦١ وأيضا البخارى : بدء الخلق٣ ، تفسير سورة ٩٦ : ١ — ٣ ، وتعبير ١ — ٥ أنظر أيضا مسلم : صلاة : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ورؤيا ٣ ، ٤ وأبو داود : صلاة ١٤٨ والترمذى رؤيا : ٢ — ٣

٩٤ — سبق أن أشرنا الى رأى د ٠ حمودة غرابة و د ٠ جلال موسى [أنظر هامش رقم ١ من هذا التقديم] ولقد لخص الأب آلار آراء بعض الباحثين فى سبب تحوله عن الاعتزال ٠ فقال ان ماكدونالد يرى أن بيئته العامة ببغداد حيث كان يغلب الاتجاه الحنبلى هى التى دفعته الى الخروج عن الاعتزال [أنظر Development ص ١٩٠ ، ١٩١ كما أثبت رأى د ٠ واط الذى صرح بأن السبب هو غيرة الأشعرى من أبى هاشم ابن أبى على الجبائى الذى كان أيضا تلميذا لأبيه وذلك لاغفال الأشعرى اسمه فى كتاب (المقالات) ويرد عليه الأب آلار بأن الأشعرى قد كتب (جوابات عن أسئلة أبى هاشم) أملاه استجابة لطلب ابن صالح الطبرى ، وذلك طبقا لقائمة الكتب التى يقدمها ابن فورك [أنظر Philosophy & Theology صفحة ٨٢ — وأيضا التبيين ص ١٣٦] ومن الآراء فى تبرير التحول ما يعتمد على الرأى الذى ساد عن الجبائى فى أخريات أيامه وسوء نظرة السلطة الحاكمة اليه بسبب صداقته للشيعى أبى سهل بن نوبخت اعتمادا على ماذكره ماسنيون [أنظر Passion p. 155 كما أثبت رأى الأهوازى الذى يرد تحوله الى أنه خشى ألا يرث فى أحد أقاربه بعد وفاته بسبب اعتزاله وأنه أيضا خرج عن الاعتزال لاكتشافه أنه لم يوصله الى مكانة عليا بين الناس تناسب ما كان يصبو اليه ٠ ويرفض ابن عساكر كل هذه الافتراضات التى قالها الأهوازى عن الحرنانى [أنظر التبيين لابن عساكر ص ٣٨١] ٠

لرؤية النبى عليه الصلاة والسلام ، وما يجب أن يترتب عليها من تصديق فى الدلالة عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من رآنى فقد رآنى) ٠

وهذا يعنى أن نفس أبى الحسن قد تهيأت رويدا رويدا للتخلص من سوء الاعتقاد ، وقد كانت هذه النفس تتدرج مع واقع أحوال الكلام فى ذلك الحين ٠ ووجّه أبو الحسن الى مواصلة الكلام ، ولكن بما يتفق وأصول الموقف السنىّ من العقائد ، وهو موقف السلف وجاءه التوجيه أثناء رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم فىمنامه ، ورؤيته حق عليه الصلاة والسلام ٠

يقول السبكى :

(ويحكى عن مبدأ رجوعه أنه كان نائما فى رمضان فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له :(يا على أنصر المذاهب المروية عنى ، فانها الحق) ٠

فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم ، ولم يزل مفكرا مهموما من ذلك ، وكانت هذه الرؤيا فى العشر الأول ٠ فلما كان من العشر الأوسط رأى النبى صلى الله عليه وسلم ثانيا فى المنام فقال له :

(ما فعلت فيما أمرتك به ؟) ٠

فقال : (يا رسول الله ، وما عسى أن أفعل وقد خرجت للمذاهب المروية عنك كاملة صحيحة) فقال لى : (انصر المذاهب المروية عنى فانها الحق) ٠

فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن ، وأجمع على ترك الكلام ، واتباع الحديث ، وملازمة تلاوة القرآن ٠ فلما كانت ليلة سبع وعشرين ، وكان من عادته سهر تلك الليلة ، أخذه من النعاس ، ما لم يتمالك معه السهر ، فنام وهو متأسف على ترك القيام فيها ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم ثالثا فقال له :

(ماذا صنعت فيما أمرتك به ؟) ٠

فقال : (قد تركت الكلام يا رسول الله ولزمت كتاب الله وسنتك) ٠ فقال له : (أنا ما أمرتك بترك الكلام ، وانما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عنى فانها الحق) ٠

قال : فقلت : (يا رسول الله ، كيف ادع مذهبا تصورت مسائله وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة لرؤيا ؟ قال : فقال لى :

(لولا أنى أعلم أن الله سيمدك بمدد من عنده ، لما قمت عنك حتى أبين لك وجوهها ، فجد فيه ، فان الله سيمدك بمدد من عنده) ٠

فاستيقظ وقال : (ما بعد الحق الا الضلال) ٠

وأخذ فى نصرة الأحاديث فى الرؤية والشفاعة وغير ذلك وكان يفتح عليه من المباحث والبراهين بما لم يسمعه من شيخ قط ، ولا اعترض به خصم ولا رآه فى كتاب)(٩٥) ٠

ويرد فى المصادر أنه لكى يصل أبو الحسن الأشعرى ، بعد ذلك الى قرار التحول عن الاعتزال ، قد غاب فى داره خمسة عشر يوما ٠ خرج بعدها الى الناس معلنا توبته عن الأخذ بالاعتزال على منبر الجامع قائلا :

(أيها الناس ، من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى ، أنا فلان بن فلان ؛ كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله تعالى لا يرى بالأبصار ، وان أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب ، مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ٠ مخرج لفضائحهم ٠

معاشر الناس : انما تغيبت عنكم هذه المدة لأنى نظرت فتكافأت عندى الأدلة ، ولم يترجح عندى شيء ، فاستهديت الله تعالى فهدانى الى اعتقاد ما أودعته كتبى هذه ٠ وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد كما انخلعت من ثوبى هذا)(٩٦) ٠

وانخلع من ثوب كان عليه ، ودفع للناس ما كتبه على طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين ٠

وكان هذا سنه ٣٠٠ هـ / ٩١٥م ٠

واخيرا الطور الثالث :

وهو ذلك الطور الذى يبدأ بتحوله عن الاعتزال الى عقائد السلف ، وينهى بوفاته ٠

وفيه كرسى أبو الحسن نفسه للدفاع عن العقيدة منطلقا من موقف

---

٩٥ ـ أنظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٢ ص ٢٤٦ من الطبعة الأولى ٠

٩٦ ـ أنظر هامش رقم ١ من هذا التقديم : مثلا صفحة ٢٤٦ من جـ ٢ من طبقات الشافعية الكبرى للسبكى طبعة أولى الوارد ذكرها فى هذا الهامش ٠

يماثل موقف السلف ، وهـو عدم الخوض فى الغيبيات ، وقبولهـا على ما هى عليـه ، أى اثبـات كه ما ورد فى العقيدة مع الاستعانة بالعقل فى توكيد هذا التثبيت ، مبينا ما كان عليه المعتزلة من وضع يتعارض مع الفهـم الحقيقى للعقيـدة ، داحضـا أراءهم التى كانوا قد طلعوا بهـا على النـاس مقدمين العقل على النقـل ٠

ويعتبر هذا الطور فترة تصنيفة لمصنفاته التى ظهرت من أجـل دعـم موقفه الجـديد ٠ ويقدم لنـا ابن عسـاكر ثبتـا لهذه المصـنفات نقلا عن ابن فورك(٩٧) [ت ٤٠٦ / ١٠٢١م] ٠

وقد صرح الأشـعرى فى أحـد مصنفاته وهـو (الابانة)(٩٨) بأنه على مذهب ابن حنبـل ، وذلك بعد أن حدث بينـه وبين البربهـارى(٩٩) [ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م] جدل انتهى بخصومة ولعل مثل هذه الخصومة هو الذى جعل الحانبلة يرفضون انتماء الأشعرى اليهم لأن الأشعرى كان معتزليا وكان الحنابلة يضيقون بمن كان ينتمى الى الاعتزال ، غير أن الأشـعرى فى الحقيقة لم يكن يخوض فى الكلام ابتدأ ولكن للردّ علىمن يدعى مالا يجوز فى دين الله ، وذلك بحكم ما فرض الله على المؤمنين من الردّ على مخالفى الحق وقد التقى الأشعرى بالمروزى(١٠٠) فى هذه الفترة وسمع عليه ولعله أراد بهذا دعم موقفه الجديد على يدى رجل من كبار أئمة أهل السنة والجماعة ٠

ومما هو جدير بالذكر أن أبا الحسن الأشعرى الذى كان زاهدا متعبـدا متقشفا تكتم رياضاته الروحية ، ولم يفصح عن أحواله ، وهـو بتكتمـه هـذا يقدم دليلا آخر على التزامه بموقف السلف فيما يتعلق بمـا يفتح به الله على العبد من علوم لدنية ؛ ذلك أن حيـاة النفس ليست ممـا يجهز به لأنها تخص صاحبها ٠ وهذا أما كان عليه السلف الصالح : فالصحابة والتابعون وأتباع التابعين ، وكل من سار على منوالهم ما كانوا يكشفون عن رياضاتهم ٠

---

٩٧ ـ أنظر : الدراسة عن مصنفاته فى هذا التقديم ٠

٩٨ ـ أنظر صفحة ١٩ من نص الإبانة ٠

٩٩ ـ هو الحسين بن على أبو محمد ٠ وكان من حنابلة بغداد [أنظر طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ١٨ ـ ٤٥ ـ وانظر أيضا جـ ٢ من صفحة ٤٦ لآلار حيث يشير الى بحثين للاووست ورد فيهما ذكر البربهارى ، ابن بطة ٢٨ ـ ٤١ و (المذهب الحنبلى ببغداد) من ٨١ الى ٨٤

١٠٠ ـ التنبيه للملطى ص ٣٢ ـ أنظر أيضا طبقـات الشافعية الـكبرى ص ٢٤٧ الطبعة الأولى جـ ٢ ٠

وهذا ما نقع عليه فى كتب من أرخ للحياة الصوفية لأهل صدر الإسلام(١٠١) ومما يذكر عن زهد الشيخ وعبادته أنه مكث عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العتمة(١٠٢) ٠

وفاته :

اختلف المصادر فيما يتعلق بتاريخ وفاته : فمن قائل أنه توفى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٩ م الى من يعزف عن التحديد ، ويكتفى بقول : (سنة نيف وعشرين وثلاثمائة(١٠٤) أو نيف وثلاثين وثلاثمائة)(١٠٥) أو (بعد سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م أو قبل سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م ويناقش ابن عساكر على عادته هذه التواريخ ، فيبين أن ما نقله ابن فورك(١٠٧) تلميذ ابى الحسن الباهلى ، تلميذ ابى الحسن الأشعرى هو أقرب الى الصواب ، من غيره من

---

١٠١ ـ أنظر مثلا الكواكب الدرية للمناوى ـ الجزء الأول حيث يرد ذكر ماكان عليه المسلمون الأوائل : الخلفاء الراشدون ،وباقى الصحابة من حياة روحية ورياضات نفسية كانوا يتكتمون أمرها عن الغير ٠

١٠٢ ـ أنظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٢ ص ٢٤٨ (الطبعة الأولى) ٠

١٠٣ ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى، م ١١ ص ٣٤٦
ـ شذرات الذهب : لابن العماد جـ ٢ ص ٣٠٣
ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ٥٦ ، ص ١٣٥ ، ص ١٤٧
ـ البداية والنهاية ، لابن كثير جـ ١١ ص ١٨٧

١٠٤ ـ تبيين كذب المفترى : لابن عساكر ص ١٤٦ ، ١٤٧

١٠٥ ـ نفس المرجع السابق وأيضا تاريخ بغداد للخطيب البغدادى م ١١ ص ٣٤٧ ، شذرات الذهب : لابن العماد جـ ٢ ص ٣٠٣ ـ الخطط للمقريزى جـ ٣ ص ٣٠ ، جلاء العينين للألوسى ص ١٣٢ ٠ وانظر أيضا كتاب (أبو الحسن الأشعرى) للدكتور حمودة غرابة ص ٧١ هامش ٢

١٠٦ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٤٧ ـ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٣ ص ٣٥ ـ الطبعة الحديثة تحقيق الأستاذين محمود الطناحى و د٠ عبد الفتاح الحلو ٠

١٠٧ ـ نفس المرجع السابق ٠ ويعبر آلار عن دهشته لإغفال تاريخ وفاة امام مثل الأشعرى غير أنه يذكر أنه من الجائز أن يكون ذلك لأن القوم لم يكونوا قد فطنوا بعد لما سيكون للأشعرى من مكانه [مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى للأب آلار ص ٤٧] ٠

الأقوال ، لأن الباهلى هو أقرب الناس الى أستاذه(١٠٨) • فيكون تاريخ وفاة هذا العالم الجليل هو سنة ٣٢٤ هـ/ ٩٣٩ م • ـ

أما عن مدفنه :

فقد أجمت المصادر على أن أبا الحسن الأشعرى قد توفى ببغداد(١٠٩) وحدد بعضها جهة المدفن بهذه المدينة ، قال البغدادى :

(ودفن فى مشرعة الزوايا(١١٠) الراويا فى تربة الى جانبها مسجد ، وبالقرب منها حمام • وهى على يسار المار من السوق الى دجلة)(١١١) •

ويتفق معه ابن عساكر فيما يتعلق بتحديد الموقع •

كما قيل : ـ (ودفن ببغداد بالقرب من الإمام أحمد بين الكرخ ، وباب البصرة)(١١٢) وورد فى جلاء العينين للألوسى : (ودفن بين الكرخ وباب البصرة فى مشرعة الزوايا)(١١٣) وهذا يتفق مع ابن عساكر •

ثم يضيف : (ورأيت فى بعض تعاليق الوالد رحمه الله أنه المحل الذى يعرف الآن (يقصد فى وقته) بالسيف ، سيف التمن ، وفيه قبر يزار) •

كما يقول : (قال ابن الوردى • وطمس قبره خوفا عليه من الحنابلة ، ولولا السلطان لبشوه)(١١٤) •

ولذلك فمكان مدفن أبى الحسن الأشعرى غير محدد حاليا ، الا على وجه التقريب واعتمادا على المعلومات السالفة الذكر •

هذا فيما يتعلق بسيرته •

---

١٠٨ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٤٧ • أنظر أيضا ص ١٢٧ من نفس المرجع •

١٠٩ ـ هامش ٢ من هذا التقديم •

١١٠ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى م ١١ ص ٣٤٦ • يسجل الأب آلار نقلا عن (سترانج) Le Strange بغداد ص ١٨١ أن مشرعة الزوايا أو مشرعة الروايا quai des Jarres ou quai des Lieux يقع بين الكرخ وباب البصرة [أنظر هامش رقم ٥ من صفحة ٤٧ من كتابه] ـ وهو ما ورد عند الألوسى فى جلاء العينين ص ١٣٢ طبقا لما ذكرناه بعد •

١١١ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٥٦

١١٢ ـ أنظر كتاب (أبو الحسن الأشعرى) للدكتور حمودة غرابة ص ٧٢

١١٣ ـ جلاء العينين : للألوسى ص ١٣٢

١١٤ ـ نفس المرجع السابق ص ١٣٢ ، ص ١٣٣

مصنفاته

تمهيـــد :

لقـد اهتم البـاحثون المحدثون ، وفى مقـدمتهم المستشرقون بانتـاج أبى الحسن الأشعرى ، وظهرت جهود لهـا قيمتها تكشف عن مدى الحـرص على التعرف على آراء هـذا المفكر المسلم الجليل ، الذى شدّ بانتاجه قلوب المسلمين منـذ أن هداه الله الى خلع ثوب الاعتزال ، وهو فى الأربعين من عمره ، ليتوجه الى ما كان عليه السلف ، دافعا عن الموقف السنى غائـلة المغالبين ، وانحراف المنحرفين . فابو الحسن الأشعرى من أوائل الذين كان لهـم باع فى الردّ على المعتزلة ، وصـارت آثاره من أهم المصادر للتعرف على مـدى الأصالة فى هجوم الخصـوم ، على طريقة أهل الحق القائمة على أصـول السلف الصالح .

ومن أوسع مصادرنا عن انتاجه كتاب (تبيين كذب المفترى)(١١٥) لابن عساكر . الذى يذكر له ما يزيد على تسـعين مصنفا ، نقـلا عن حصر ابن فورك لمصنفات الأشعـرى ، يليه فى السعة ما سجله ابن حزم(١١٦) الذى ذكر له (خمسا وخمسون) مصنفا ، وتابعه فيما أثبت ابن العماد فى (شذرات الذهب)(١١٧) وابن كثير فى (البداية والنهاية)(١١٨) والبغدادى فى (تاريخ بغداد)(١١٩) . أما السبكى فى (الطبقات الشافعية الكبرى)(١٢٠) فانه يذكر له واحدا وعشرين مصنفا ، والزركلى فى (الأعلام)(١٢١) عشرة ، ثم يضيف أن له ما يزيد على ثلاثمائة مصنفا .

غير أن ما وصلنا من مصنفاته قليل ، فيـذكر له بروكلمان فى كتابه

---

١١٥ ـ (تبيين كذب المفترى) : لابن عساكر من صفحة ١٢٨

١١٦ ـ أنظر : (طبقات الشافعية) للسبكى جـ ٣ ص ٣٥٩ (من الطبعـة الأولى) .

١١٧ ـ شذرات الذهب) لابن العماد . صفحة ٣٠٣ من جـ ٢

١١٨ ـ (البداية والنهاية) لابن كثير جـ ١١ ص ١٨٧

١١٩ ـ (تاريخ بغداد) : للبغدادى م ١١ ص ٣٤٦

١٢٠ ـ طبقات الشافعية للسبكى جـ ٣ ص ٣٥٩ (من الطبعة الأولى) .

١٢١ ـ (الأعلام) للزركلى : جـ ٥ ص ٦٩

(تاريخ الآداب العربية)(١٢٢) سبعة مصنفات هى : (مقالات الاسلاميين) و (رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام)(١٢٣) و (كتاب اللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبدع) و (قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة فى الاعتقاد) ٠ و (رسالة كتبها الى أهل الثغر) و (الابانة عن أصول الديانة) ٠

ويذكر له فؤاد سزجين فى كتابه (تاريخ التراث العربى)(١٢٤) احدى عشر مصنفا ، منها هذه السبعة السابقة الذكر وأربعة أخرى وهى : كتاب التوحيد) وقد تبيّن بالبحث أنه الابانة عن أصول الديانة) ، و (رسالة بدون عنوان) تبيّن بالبحث أيضا أنها نسخة غير كاملة لرسالة استحسان الخوض فى علم الكلام) ثم تفسيره للقرآن) على أنه منشور فى (تبين كذب المفترى) وربما يكون جزء منه متضمن فى تفسير ابن فورك ، والعمد فى الرؤية) الذى ورد جزء منه فى التبيين أيضا ٠ وبالبحث فى فهارس المكتبات وقعنا على أسماء بعض كتب منسوبه اليه وهما اثنان :

١ ـ مقدمة سيدى ابى الحسن الأشعرى(١٢٥) ٠

٢ ـ كتاب ،الشجرة الإلهية(١٢٦) ٠

وسنرجع الى تفصيل القول فى هذين المصنفين وفى غيرها من المصنفات التى لها نسخ بين أيدينا ، بعد قليل ، اذ نتناول الآن بالعرض ، الدراسات التى قامت حول قائمة ابن فورك) الواردة فى كتاب (التبيين) التى كانت محل تعليق من قبل بعض الدارسين بسبب ماورد بها من توضيحات حول موضوع بعض الكتب ، وما ذكره مصنفها نفسه من تعقيبات تربط أسماء

---

١٢٢ ـ (تاريخ الآداب العربية) : لبروكلمان ج ١ ص ٣٠٧ ، ملحق ٣ ص ٣٤٥

١٢٣ ـ من المصنفات التى تبين بالبحث أنها ليست له كتاب (استحسان الخوض فى علم الكلام) وهو ما سبق وأشرنا اليه ـ أنظر كتاب (كتب منسوبة للأشعرى للدكتورة فوقية حسين محمود [تحت الطبع] ٠

١٢٤ ـ تاريخ التراث العربى لفؤاد سزجين ج ١ ص ٦٠٢

١٢٥ ـ أنظر ما ورد عن هذا المصنف فى هذه الدراسة بعد ٠

١٢٦ ـ أنظر ما ورد عن هذا المصنف فى هذه الدراسة بعد ٠

بعض كتبه ببعض ، مما يجعل الباحث يميل الى افتراض أنها أسماء لأبواب أو فصول من بعض الكتب التى صنفها ، وهو ما رآه بعض الدارسين ٠

وهذا رأى يجب استبعاد تعميمه ؛ لأن المصنّف قد خص بعضها بأن بينه صلة ارتباط ، وبالتالى ما لم يذكر هذا عنه من كتبه فهو مستقل ، ثم ان كتبه التى بين أيدينا قد وردت أسماؤها فى هذا الحصر ، وهى كتب أو رسائل أو مسائل قائمة بذاتها ، مما يبين أن ما ورد اسمه مستقلا فى هذه القوائم فهو يقوم بذاته ، ويمثل مصنفا مستقلا ٠

أقول هذا رغم ما ارتآه بعض الدارسين بالنسبة لكتاب (المقالات) الذى رأوا أنه مكون من ثلاثة كتب ٠

وهذا رأى رغم قيمته قابل للمناقشة على نحو ما سنبيّن بعد ٠ والحصر الذى يقدمه لنا ابن فورك يتكون من قسمين : الأول ٠ حتى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م والثانى : من سنة ٣٢٠ هـ /٩٣٥ م الى ٣٢٤ هـ / ٩٣٩ م وهو تاريخ وفاة الأشعرى ٠

ويلاحظ أن القسم الأول يبدأ من سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٥ م) وهو تاريخ خروجه عن الاعتزال أى أن الكتب الوارد ذكرها فى هذه القائمة بقسميها ليست فى الاعتزال ٠ اللهم الا مصنفا واحدا وهو (كتاب فى باب الشىء) ذكر بعد ذلك أنه نقضه بكتاب ٠ (نقض رأيه فى كتاب الشىء السابق) ٠ مما يبين أنه ليس على آراء أهل السنة ٠ أى أنه فى الاعتزال بدليل أن الأشعرى قد نقضه ٠

وقد أضاف ابن عساكر الى هذين القسمين عددا من المصنفات أثبتها للأشعرى وهو ما سنعرض له عقب تعرضا لحصر ابن فورك ٠

وما هو جدير بالذكر أن ابن فورك لم يقدم تبريرا لتقسيمه قائمة مصنفات الأشعرى الى قسمين كما لم يبين ذلك ابن عساكر ٠

ولعل الدافع اليه مكان اقامة الأشعرى ٠ فتكون المصنفات الواردة قبل سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م) قد صنفها بالبصرة والأخرى ببغداد ٠ وان كان لدينا من الدلائل ما يؤكد أن هذه السنة هى تاريخ انتقاله من البصرة الى بغداد ، فكل ما نعلمه أنه ترك البصرة فى أخريات أيامه ٠

ولما كان الدارسون قد تعرضوا لمضمون القائمة كتابا كتابا ، اما بالتعليق أو بمجرد تسجيل الاسم ، فسنثبت آراءهم حول كل كتاب علقوا عليه ، ونعقب بما نراه كلما احتاج الأمر الى ذلك ٠

وبهذا تكون دراستنا لمصنفات الأشعرى موزعة على النحو التالى :

أولا : اثبات تعليقات الدارسين القدامى والمحدثين على مصنفاته والتعقيب على هذه التعليقات ، دون تفرقة بين كتاب له نسخة بين أيدينا أو ليس له نسخة وورد اسمه فى المصادر القديمة ٠

ثانيا : التعريف بمصنفاته التى لها نسخ بين أيدينا المخطوط منها والمطبوع مع الإشارة الى المنسوب منها اليه ٠

ولنبدأ الآن بدراسة ما ورد فى قائمة ابن فورك لإثبات تعليقات **الدارسين المحدثين والتعقيب عليها ٠**

أولا ـ قائمة ابن فورك ـ اثبات تعليقات الدارسين والتعقيب عليها :

(أ) القسم الأول من قائمة ابن فورك لكتب الأشعرى وهى تضم انتاجه حتى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م :

١ ـ العمد فى الرؤية :

ورد فى (التبيين) لابن عساكر أنه ذكرت به أسامى كتب الأشعرى حتى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م نقلا عن ابن فورك ٠

وقد نشر ابن عساكر جزءا منه (العمد فى الرؤية) فى كتابه ، وهو ما ذكره فؤاد سزجين فى قائمة كتب الأشعرى التى ما زالت موجودة بين أيدينا(١٢٧) ٠

ولعله يكون من المفيد هنا أن نذكر أن هذا الكتاب ليس فى (الرؤية الصالحة) التى اهتم الأشعرى بتجميع الأحاديث فيها عقب رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم فى منامه ثلاث مرات(١٢٨) وهو ما يجوز أن يكون قد جعله موضوع كتاب له آخر (فى الرؤية)(١٢٩) ، وذلك لأن الجزء المنشور فى كتاب (التبيين) لابن عساكر يدل على ذلك ٠ ونرجح أن يكون المقصود بالرؤية هنا تبيّن أصول الوقفة الصحيحة التى تكشف عن

---

١٢٧ ـ (تاريخ التراث العربى) لفؤاد سزجين ج ١ ص ٦٠٢ ويلاحظ أننا بدأنا بذكر هذا الكتاب رغم ترتيبه المتأخر عند ابن فورك لأنه الكتاب الذى وردت به أسماء الكتب الأخرى التى ضمنها القسم الأول من قائمته [أنظر صفحة ١٣٥ من تبيين كذب المفترى لابن عساكر] ٠

١٢٨ ـ أنظر الدراسة عن ذلك فى هذا التقديم ٠

١٢٩ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا التقديم ٠

انتمائه الى السلف الصالح ، وتكون كتبه التى ضمنها هـذا المصنف دليل على ذلك · ولم يعلق عليه أحـد من الدارسين المحدثين بأكثر ممـا أثبتنـاه عن فؤاد سرجين ·

٢ ـ **الفصـــول :**

يقول ابن فورك : (وهو كتاب فى الردّ على الملحدين والخارجين عن الملة كالفلاسـفة ، والطبائعيين ، والدهريين ، وأهل التشبيه ، والقائلين بقـدم الدهر على اختلاف مقالاتهم ، وأنواع مذاهبهم ، كما ردّ فيه على البراهمـة واليهود والنصارى والمجوس · وهو كتاب كبير يشتمل على اثنى عشر كتابا ، ويستهله باثبات النظر وحجة العقـل والردّ على من أنكر ذلك · ثم علل الملحدين والدهريين ممـا احتجوا بها فى قدم العالم ، وتكلم عليها ، واستوفى ما ذكره ابن الراوندى فى كـتابه المعروف بكتاب (التـاج) وهو الذى نصر فيه القول بقدم العالم)(١٣٠) ·

وقد علق مكارثى عليه بأن قال انه ربما يكون عنوان الـكتاب (أصول) وليس (فصول) غير أنى أرى أن محتويات الـكتاب لا ترجح هـذا الرأى ، اذ يتبين أنه فى الردّ على فرق متعددة ، وليس فى عرضه أصول المـذهب ، ولذلك فمن الأفضل ارجاء الأخذ بهذا الرأى لحين العثور على الكتاب والاطلاع عليـه ·

كما ذكر سيادته أنه ربما يكون المقصود بالدهرية هنا الأبيقوريون)(١٣٢) وهـذا أمر جائز · كما عبّر عن اطمئنانه الى صحة نسبة الكتاب الى الأشعرى اذ وردت المسائل التى يتضمنها فى كتب أخرى له ، نبّـه الى أن تريتون Tritton قد بيّن أن كتاب (التاج) من كتب الراوندى التى تستحق الدراسة(١٣٣) ·

---

١٣٠ ـ (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ١٢٩ ، ١٣٠

١٣١ ـ مذهب الأشعرى فى الاعتقاد من كتاب (مذهب الأشعرى فى الكلام) ص ٢٠٢ للأب مكارتى ، بيروت ١٩٥٣

١٣٢ ـ نفس المرجع السابق ·

١٣٣ ـ أنظر مقدمة تريتون Tritton ص ٦٤ [أنظر صفحة ٢١٢ من مكارثى] ·

٣ ـ **المـــوجز :**

يقول ابن عساكر ان هـذا الكتاب يشتمل على اثنى عشر كتابا حسب المخالفين من الخارجين على الملة والداخلين فيها ... وآخره كتـاب الإمامة حيث أثبت امامة (الصديق) رضى الله عنه ، مبطلا قول من قال بالنص عليها ، كما أبطل القول بانه لا بد من امام معصوم فى كلّ عصر(١٣٤) .

وعلق مكارثى على هـذا الكتاب بأن قال : انه عرض أو سرد لنفس عدد المسائل الواردة فى كتبه الأخرى .. وأن مسألة (الامامة) قد وردت فى آخر الكتاب ، كما هو الأمر بالنسبة لكتابيـه (اللمع فى الردّ على أهـل الزيغ والبدع) و (الابانه عن أصول الديانة) مما يؤكد أن الكتاب لـه ـ وورود مسألة الإمامة فى النهاية ، تكشف عن اتجاهه السنى لأن وضع المسألة على هذا النحو يرجع الى أنها مسألة ليسـت عقائدية ، ويقول مكارثى ان هـذا ما لاحظه فى كتاب (التمهيد) للباقلانى والإرشاد للجوينى (والاقتصـاد للغـزالى) ويذكر أن الجوينى قد أثبت أنهـا ليست أصـلا من أصـول الاعتقاد)(١٣٥) .

٤ ـ **كتاب فى خلق الأعمال**(١٣٦) .

نقض فيـه (اعتلالات المعتزلة والقدرية فى خلق الأعمـال) وكشف عن تمويهم فى ذلك .

وقد لاحظ مكارثى أن ماورد فى الكتاب هو موضوع المسألة الخامسة من كتاب اللمع(١٣٧) .

٥ ـ **كتاب فى الاستطاعة**(١٣٨) :

وهو على المعتزلة ، (نقض فيه استدلالاتهم ومسـائلهم وجواباتهم ،

---

١٣٤ ـ أنظر : (التبيين) لابن عساكر ص ١٢٩

١٣٥ ـ أنظر دراسة مكارثى عن الأشعرى . صفحة ٢١٣ أما الإشارة عن(أن الإبانة ليست أصلا الواردة فى الإرشاد) للجوينى فانظر من صفحة ٢٣١ الى ٣٤٤ (طبعة القاهرة) .

١٣٦ ـ أنظر : (تبيين) ص ١٢٩

١٣٧ ـ أنظر دراسة مكارثى ص ٢١٣

١٣٨ ـ أنظر (تبيين) ص ١٢٩ ودراسة مكارثى ص ٢١٣

وقد لاحظ مكارثى أيضا أن هذه المسألة قد وردت فى كتابه (اللمع) المسألة السادسة ٠

٦ ـ **كتاب كبير فى الصفات**(١٣٩) :

قيل فى (التبيين) انه تكلم فيه عن أصناف المعتزلة والجهمية والمخالفين له فيها ، فى نفيهم علم الله وقدرته وسائر صفاته وخص فيه بالذكر : كل من قال بقدم العالم) كما قيل ان هذا الكتاب قد تعرض (لفنون كثيرة من فنون الصفات فى اثبات الوجه(١٤٠) لله واليدين ٠ وفى استوائه على العرش ، كما تحدث عن (ابى العباسى ومذهبه فى الأسماء والصفات ٠

أما مكارثى(١٤١) فلم يزد سوى أن الدراسات التى قام بها كل من تريتون ، وواط ، تحوى التعريف بالشخصيات الواردة فى هذا الكتاب مثل معمر وغيره ٠ وأشار بالرجوع الى تريتون ٠ ويقصد مكارثى بهذه الإشارة تقريب مضمون الكتاب الى الأذهان بالاطلاع على التعريف بالشخصيات المنتمية الى هذه الفرق فى دراسات هذين المستشرقين ، لأن كتاب الأشعرى هذا ليس من الكتب التى بين أيدينا ٠

٧ ـ **كتاب فى جواز رؤية الله بالأبصار**(١٤٢) :

نقض فيه جميع أدلة المعتزلة فى نفى الرؤية ولم يعلق مكارثى على الكتاب وكذا بدوى ٠

٨ ـ **كتاب فى اختلاف الناس فى الأسماء والأحكام والخاص والعام**(١٤٣) :

---

١٣٩ ـ أنظر (تبيين) ص ١٢٩

١٤٠ ـ أنظر كتاب (مذاهب الإسلاميين) للدكتور عبد الرحمن بدوى حيث صحح الإسم الذى كان فى التبيين (الناشى) كما أضاف فى الهامش عند ذكر اسم الكتاب ما يلى : (ذكره عبد القاهر البغدادى فى (أصول الدين) ص ١١٥ طبعة استنبول سنة ١٣٢٨) ٠

١٤١ ـ قال مكارثى : (أنظر ص ٢١٤ من دارسته) انه للحصول على مزيد من المعلومات ، ينظر تعليقات كل من : تريتون وواط على الشخصيات أنظر مثلا صفحة ١٠٠ من كتاب دراسة تريتون) ٠ هذا ما علق به مكارثى على هذا الكتاب ٠

١٤٢ ـ أنظر : (تبيين) صفحة ١٢٩

١٤٣ ـ المرجع السابق صفحة ١٣٠

ويعلق مكارثى على هذا الكتاب بأنه فى (الأحكام) على الكبائر أو الكبيرة grave sin ويردنا الى كتاب اللمع بالنسبة لهذا المسائل(١٤٤) ٠

٩ ـ **كتاب فى الردّ على المجسمة**(١٤٥) :

ليس هناك تعليق على هذا الكتاب الذى ورد عند مكارثى أنه عن المشبهة ٠

١٠ ـ **كتاب فى الجسم**(١٤٦) :

يقول ابن عساكر عن الأشعرى (نرى أن المعتزلة لا يمكنهم أن يجيبوا على مسائل الجسمية كما يمكننا ذلك) ثم يقول أى الأشعرى (وبينا لزوم مسائل الجسيمة على أصولهم) ٠

وتعليق مكارثى على الكتاب أنه كان تفسيريا حيث اكتفى ببيان المقصود بالتجسيم ٠

١١ ـ **ايضاح البرهان فى الردّ على أهل الزيغ والطغيان**(١٤٧) :

وقد ورد أن الأشعرى قد صرح بأنه جعله (مدخلا للموجز) ٠ وقد تكلم فيه عن (الفنون التى تكلم فيها فى الموجز) وليس لمكارثى أو غيره تعليق على هذا الكتاب ٠

١٢ ـ **اللمع فى الردّ على اهل الزيغ والبدع**(١٤٨) :

وهذا الكتاب هو الذى نشره مكارثى فيما نشر للاشعرى فى المجموعة التى قدم لها بدراسة(١٤٩) ٠ وقد نشر الكتاب من بعده دكتور حمودة غرابة(١٥٠) ٠ وورد عند ابن عساكر انه كتاب (لطيف) وعلق عليه بدوى بأنه (صغير الحجم) ولعله قارنه بمقالات الاسلاميين أو تأثر فى هذا الوصف بما

---

١٤٤ ـ أنظر : اللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبدع ٠ الكلام عن الكبائر والعموم والخصوص ـ وهو ما ورد بدراسة مكارثى بصفحة ٢١٤

١٤٥ ـ أنظر : (تبيين) صفحة ١٣٠ ـ ودراسة مكارثى صفحة ٢١٤

١٤٦ ـ أنظر : (تبيين) صفحة ١٣٠ ومكارثى صفحة ٢١٤

١٤٧ ـ أنظر : (تبيين) صفحة ١٣٠ ومكارثى ٢١٥

١٤٨ ـ ورد ذكره فى (التبيين) صفحة ١٣٠ ومكارثى ٢١٥

١٤٩ ـ كتاب The Theology of al-Asha'ri - by Mc-Carthy Beyrouth 1953.

ورد عن كتاب آخر قيل عنه (اللمع الكبير) وهو الوارد بعد ٠

١٣ ـ اللمع الكبير(١٥١) :

ورد عنه انه جعله مدخلا للبرهان ويرى مكارثى أنه يمكن قراءة اسم هذا الكتاب (اللمع أو اللّمع أى Brightness أو Flashing وأن هذه القراءة الأخيرة تناسب أكثر مضمون الكتاب الذى يضم اليه(١٥٢) ٠

١٤ ـ اللمع الصغير(١٥٣) :

ورد أنه جعله مدخلا الى اللمع الكبير ـ ويلاحظ أنه بذلك قد ربط بين عدة كتب هى ، اللمع الصغير واللمع الكبير ، والإيضاح ، والموجز ـ بما يسمح لنا بأن نقول ان هذه الأربعة يمكن أن تكون كتابا واحدا وليس للدارسين المحدثين تعليق عليه ٠

١٥ ـ الشرح والتفصيل فى الردّ على أهل الإفك والتضليل(١٥٤) :

يقول ابن عساكر ان مؤلفه قال : (وجعلناه للمبتدئين ومقدمة ينظر فيها قبل كتاب اللمع ، وهو كتاب يصلح للمتعلمين ٠

وقد أشار مكارثى(١٥٥) بأن الأشعرى قد راعى التبسيط فى عدد من مصنفاته منها هذا المصنف ٠

١٦ ـ كتاب مختصر مدخل الى الشرح والتفصيل(١٥٦) :

ويتبين من عنوان هذا المؤلف أنه يصح أن يضم للكتاب السابق ٠

١٧ ـ كتاب فى نقض كتاب الأصول(١٥٧) :

---

١٥٠ ـ نشرة المرحوم د ٠ حمودة غرابة سنة ١٩٥٥ [أنظر هامش رقم ٢ من التصدير ٠
١٥١ ـ (تبيين) صفحة ١٣٠
١٥٢ ـ مكارثى ٢١٥
١٥٣ ـ (تبيين) ١٣٠ ، مكارثى ٢١٥
١٥٤ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٠
١٥٥ ـ مكارثى ص ٢١٥
١٥٦ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٠
١٥٧ ـ نفس المرجع السابق ٠

(يقصد أصول محمد بن عبد الوهاب الجبائى) يقول : (كشفنا فيه عن تمويهه فى سائر الأبواب التى تكلم فيها عن أصول المعتزلة) ثم يضيف الأشعرى أنه ذكر فيه أيضا (ما للمعتزلة من الحجج التى لم يوردها الجبائى فى هذا الكتاب وأنه نقضٌ كل هذا (بحجج الله الزاهرة وبراعته الباهرة) ثم يصرح بأن ما ضمنه هذا النقض يمثل ردوده فى) الفنون التى اختلف فيها معهم : هذا ما يرد عند ابن عساكر على لسان الأشعرى) ٠

ومن أهم ما يعلق به مكارثى على هذا المصنف قوله : (هذا الجبائى الذى كان معلم الأشعرى لفترة طويلة)(١٥٨) ٠

١٨ ـ كتاب كبير نقض فيه الكتاب المعروف بنقض تأويل الأدلة للبلخى فى أصول المعتزلة(١٥٩) :

أثبت ابن عساكر أن الأشعرى قال عن هذا الكتاب : (أبنا فيه شبهه التى أوردها بأدلة الله الواضحة وأعلامه اللائحة ، وضممنا الى ذلك نقض ما ذكره من الكلام فى الصفات فى عيون المسائل والجوابات) ٠

وقد علق مكارثى على هذا المصنف بأن التعريف به غير واضح ؛ لأن العبارة العربية بها شىء من الغموض ، ولكن الكتاب للبلخى الذى يقال له أيضا الكعبى(١٦٠) ٠

١٩ ـ مقالات الاسلاميين(١٦١) :

يقول عنه ابن عساكر أن هذا المصنف (يستوعب جميع اختلافهم ومقالاتهم) ويثبت مكارثى(١٦٢) أنه منذ أن نشره ريتر Ritter باستنبول سنة ١٩٢٩ ومحيى الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٥٠ جـ ١ ، وهذا الكتاب يعتبر المرجع الخصب لمن يدرس تطور الفكر الكلامى الإسلامى ٠

---

١٥٨ ـ مكارثى ص ٢١٦ ولقد أشار الى من يتفقا معه فى الرأى بصدد هذا المصنف وهما واط Watt (أنظر كتابه من ص ٨٣ الى ٨٦) وثريثون Tritton من صفحة ١٤١ الى ١٤٩

١٥٩ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٠

١٦٠ ـ مكارثى ص ٢١٦ أنظر ثريثون من ص ١٥٧ ـ ١٦١ وواط من ١٨٠ ـ ٨١

١٦١ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٠

١٦٢ ـ مكارثى ص ٢١٦

١٦٣ ـ (مذاهب الإسلاميين) للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٥٢٣

أما الدكتور عبد الرحمن بدوى فقد علق على هـذا الكتاب تعليقا طويلا • ومن أهم ما ورد فى حديثـه ، ما ذكره عن جزئى الكتاب وما يلاحظ فيهـا من تكرار بالنسبة لبعض المسائل ، على اعتبار أن عرض الأراء يـكون تارة اعتمادا على الفرق وأخرى على المسائل • وهو يثبت هذا التعليق عن ريتـر Ritter الذى صرح به فى مقدمة نشرته للكتاب(١٦٤) مبينا أن ريتـر بدوره اسـتند فيه الى ما قاله بعض الناقدين القدامى عن الأشـعرى من أنه لم يكن يحسن التصنيف(١٦٥) وينتهى الى أنه هو أيضا يلاحظ فى (الكتاب مقالات الاسلاميين) : (كثرة التفريع أحيانا بدون موجب ، وكثرة التكرار للرأى الواحـد فى مواضـع متعددة ، وعـدم الفصـل بين مذاهب الفـرق بوضوح) •(١٦٦) ثم يضيف : (ومن هنـا تساءل البعض : هل الـكتاب بنصه الحالى وحد ؟ أم ثلاثة كتب : الأول ، من صفحة ١ الى ٢٩٧ والثـانى من صفحة ٣٠١ الى ٤٨٢ والثـالث من صـفحة ٤٨٣ الى ٦١١ ويثبت رأى ستروثمان Strothman (١٦٧) الذى يرى أنه حدث تداخل بين أجزاء الكتاب وكذلك رأى آلار حيث بين أنه يرى نفس ستروثمان وهو أن (المقالات) تنقسم الى ثلاثة كتب ، ولكن مع اضافة تسمية لكل من هذه الكتب • الأول : (المقالات) الثانى : (كتاب فى دقيق الكلام ؟ والثالث : (كتاب فى الأسماء والصفات) وهو ما لا يقره (١٦٨) • ويرى أنها محاولة لإبعاد صفة عدم حسن التأليف) عن الأشعرى ، على اعتبار أنها صفة لا وجود لهـا فى كتبه الأخرى ، التى بين أيدينا مثل : (الإبانة عن أصول الديانة) • (واللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبـدع) والرسالتين ، ويهـاجم بالتالى كل ما بنـاه آلار على هـذا الفرض الأول بالنسـبة لتصنيف هذه الـكتب أو الأقلام لصـنيفا زمنيا(١٦٩) • وما يبرر هذا التصنيف من أحـكام تخص تحليل مضـمون هذه الأقسـام المقترحة(١٧٠) • وينتهى بدوى فى نقده الى اثبات أنه (لا تناقض فى تاليف

---

١٦٤ ـ أنظر تقديم ريتر Ritter لكتاب (المقالات) للأشعرى استنبول سنة ١٩٢٩ ص ١٢

١٦٥ ـ (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ٩١

١٦٦ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى صفحة ٥٢٣

١٦٧ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٥٢٦ وأيضا هامش رقم ٣ من هـذه الصفحة حيث ورد Islamiche Konl-essionskunde S. 198 in Der Islam XIX 1931 — Strothman.

١٦٨ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى صفحة ٥٢٦

١٦٩ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٥٢٧

١٧٠ ـ أنظر أقوال آلار هذه فى كتابه (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى والأشعرية من صفحة ٦٠ الى ٧٢

الكتاب) وأنه ليس بازاء ثلاثة كتب مختلفة (جمعهـا فى كتاب واحـد من لا ندرى من هو) وهذا رأى أوافق عليه وان كنت أخالف بدوى فى أسـلوب نقده للباحثين ٠

وبعد أن ينتهى من ذلك يتعرض لاسم الكتاب فيقول ان اسم الكتاب يجب أن يكون : (مقالات المسلمين) وليس (مقالات الاسلاميين) فهذا ما جاء فى (عنوانات المخطوطات) لأنه اسـتعمال غير مألوف وقـد جرى العـرف على استعمال اسم الفاعل (مسلم) و (مسلمين(١٧١) ٠

غير اننى أرى ان ما يجب أن نقف عنده فيمـا صرح به آلار بخصوص هذا الكتاب هو رأيه فى هدف الأشـعرى من كتابة ، اذ قال بأن الأشـعرى أراد بتصنيف هذا الكتاب تقريب معرفة مختلف تيارات الفـكر الدينى من أذهان الناس ليتربطوا بها ٠ ويعتنقونها(١٧٢) وهو ما لا يمثل حقيقة رأى الأشعرى الذى يهدف الى دحض آراء الفرق الكلامية على اختلافها وليس تقريب أقوالها من أذهان النـاس ٠ فهذا التصريح لآلار هو الذى يستحق التعقيب لأنه يجعل من الأشعرى داعية لأقوال فرق ، كرس حيـاته ، بعد خروجه عن الاعتزال للقضاء عليها ببيان فضائحها وسوء تأويلها للحقائق الدينية ٠

ثم رأيه هذا له خطورته بالنسبة لمكانة امام سنى صرح بأنه ينتمى الى السلف الصالح ، وجعل قلمه ولسانه من أجل الدفاع عن أصولهم فى تناول العقـائد ٠

٢٠ ـ **جمـل المقـالات** (١٧٣) :

ويبين ابن فورك أنه فى : (جمـل مقالات المحدين ، وجمـل أقاويل الموحدين) ، وليس لمكارثى أو بدوى أو آلار أو غيرهم تعليقا على هذا المصنف

٢١ ـ **الجوابات فى الصفات ، عن مسائل اهل الزيغ والشبهات**(١٧٤) :

كتاب كبير فى الصفات ، يقول عنه ابن عساكر أنه أكبر كتبه ، ويصرح أبو الحسن الأشعرى بصدده : (نقضنا فيه كتابا ٠ كنا ألفناه قديما فيهـا

---

١٧١ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥٢٨
١٧٢ ـ (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى والأشعرية ص ٦٠
١٧٣ ـ (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ص ١٣١
١٧٤ ـ نفس المرجع السابق ٠

على تصحيح مذهب المعتزلة ، ولم يؤلف لهم كتاب مثله ، ثم أبان الله سبحانه وتعالى لنا الحق ، فرجعنا عنه ، وأوضحنا بطلانه)(١٧٥) ٠

ويتبين الباحث فى هذا القول للأشعرى أنه صنف فى الاعتزال ولكنه رجع عن هذا التصنيف ونقض بكتابه هذا (الجوابات ٠٠٠) ما جاء فيه ٠ ولم يعقب على هذا المصنف أى من الدارسين المحدثين ٠

٢٢ ـ كتاب على ابن الرواندى فى الصفات والقرآن(١٧٦) :

لم ترد أية معلومات عن هذا الكتاب سوى ما رود فى التعريف بموضوعه وهو أنه فى الردّ على ابن الراوندى ٠ فى مسألتين ٠٠ والمقصود (بالقرآن) هو مشكلة (خلق القرآن) التى كان يقول بها المعتزلة ٠

٢٣ ـ كتاب نقض فيه كتابا للخالدى الفه فى القرآن والصفات قبل أن يؤلف كتابه الملقب بالملخص(١٧٧) :

وقد قال مكارثى انه يصعب عليه التعرف على من هو الخالدى(١٧٨) ٠٠ وأغلب الظن أنه من القائلين برأى المعتزلة فى مشكلتى (خلق القرآن) (والصفات) فهذا يتبين من واقع موضوع ردود الأشعرى عليه ، وأيضا من موضوع الكتاب التالى مباشرة ٠ حيث الكلام فى مسائل معتزلية ٠

٢٤ ـ كتاب (القامع لكتاب الخالدى فى الإرادة ، ارادة الله تعالى ، وأنه شاء مالم يكن ، وكان مالم يشأ(١٧٩) :

ولم يرد بصدده أكثر مما أثبتناه ولم يعلق عليه الدارسون المحدثون ٠

٢٥ ـ نقض (المهذب) للخالدى(١٨٠) :

ورد فى التبين أنه : (نقض فيه كتابا للخالدين ، فى المقالات سماه

---

١٧٥ ـ نفس المرجع السابق ٠
١٧٦ ـ نفس المرجع السابق ٠
١٧٧ ـ نفس المرجع السابق ٠
١٧٨ ـ مكارثى ص ٢١٧ حيث صرح هو أيضا بأنه تعذر عليه التعريف به تعريفا كاملا ٠
١٧٩ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣١
١٨٠ ـ أنظر تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣١

(المهذب) وسميناه (نقض فيما يخالفه فيه من كتابه (الدامع للمهذب) ويرجح مكارثى أن الخالدى قد أراد أن يصحح بعض مسائل بالمقالات للأشعرى(١٨١) ٠ وأثبت بدوى نفس رأى مكارثى ٠

٢٦ ـ **كتاب نقض للخالدى(١٨٢) :**

يرد فى (التبيين) أنه الكتاب الذى نفى فيه رؤية الله تعالى بالأبصار ولم ترد عنه أية تعليقات من الدارسين المحدثين : مستشرقين وعرب بل هو ساقط من القائمة الواردة فى دراسة بدوى ٠

٢٧ ـ **كتاب على الخالدى نقض فيه كتابا ألفه فى نفى خلق الأعمال وتقديرها عن رب العالمين(١٨٣) :**

ولا توجد أية تعليقات لا من قبل القدامى ولا المحدثين بالنسبة لهذا الكتاب ٠ ونقول انه من الواضح أنه فى مواصلة الردّ على هذا المعتزلى الذى يتعذر التعرف على شخصيته كاملة ، وهو ما صرح به مكارثى أيضا قبل ذلك عند تناوله التعريف بأول كتاب له ، وهو كتاب رقم ٢٣ فى قائمتنا(١٨٤) ٠

٢٨ ـ **كتاب نقض به على البلخى كتابا ذكر أنه أصلح به غلط ابن الراوندى فى الجدل(١٨٥) :**

ولم يرد عنه فى التبيين أكثر من ذلك ٠ ولم يعلق عليه من المحدثين سوى مكارثى من أجل تفسير لفظ (جدل) ٠ الذى عبر عنه فى ترجمته بلفظين ، وقربه بذلك من المقصود بلفظ (جدل) بالمنطق(١٨٦) ٠

٢٩ ـ **كتاب فى الاستشهاد(١٨٧) :**

ورد عنه عند ابن عساكر أن الأشعرى بيّن فيه كيف يلزم المعتزلة على محجّتهم فى الاستشهاد بالشاهد على الغائب ، أن يثبتوا علم الله وقدرته

---

١٨١ ـ مكارثى صفحة ٢١٧
١٨٢ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣١
١٨٣ ـ نفس المرجع السابق ٠
١٨٤ ـ مكارثى صفحة ٢١٧ [أنظر هامش رقم ١٩٦] ٠
١٨٥ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٣١
١٨٦ ـ مكارثى ص ٢١٨ حيث قال فى تعليق رقم ٦٨
Jadal seems to mean "argumentation or Logic
١٨٧ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣١

وسائر صفاتهم ، ويشير مكارثى(١٨٨) فى تعريفه بهذا الكتاب ، الى أن الباقلانى وقف نفس الوقفة من دليل الشاهد على الغائب وذلك فى كتابه التمهيد(١٨٩) ، كما أثبت رأى من يعتبر أن دليل الشاهد على الغائب من الأصول الخاطئة لأقوال الخارجين على المذهب ٠

٣٠ ـ **المختصر فى التوحيد والقدر**(١٩٠) :

يرد فى ابن عساكر أنه فى أبواب من الكلام منها : (الكلام فى اثبات رؤية الله بالأبصار ، والكلام فى سائر الصفات ، والكلام فى أبواب القدر كلها ، وفى التولد وفى التعجيز والتجويز ـ وأنه سألهم فيه عن مسائل كثيرة ، ضاقوا بالجواب عنها ذرعا ، ولم يجدوا الا الانفكاك عنها بمجة سبيلا ٠

ويعلق مكارثى على هذا الكتاب بالإشارة الى كتب الأشاعرة اللاحقين الذين تناولوا مثل هذه المسائل ونخص بالذكر كتاب (التمهيد) للباقلانى ٠ الذى يرى أنه يضم الردود على كل ما قيل فى الصفات الإلهية(١٩١) ويقارن بين التعبيرات المستعملة فى بعض مسائل الكلام مثل التعجيز والتجويز ٠٠٠ الخ(١٩٢) ٠ وقبل ذلك يشير الى (التولد) عند المعتزلة وخاصة عند الخياط فى كتاب (الانتصار) وما قاله كل من واط Watt وتريتون Tritton فى ذلك (١٩٣) ٠

٣١ ـ **شرح أدب الجدل**(١٩٣) :

ويرد ذكره ثانية بصفحة ١٣٤ فى التبيين ٠

ويعلق عليه مكارثى بأنه يرتبط بكتابه السابق فى نقض كتاب البلخى الذى ذكر فيه أنه أصلح به غلط ابن الرواندى فى الجدل(١٩٥) ٠

---

١٨٨ ـ مكارثى ص ٢١٨

١٨٩ ـ أنظر : (التمهيد) للباقلانى طبعة القاهرة صفحة ٧٠ سطر ٢٠ـ٢٣ ، ٧٨ سطر ٢٢ ، ص ٨١ سطر ٧ ، ص ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ وهو ما أثبته مكارثى ٠

١٩٠ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣١ ، ١٣٢

١٩١ ـ أنظر : مكارثى صفحتى ٢١٨ ، ٢١٩ تعليق رقم ١

١٩٢ ـ نفس المرجع السابق تعليق رقم ٣

١٩٣ ـ نفس المرجع السابق تعليق رقم ٢

١٩٤ ـ تبيين كذب المفترى صفحة ١٣٢

١٩٥ ـ مكارثى صفحة ٢١٩

وأرى أن العكس يمكن أن يكون وهو أن هذا الكتاب هو الأصل ، أى هو المصنف الذى بسط فيه الأشعرى أصوله فى الجدل وبين قواعده وآدابه ، وأن الكتاب الأول ، أقصد السابق ، وهو فى الردّ على على البلخى ، ما هو الا تطبيق للأصول الواردة فى هذا المصنف حيث يشرح أدب الجدل ٠

٣٢ ـ **كتاب الطبريين**(١٩٦) :

ورد فى (التبيين) أنه فى فنون كثيرة من المسائل الكثيرة ٠

ويذكر مكارثى بخصوصه أنه هو والكتب الثمانية التالية عبارة عن ردود على أسئلة أرسلت الى الأشعرى من أهل الجهات الوارد ذكرها فى العنوان(١٩٧) وهذا رأى سليم ٠

وأما المسائل التالية فهى ٣٣ ـ جواب الخراسانية ـ ٣٤ كتاب الأرجانيين ، ٣٥ جواب السيرافيين ـ ٣٦ جواب العمانيين ـ ٣٧ جواب الجرجانيين ـ ٣٨ جواب الدمشقيين ـ ٣٩ جواب الواسطيين ـ ٤٠ جوابات الرامهرمزيين ٠

ويتبين من توضيح ابن عساكر نقلا عن ابن فورك أن هذه مسائل فى أبواب (مسائل الكلام) (وأجناسه) (وأنواعه) وأغلبها فيما كان يدور بين الأشعرى والمعتزلة ، (الجرجانيين مثلا) وأنها بالنسبة للدمشقيين كانت فى لطائف الكلام ، وبالنسبة للواسطين (فى فنونه) ، وأما بالنسبة للجوابات الأخيرة وهى لأهل (رامهرمز) ؛ فيبين ابن عساكر أن بعض المعتزلة كان من رامهرمز وكتب يسأله الجواب عن مسائل كانت تدور فى نفسه وأجابه عنها ٠

ويعلق مكارثى بعد ذكر الجوابات للرمهرمزيين بأن هذه الكتب أو المسائل المتعددة والواردة ، من جهات مختلفة تكشف عن اتساع بقعة المهتمين بأسلوب الأشعرى فى الردّ على المعتزلة لدحض آرائهم(١٩٨) ٠

٤١ ـ **المسائل المنثورة البغدادية**(١٩٩) :

يرد فى ابن عساكر أن فيه مجالس دارت بينه وبين أعلام المعتزلة ٠

٤٢ ـ **المنتخل**(٢٠٠) :

ورد فى (التبيين) أنه فى المسائل المنثورات البصريات ٠

---

١٩٦ ـ تبيين كذب المفترى صفحة ١٣٢
١٩٧ ـ مكارثى صفحة ٢١٩
١٩٨ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٢٢٠
١٩٩ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٢
٢٠٠ ـ نفس المرجع السابق ٠

وورد اسمه فيما (أثبته) بدوى (المنتخل فى المسائل المنشورات البصريات(٢٠١) وأثبته مكارثى على نحو ما هو وارد فى التبيين)(٢٠٢) ٠

٤٣ ـ **(الفنون) فى الردّ على الملحدين**(٢٠٣) :

لم يرد فى التبيين أكثر من أنه فى الردّ على الملحدين ولم يعلق عليه المحدثون ٠

٤٤ ـ **النوادر فى دقائق الكلام**(٢٠٤) :

لم يرد فى التبيين أكثر من أنه فى الردّ على الملحدين ولم يعلق عليه الكتب الثلاثة ، الثانى منها ـ التى قسم اليها كتاب (المقالات) تبريرا لظاهرة التكرار بالنسبة لبعض المسائل(٢٠٥) ٠ ويكون آلار بالتالى قد اقترح اسما لأحد الأقسام الثلاثة من بين كتب الأشعرى اعتمادا على الاستئناس بما ورد عن موضوعها وهو ما لم يتبينه بدوى ، الذى نقض(٢٠٦) رأى آلار كما سبق وبيناه ٠

٤٥ ـ **كتاب الادراك فى فنون الطائف الكلام**(٢٠٧) :

علق عليه مكارثى بأنه من الجائز أن يقرأ اسم الكتاب (الأدراك)(٢٠٨) وليس (الإدراك) وهو ما يؤدى معنى مختلفا ٠

٤٦ ـ **نقض الكتاب المعروف باللطيف للإسكافى**(٢٠٩) :

لم يرد عنه أى تعليق سوى ما أثبته مكارثى من مصادر للتعريف بالإسكافى(٢١٠) ٠

---

٢٠١ ـ (مذاهب الإسلاميين) بدوى ص ٥٠٩
٢٠٢ ـ مكارثى ص ٢٢٠
٢٠٣ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٢
٢٠٤ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٠٥ ـ مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى والأشعرية : آلار من صفحة ٦٠ الى ٧٢
٢٠٦ ـ أنظر : كتاب المقالات فى هذه الدراسة ٠
٢٠٧ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٢
٢٠٨ ـ مكارثى ص ٢٢٠ ، ٢٢١ لفظ (الادراك) الأول بفتح أوله والثانى بكسر أوله ٠
٢٠٩ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٢
٢١٠ ـ مكارثى صفحة ٢٢٢

٤٧ ـ كتاب نقض فيه كتابا على : على بن عيسى(٢١١) :

وقد أثبت مكارثى تعريفا بعلى بن عيسى الذى قال عنه انه وزير شهير وكتب عنه براون Brown دراسة شيقة(٢١٢) ٠

٤٨ ـ كتاب نقض فيه كلام عباد بن سليمان فى دقائق الكلام(٢١٣) :

اثبت بدوى هذا الكتاب ٠ وبيّن مكارثى الدراسات التى تعرف بعباد(٢١٤) ٠

٤٩ ـ المختزن(٢١٥) :

ورد فى التبين أنه (فى ضروب من الكلام ـ وأن الأشعرى قد ذكر فيه مسائل للمخالفين ، لم يسألوه عنها ، ولا سطروها فى كتبهم ، ولم يتوجهوا للسؤال ، وأجاب عنها بما وفقه الله تعالى) ٠

وورد فى تعليق للكوثرى أن هذا الكتاب ، هو كتاب تفسير القرآن للأشعرى(٢١٦) وبالتالى يكون للأشعرى كتابان باسم (المختزن) أحدهما هو هذا ، والثانى هو التفسير ، وهذا أمر غير مقبول ، الأمر الذى يجعلنا نرى أن ابن فورك قد أخطأ فى تسجيل اسم أحد الكتابين ٠ ويرى مكارثى أن القاضى أبو بكر بن العربى(٢١٧) يرى نفس الرأى ٠

٥٠ ـ كتاب فى باب (شىء)(٢١٨) :

ورد فى (التبيين) ما يلى : (وأن الأشياء هى أشياء وان عدمت) وقد بين ابن عساكر نقلا عن ابن فورك أن هذا الكتاب قد رجع عنه الأشعرى

---

٢١١ ـ أنظر : دراسة براون Brown كمبردج ولندن ١٩٢٩

٢١٢ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣

٢١٣ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣

٢١٤ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥٠٩ وقد ذكر مكارثى مصادرا عنه وهى : Tritton p.p. 115—199, Watt p.p. 81—83.

وهو من المعتزلة وقد ورد اسمه فى كتاب الانتصار ٠

٢١٥ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٣

٢١٦ ـ نفس المرجع السابق ص ٢٩ ، ١٣٦

٢١٧ ـ مكارثى ص ٢٢١

٢١٨ ـ تبيين كذب المفترى ١٣٣

اذ يقول : (... رجعنا عنه ونقضناه) . ثم يضيف : (فمن وقع اليه فلا يعولن عليه)(٢١٩) .

ويلاحظ أن الأشعرى يورد فيه رأيا من الآراء التى رجع عنها لأنها كانت على أصول المعتزلة ، وفعلا أن تعريف المعتزلة للشىء هو أنه (المعلوم) وليس (الموجود) كما يثبته أهل السنة والجماعة(٢٢٠) .

ويشير مكارثى فى تعقيبه أن الباقلانى يعرف (الشىء) ويبين أنه ليس المعلوم أو المعدوم(٢٢١) .

٥١ ـ نقض رأيه فى كتاب (الشىء) السابق(٢٢٢) :

ويبدو أنه جزء من الكتاب السابق . لذلك يضمه كل من مكارثى(٢٢٣) وبدوى(٢٢٤) اليه اذ أنه الجزء الذى ينقض فيه رأى المعتزلة .

٥٢ ـ كتاب فى الإجتهاد فى الأحكام(٢٢٥) :

لم يرد عنه أى تعليق لا من القدامى ولا من المحدثين .

٥٣ ـ كتاب فى أن القياس يخص ظاهر القرآن(٢٢٦) :

لم يرد فى التبين أى تعليق سوى هذا العنوان ، ولم يعلق عليه بدوى(٢٢٧) وقال عنه مكارثى انه ربما يكون فى المشكلة التى ناقشها الأشعرى فى (الرسالة) . ولعله يقصد مشكلة (خلق القرآن)(٢٢٨) .

وأرى أن الأشعرى يقصد أن يبين ضرورة عدم اخراج القرآن عن ظاهره

---

٢١٩ ـ نفس المرجع السابق .
٢٢٠ ـ (التمهيد) للباقلانى ص ٤٠ (طبعة القاهرة) ، (لمع الأدلة) للجوينى (تحقيق دكتورة فوقية حسين محمود) ـ القاهرة ـ ١٩٦٥
٢٢١ ـ مكارثى ص ٢٢١ ، ٢٢٢
٢٢٢ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣
٢٢٣ ـ مكارثى ص ٢٢٢
٢٢٤ ـ (مذاهب الإسلامية) لبدوى ص ٥١٠
٢٢٥ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣
٢٢٦ ـ نفس المرجع السابق
٢٢٧ ـ بدوى ص ٥١٠
٢٢٨ ـ مكارثى ص ٢٢٢

الا لعلة ، وهذه وقفة منهجية تقوم على أصول السلف الصالح فى تفسيرهم الصحيح للقرآن ٠

٥٤ ـ **كتاب فى المعارف**(٢٢٩) :

ورد عنه فى التبين انه لطيف ٠

وعلق عليه مكارثى فقال انه ربما يكون رسالة فى حدّ العلم وأقسامه وذكر أن هـذا ورد فى مستهل كتاب الباقلانى يقصد التمهيد(٢٣٠) ٠

٥٥ ـ **كتاب الأخبار وتخصيصها**(٢٣١) :

وعلق عليه مكارثى بما يبين أن مثل هذا الموضوع قـد ورد فى كـتاب (التمهيد) للباقلانى وتأرجح بين أن يترجم لفظ (الأخبار) بـ (Traditions) أو Testimony (٢٣٢) ٠

٥٦ ـ **الفنون فى ابواب من الكلام**(٢٣٣) :

ورد فى التبيين أن الأشعرى قد قال عنـه (وهو غير كتاب الفنون الذى ألفناه على الملحدين)(٢٣٤) ٠

٥٧ ـ **جواب المصريين**(٢٣٥) :

ورد فى التبيين أنه أتى فيه على كثير من أبواب الكلام ٠

٥٨ ـ **كتاب فى أن العجز عن شىء ليس العجز عن ضده وأن العجز لا يـكون الا من الموجود**(٢٣٦) :

ورد فى التبيين أن الأشعرى نصر فيه من قال بذلك من أصحابه وبيّن مكارثى أنه أشار الى ذلك فى كتابه اللمع(٢٣٧) ٠

---

٢٢٩ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٣
٢٣٠ ـ أنظر : (التمهيد) للباقلانى الفصول الخاصة بالعلم ٠
٢٣١ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣
٢٣٢ ـ مكارثى ٢٢٢
٢٣٣ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣
٢٣٤ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٣٥ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٣٦ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣

٥٩ ـ **المسائل على أهل التثنية(٢٣٨) :**

لم يرد عنه تعليق سوى ما ذكره مكارثى من مراجع عن التثنية(٢٣٩) ٠

٦٠ ـ **كتاب ذكر فيه جميع اعتراض الدهرين فى قول الموحدين(٢٤٠) :**

وبين الأشعرى ـ طبقا لما ورد فى (التبيين) أن الحوادث لا تصح الا من محدث ، وأن المحدث واحد ، وأجبناهم عنه بما فيه اقناع للمسترشدين ، وذكرنا أيضا اعتلالات لهم فى قدم الأجسام ثم ذكر الأشعرى : (وهذا الكتاب غير كتبنا التى ذكرناها فى صدر كتابنا هذا ، وهو موسوم بالاستقصاء لجميع اعتراض الدهريين وسائر أصناف الملحدين)(٢٤١) ٠

ويلاحظ أن مكارثى أورد عنوان هذا الكتاب بصيغة أخرى هى السطر الأخير من تعليق الأشعرى نفسه على هذا الكتاب وهو : (الاستقصاء لجميع اعتراض الدهريين وسائر أصناف الملحدين) ٠ وأضاف أن القارىء فى مقدوره أن يرجع الى مقال عن الدهريه لجولدستهر بدائرة المعارف الإسلامية(٢٤٢) ٠

٦١ ـ **كتاب على الدهريين(٢٤٣) :**

ورد فى التبيين أنه : (فى اعتلالهم فى قدم الأجسام بأنها لا تخلو ، ان لو كانت محدثه من أن يكون أحدثها لنفسه أو لعلة) ٠

ولم يعلق عليها أحد من الدارسين المحدثين ٠

٦٢ ـ **كتاب نقض به اعتراضا على داود بن على الأصبهانى(٢٤٤) :**

ورد فى التبيين أنه فى الاعتقاد ٠

---

٢٣٧ ـ مكارثى ص ٢٢٢ ، واللمع للأشعرى (نشرة مكارثى) ص ١٣٦
٢٣٨ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣
٢٣٩ ـ مكارثى ص ٢٢٣ [وانظر المقال عن التثنية بدائرة المعارف الإسلامية وهو ما ذكره مكارثى] ٠
٢٤٠ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٣
٢٤١ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٤٢ ـ مكارثى ص ٢٢٣
٢٤٣ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٣٣ ، ١٣٤
٢٤٤ ـ نفس المرجع السابق ٠

٦٣ ـ **كتاب تفسير القرآن(٢٤٥)** :

قال عنه الأشعرى : (رددنا فيه على الجبائى والبلخى ما حرّفا من تأويله)(٢٤٦) وللشيخ محمد زاهد الكوثرى تعليق على هذا الكتاب ، وهو : (وغريب من الذهبى أن يزعم أن هذا التفسير مما ألفه على طريقة الاعتزال ، وأنت ترى أنه ما ألفه الا للردّ على المعتزلة) . ثم يضيف فيقول : (ويقع للذهبى أمثال هذا فى تراجم المتكلمين من أهل السنة سامحة الله)(٢٤٧) .

ونرى أن هذا تصريح للذهبى يدخل ضمن الأسباب التى بلبلت الأفكار حول الامام الأشعرى(٢٤٨) .

أما مكارثى فقد أثبت عنوان الكتاب على النحو التالى : (تفسير القرآن (والرد على من خالف البيان من أهل الإفك والبهتان) ، وترد هذه الزيادة عنده بين قوسين على نحو ما أثبتناها ، ويعلق عليها بأنها زيادة من قبل ابن عساكر(٢٤٩) ويضيف بأنه ، استكمالا لما سبق وذكره فى تعليقه على كتاب (المختزن) أن القاضى أبو بكر بن العربى قال عن تفسير الأشعرى أنه (المختزن) . وأضاف ما ذكره عن حجم هذا التفسير الذى قال عنه أنه فى خمسمائه مجلد . وأيضا ما قاله المقريزى من أنه كان فى سبعين مجلد ، وما علق به الكوثرى على هذا من أن اختلاف الحجم يرجع أحيانا الى اختلاف خط الأيدى التى تنسخ الكتاب وتنسقه .

وقد ذكره ابن فورك عدة مرات ، وكثيرا ما رجع اليه فى كتابته . وقال السبكى انه وقعت له نسخ بين يديه . ويقول الكوثرى انه لم يعثر على نسخة له ، وأنه يقال ان أحد المعتزلة وهو ابن عباد(٢٥٠) . قد دفع لحارس خزانة الخليفة عشرة آلاف دينارا ليحرق النسخة الوحيدة لهذا التفسير التى كانت بالخزانة)(٢٥١) . ونرى(٢٥٢) أنه اذا كانت هذه الواقعة حقيقية ، وكانت

---

٢٤٥ ـ نفس المرجع السابق .
٢٤٦ ـ نفس المرجع السابق .
٢٤٧ ـ أنظر التقديم لكتاب تبيين كذب المفترى .
٢٤٨ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا التقديم .
٢٤٩ ـ مكارثى ص ٢٢٣
٢٥٠ ـ يلاحظ أن الأشعرى قد نقض أقوال لعبّاد بن سلمان فى كتاب له [أنظر رقم ٤٨ من القائمة الواردة فى هذه الدراسة] .
٢٥١ ـ مكارثى ص ٢٢٣

نسخة التفسير وحيدة ؛ فكيف نفسر أن السبكى قد اطلع على نسخة له ، والسبكى مؤرخ له قدره وليس هناك ما يدعوه الى ادعاء ما ليس بصدق .

أما بدوى(٢٥٣) فقد ذكر فقط أن البغدادى (عبد القاهر) قد ذكره فى كتابه (أصول الدين)(٢٥٤)

٦٤ - **كتاب زيادات النوادر(٢٥٥) :**

لم يرد أى تعليق عن هذا الكتاب فى التبيين .

وقال عنه مكارثى (٢٥٦) . انه يصح أن يضم الى كتاب النوادر فى دقائق الكلام) السابق ذكره(٢٥٧) .

٦٥ - **كتاب جوابات أهل فارس(٢٥٨) :**

لم يرد عنه أى تعليق لا من القدامى ولا من المحدثين .

٦٦ - **كتاب أخير فيه عن اعتلال من زعم أن الموات يفعل بطبعه(٢٥٩) :**

ويرد فى التبيين أن الأشعرى قال عنه : (ونقضنا عليهم اعتلالهم وأوضحنا عن تويههم ((٢٦٠) .

ولم يعلق عليه أى من الدارسين القدامى أو المحدثين .

ونقول نحن ، أن هذا الكتاب وغيره مما يبرز أساليب الخصوم فى التمويه والمراوغة تحتاج الى حنكة فى معرفة أساليب العقل ، مثل تلك التى اكتسبها الأشعرى قبل خروجه عن الاعتزال ، والتى كان يمكن أن يكتسبها بين أهل السنة لو كانت وجدت مثل هذه الدربة لديهم .

---

٢٥٢ - ويرى مكارثى أن فى هذا تجنى على ابن عباد [أنظر ٢٢٣ من كتاب مكارثى (مذهب الأشعرى فى الاعتقاد) .

٢٥٣ - (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥١١

٢٥٤ - أنظر صفحة ١١٥ من كتاب (أصول الدين) لعبد القاهر البغدادى .

٢٥٥ - تبيين كذب المفترى لابن عساكر صفحة ١٣٤

٢٥٦ - مكارثى ص ٢٢٤

٢٥٧ - أنظر كتابه ٤٤ فى قائمتنا هذه .

٢٥٨ - تبين كذب المفترى ص ١٣٤

٢٥٩ - نفس المرجع السابق .

٢٦٠ - نفس المرجع السابق .

٦٧ ـ **كتاب فى الرؤية**(٢٦١) :

ورد فى التبيين أنه (نقض به اعتراضات اعترض بها عليه الجبائى فى مواضع متفرقة من كتب جمعها محمد بن عمر الصيمرى وحكاها عنه ، فأبان عن فسادها وأوضحه وكشفه)(٢٦٢) ٠

ولم يعلق عليه أحد من الدارسين القدامى أو المحدثين ٠

ونقول نحن ان هذا الكتاب قد يكون فى (الرؤية الصالحة) وهو الموضوع الذى انشغل به الأشعرى لفترة بعد رؤيته للنبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وهو ما صرح به عقب حكايته لهذه الرؤى(٢٦٣) ٠ ومما يرجح هذا الفرض أن الجبائى اعترض عليه ٠ وهذا وضع طبيعى لأن هذه الرؤى الصالحة هى التى أكدت تهيؤ الأشعرى نحو التخلص من الاعتزال بصفة قاطعة ، فرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام هى رؤية الحق ٠ كما سبق وبينا ذلك(٢٦٤) ٠

ونرجح أيضا ألا يكون هذا الكتاب الذى موضوعه نقض اعتراضات الجبائى ، هو نفس كتابه الآخر وهو (العمد فى الرؤية) الذى قال عنه ابن عساكر أنه وردت به أسامى كتبه حتى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م ؛ وان كان عنوانه يحمل لفظ (الرؤية) التى قد تكون رؤية فى المنهج أى رؤية فى الموقف من النص المنزل ، أى رؤية لبيان أصول اعتقاد الأشعرى ٠ على نحو ما سبق وبينا ذلك(٢٦٥) ٠

٦٨ ـ **الجوهر فى الرد على أهل الزيغ المنكر**(٢٦٦) :

لم يرد فى التبيين أية اضافة الى هذا العنوان ٠

ولم يذكر عنه مكارثى أى تعليق سوى ما يخص ترجمة لفظ (جوهر) التى أثبت أنها تعنى عادة (الماهية) أو (الذرة) أى (الجزء الذى لا يتجزأ) : "atom" "essence" Substance ولكنه يرى أنها

---

٢٦١ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٦٢ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٦٣ ـ أنظر الكلام عن الرؤية فى هذا التقديم ٠
٢٦٤ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٦٥ ـ أنظر الكلام عن الرؤية فى هذا التقديم ٠
٢٦٦ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٤

تعنى هنا كما أثبت "geen" or "pearl" (٢٦٧) ٠

٦٩ ـ **كتاب أجاب فيه عن مسائل الجبائى فى النظر والاستدلال وشرائطه**(٢٦٨) :

لم ترد عنه فى التبيين أية اضافة ٠

ولم يعلق عليه الدارسون المحدثون ٠

٧٠ ـ **آدب الجدل**(٢٦٩) :

لم يرد فى (التبيين) أكثر من ذكر العنوان ٠

ويرى مكارثى فيما أثبت من ملاحظات عنه هذا الكتاب أن موضوعه يرتبط بكتاب أرسطو فى الجدل Topica وبما ذكر عن السفسطائية ٠ وأحالنا الى مقدمة ابن خلدون فى الجزء الذى يتحدث فيه عن الفلاسفة ٠ والى ترجمة هذه المقدمة ٠ كما أثبت بعد ذلك أنه يرجح أن يكون الكتاب السابق للأشعرى وهو (شرح آدب الجدل) هو شرح لهذا الكتاب ٠ كما يرجح أن يكون ما ورد فى قائمة كتب الباقلانى عن (شرح آداب الجدل) ليس أكثر من شرح لكتاب الأشعرى ٠ هذا ويردنا الى كتاب التمهيد صفحة ٢٥٨ (نشرة القاهرة)(٢٧٠) ٠

ولم يذكر بدوى شيئا بخصوص هذا الكتاب ، واكتفى باثباته ٠

ونحن نرى أن ربط الكلام فى الجدل عند الأشعرى بكلام أرسطو فى (الطوبيقا) أمر لا يدل على معرفة بحقيقة مفهوم الجدل عند المسلمين ٠ فالجدل عندهم يعنى فى مجال الاصطلاح ، الذى يتحدث عنه الأشعرى : مدافعة بين متناظرين لترجيح مذهب على مذهب ، وهو ينبع من واقع حياة المسلمين الفكرية(٢٧١) ويترتب على مزاولتهم لعلومهم التى قامت أول ما قامت حول مصدرى الدين : الكتاب والسنة ٠ والاستشهاد بكلام ابن خلدون فى مقدمته ليس فى موضعه ٠

---

٢٦٧ ـ مكارثى ص ٢٢٤

٢٦٨ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٤

٢٦٩ ـ نفس المرجع السابق ٠

٢٧٠ ـ مكارثى ص ٢٢٥

٢٧١ ـ أنظر : (التقديم) لكتاب (الكافية فى الجدل للجوينى امام الحرمين ، بقلم دكتورة فوقية حسين محمود ـ القاهرة ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م (طبعة البابى الحلبى) ٠

أما قوله عن صلة أقوال الباقلانى فى أدب الجدل بكلام الأشعرى فيه — فيصح أن نبين أن هذا أمر جائز ، وان كان كلام الباقلانى ليس فيه ما يرجع أقواله الى الأشعرى كموضوع جزئى فى كتابه التمهيد ، ثم يجب أن نبين أن (آدب الجدل) عبارة عن قواعد وأصول يثبتها كل متكلم لنفسه وللآخرين — وبالتالى يجوز أن يأخذ بأصول سابقة عليه ، فأقوال مكارثى خاصة فيما يتعلق بارجاع جدل الأشعرى الى أرسطو أمر يحتاج الى اعادة نظر

٧١ — **كتاب الرد على مقالات الفلاسفة**(٢٧٢) :

لم يرد عنه أى تعليق ٠

٧٢ — **كتاب فى الردّ على الفلاسفة**(٢٧٣) :

ورد فى (التبيين) أنه يشتمل على ثلاثة مقالات : (نقض علل ابن قيس(٢٧٤) الدهرى (الكلام على القائلين بالهيولى والطبائع) (ونقض علل أرسطوطاليس فى السماء العالم) وبين ماعليهم فى قولهم باضافة الأحداث الى النجوم ، وتعليق أحكام السعادة والشقاوة بها)(٢٧٥) ٠

ويرى مكارثى أن الأشعرى ربما يشير الى بعض أقوال أرسطو فى "De Munde" "De Coela"

أما بدوى فيثبت أن (كتاب) علل ابرقلس الدهرى [يقصد ابن قيس الوارد اسم فى النص العربى] هو كتاب الحجج التى بها ابرقلس Proclus الأفلاطونى المحدث فى اثبات قدم العالم ٠ وهى التى نشرناها فى كتابنا (الأفلاطونية المحدثة عند العرب) [القاهرة سنة ١٩٥٥ صفحة ٤٢/٣٤] وليس المقصود كتاب (الإيضاح فى الخير المحصن) وان كانت ترجمة هذا الكتاب الأخير الى اللاتينية قد ورد عنوانها هكذا : Liber de Causes

(= كتاب العلل) وقوله الدهرى هنا ، قرينة على أنه يقصد كتاب ، برقلس الذى يشتمل على الحجج التى قال بها فى اثبات قدم العالم ، والتى ترجمها اسحق ابن حنين ، وبقى لنا من ترجمته ترجمة التسع حجج الأولى من

---

٢٧٢ — تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٤
٢٧٣ — نفس المرجع السابق ٠
٢٧٤ — نفس المرجع السابق ٠
٢٧٥ — نفس المرجع السابق ٠
٢٧٦ — مكارثى ص ٢٥٥ ، ٢٢٦

مجموع الحجج وقدره(٢٧٧) ثمانى عشرة حجة) ثم يقول : (راجع كتابنا المشار اليه والمقدمة ففيه تفصيل ما يتعلق بها) ٠

هذا فيما يتعلق بالقسم الأول من قائمة ابن فورك الواردة فى كتاب ابن عساكر ، وهى الكتب التى ألفها الأشعرى حتى سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٥ م ويثبت ابن عساكر قول ابن فورك : (هذا هو ثانى كتبه التى ألفها الى سنة ٣٢٠ هـ سوى أماليه على الناس والجوابات المتفرقة عن المسائل الواردات من الجهات المختلفات وسوى ما أملاه على الناس مما لم يذكر أساميه هنا) ٠

القسم الثانى من قائمة ابن فورك وهى فى كتبه من سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٥ م الى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٩ م

٧٣ ـ **نقض المضاهاة على الاسكافى**(٢٧٨) :

ورد فى (التبيين) أنه فى (التسمية بالقدر) ٠

وعلق عليه مكارثى أنه فى نفس المسألة التى ناقشها الأشعرى فى كتابه اللمع ، (وأشار الى فقرتى ١٢٠ ، ١٢١ من نشرته لهذا الكتاب) وفى كتاب الابانة (صفحة ١١٣ من الجزء الذى ترجمه كلاين(٢٧٩) ٠

٧٤ ـ **كتاب فى معلومات الله ومقدوراته**(٢٨٠) :

ويرد فى التبيين أن الكتاب فى الردّ على ابى الهذيل ، فيما يتعلق بقوله ان مقدورات الله (لا نهاية لهـا)(٢٨١) ٠

ولم يعلق عليه الدارسون المحدثون ٠

٧٥ ـ **كتاب على حارث الوراق فى الصفات(٢٨٢) :**

ورد فى (التبيين) أنه (فيما نقص على ابن الراوندى) ـ ولم يعلق عليه الدارسون المحدثون ٠

---

٢٧٧ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥١٢

٢٧٨ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٥ يلاحظ أن ترقيم بدوى بعد سنة ٣٢٠ هـ يبدأ من رقم ١

٢٧٩ ـ مكارثى ص ٢٢٦ ـ [أنظر فى نشرتنا هذه (الكلام عن القدر] ٠

٢٨٠ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥

٢٨١ ـ نفس المرجع السابق ٠

٢٨٢ ـ نفس المرجع السابق ٠

٧٦ ـ **كتاب على أهل التناسخ(٢٨٣) :**

لم يرد عنه فى التبيين أكثر من اثبات اسمه ٠

ولم يعلق عليه المحدثون(٢٨٤) ٠

٧٧ ـ **كتاب فى الرد فى الحركات على ابى الهذيل(٢٨٥) :**

ولم يرد عنه أى تعليق ٠

٧٨ ـ **كتاب على أهل المنطق(٢٨٦) :**

ورد فى (التبيين) أن هناك (مسائل سئل عنها فى الأسماء) و (الأحكام و (مجالسات فى خبر الواحد واثبات القياس) ٠

ويرى مكارثى أن هذا الكتاب و (المسائل) (المجالسات) تتقارب فى الموضوع وما كان يصح التفرقة بينها(٢٨٧) وان كان أعطى بكل منها رقما على حدة ٠

٧٩ ـ **كتاب فى أفعال النبى(٢٨٨) :**

لم يرد عنه أى تعليق لا من القدامى ولا من المحدثين ٠

٨٠ ـ **كتاب فى الوقوف والعموم(٢٨٩) :**

لم يرد فى (التبيين) اكثر من اثبات اسمه ٠

وعلق عليه مكارثى بأنه قد يكون فى (خلق القرآن) بعد أن أثبت صعوبه فهم المقصود بكلمة (وقوف)(٢٩٠) ٠

ولم يعلق بدوى على هذا المصنّف ٠

---

٢٨٣ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥

٢٨٤ ـ مكارثى ٠ وقد ترجم لفظ تناسخ بـ The Metempsychosists ص ٢٢٦

٢٨٥ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥

٢٨٦ ـ نفس المرجع السابق ٠

٢٨٧ ـ مكارثى ص ٢٢٧

٢٨٨ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥

٢٨٩ ـ نفس المرجع السابق ٠

٢٩٠ ـ مكارثى ص ٢٢٧

ونرى أنه ربما يكون العنوان كالآتى : (الخصوص والعموم) ويكون الأشعرى بصدد بيان بعض أوجه أصول التفسير الصحيح حسب رأى السلف الصالح • ومما هو جدير بالذكر أن ابن حنبل [ت ٢٤١ هـ / ٨٥٢ م م] • قد تعرض لبيان أصول التفسير عند مراجعته للخصوم فى كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية(٢٩١) خاصة فيما يتعلق بقاعدة (العموم والخصوص) والأشعرى قد صرح بانتمائه الى الامام ابن حنبل ، وبالتالى تكون وقفته مع أصول التفسير الصحيح حسب رأى السلف ، أمر طبيعى ، تحتاجه ظروف مواجهة الخصوم فى ذلك الحين •

٨١ ـ **كتاب فى متشابه القرآن**(٢٩٢) :

ورد فى (التبيين) أنه جمع فيه بين المعتزلة والملحدين فيما يهاجمون به متشابه الحديث •

٨٢ ـ **نقض كتاب (التاج) على ابن الروانـدى**(٢٩٣) :

لم يرد فى (التبيين) أكثر من اثبات اسمه •

ويلاحظ أن مكارثى قد جمع بين هذا الكتاب والسابق عليه فى كتاب واحد(٢٩٤) بينما أبقى بدوى كل منهما على حدة •

٨٣ ـ **كتاب فيه بيان مذهب النصارى**(٢٩٥) :

لم يرد عنه أى تعليق لا عند القدامى ولا المحدثين •

٨٤ ـ **كتاب فى الإمامة**(٢٩٦) :

لم يرد عنه تعليق لا عند القدامى ولا المحدثين •

٨٥ ـ **كتاب فيه الكلام على النصارى**(٢٩٧) :

---

٢٩١ ـ كتاب (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل ضمن كتاب : (عقائد السلف) • نشرة د• على سامى النشار والأستاذ عمار طالبى •

٢٩٢ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥

٢٩٣ ـ نفس المرجع السابق •

٢٩٤ ـ مكارثى ص ٢٢٧ ، بدوى ٥١٢

٢٩٥ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥

٢٩٦ ـ نفس المرجع السابق •

٢٩٧ ـ نفس المرجع السابق •

ورد فى التبيين أنه فيما يحتج به عليهم من سائر الكتب التى يعترفون بهـــا ٠

٨٦ ـ كتاب فى النقض على ابن الروانـدى(٢٩٨) :

ورد فى (التبيين) أنه فى نقص ابن الراوندى فى ابطال التواتر وفيما يتعلق به الطاعنون على التواتر ، ومسائل فى اثبات الاجماع ٠

ولم يعلق عليه مكارثى واكتفى باحالة الباحث الى مقالة عن (التواتر) لفنسنك(٢٩٩) ٠

٨٧ ـ كتاب فى حكايات مذاهب المجسمة(٣٠٠) :

ورد فى التبيين أنه فى ما يحتاجون به ٠

٨٨ ـ كتاب نقض شرح الكتاب(٣٠١ :

لم يرد فى (التبيين) أكثر من اثبات اسم الكتاب ٠

وعلق مكارثى بما يفيد دهشته لغرابة هذا العنوان اذ يقول متسـائلا (أى كتاب) ثم يثبت رأى مهرن فى قراءة هذا العنوان وهو : كـتاب نقض شرح الكبار(٣٠٢) ٠

ونقول انه ، اذا صحت هذه القراءة ـ يكون فى نقض شرح كبار رجال الخصوم ، من معتزلة وغيرهم ٠

٨٩ ـ كتـاب فى مسـائل جرت بينـه وبين أبى الفرج المـالكى فى عـلة الخمر(٣٠٣) :

لم يرد عنه أى تعليق فى التبيين ٠

وذكر مكارثى أنه فى الأغلب هو فى مناقشة مشروعية شرب الخمر(٣٠٤) ٠

---

٢٩٨ ـ نفس المرجع السابق ٠
٢٩٩ ـ مكارثى ص ٢٢٧
٣٠٠ ـ تبيين كذب المفترى ص ١٣٥
٣٠١ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣٠٢ ـ مكارثى ص ٢٢٨ ومهران Mehren ص ١٠٢
٣٠٣ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٥
٣٠٤ ـ مكارثى ص ٢٢٨

٩٠ ـ **نقض كتاب الآثار العلوية على ارسطوطاليس**(٣٠٥) :

ولم يرد عنه أى تعليق فى (التبيين) ٠

كما لم يعلق عليه المحدثون ٠

ونفيد بأن بدوى له كتاب فى (الآثار العلوية) لأرسطوطاليس ، ونرجح أن يكون الأشعرى فى نقض هذا ، قد حرص على نفى العلة الغائية وكل ما يمت الى القول بالفيض والرسائط ، توكيدا لحدوث العالم من العدم المحض ٠

٩١ ـ **كتاب فى جوابات مسائل لأبى هاشم استملاها ابن ابى صالح الطبرى**(٣٠٧) :

لم يرد عنه أى تعليق فى (التبيين) ٠

ويكتفى مكارثى(٣٠٨) بتوضيح أن أبا هاشم هو ابن ابى على الجبائى ٠

٩٢ ـ **الاحتجاج**(٣٠٩) :

لم يرد عنه أى تعليق لا من القدامى ولا من المحدثين ٠

٩٣ ـ **الأخبار**(٣١٠) :

ورد عنه فى التبيين أنه الكتاب (الذى أملاه على البرهان)(٣١١) وذكر مكارثى فى تعليقه أن مهرن Mehren يقرأه (الدهان) وليس (البرهان) ونحن نرجح أن يكون ماورد فى (التبيين) هو الأصح على اعتبار أنه شرح لكتاب البرهان ٠

ثم يثبت أن هذا آخر ما وصله من اسماء لكتب الأشعرى ، طبقا لما صرح به ابن فورك ، غير أن (التبيين) يقدم اسمين آخرين ضمن ما ورد عن ابن فورك، وهما :

٩٤ ـ **كتاب فى دلائل النبوة**(٣١٢) :

---

٣٠٥ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٦

٣٠٦ ـ (الآثار العلوية) لعبد الرحمن بدوى (القاهرة) ٠

٣٠٧ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٦

٣٠٨ ـ مكارثى ص ٢٢٨

٣٠٩ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٦

٣١٠ ـ نفس المرجع السابق ٠

٣١١ ـ مكارثى ص ٢٢٨

٣١٢ ـ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٦

لم يرد عنه أى تعليق ٠

٩٥ ـ **كتاب فى الإمامة(٣١٣) :**

وهذا كتاب آخر مفرد فى الإمامة ٠

ثم ذكر ابن عساكر بعد هذا الكتاب ما يلى :

هذا آخر ما ذكره ابو بكر بن فورك من تصانيمه(٣١٤) ٠

ثالثـا ـ ثم يقول :

(وقد وقع الى أشياء لم يذكرها فى تسمية تواليفه)(٣١٥) ثم يذكر أسماء ثلاثة مصنفات هى :

٩٦ ـ رسالة الحث على البحث(٣١٦) :

لم يرد عنها أى تعليق ٠

٩٧ ـ رسالة فى الإيمان(٣١٧) :

ورد فى التبيين أن الأشعرى تساءل ٠ (وهل يطلق عليه اسم الخلق) وسيرد ذكر هذا المصنف بعد ، عند الحديث عن مصنفاته التى لها نسخ بين أيدينـا ٠

٩٨ ـ جواب مسائل كتب بها الى أهل الثغر فى تبيين ما سألوه عنه من مذهب أهل الحق(٣١٨) :

وهو من الكتب التى لها نسخ بين أيدينا وسنتحدث عنه بعد :

يقول بدوى بعد اثبات المعلومات الواردة عند فؤاد سزجين ، (انها هى بعينها رقم ٣ فى ثبت ابن عسـاكر الذى استدرك به على ثبتى الأشـعرى وابن فـورك(٣١٩) ٠ ثم تحـدث باسـهاب عن (باب الأبواب)(٣٢٠)

---

٣١٣ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣١٤ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣١٥ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣١٦ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣١٧ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣١٨ ـ أنظر تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣٦ وانظر الدراسة بعد ٠
٣١٩ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥٢١
٣٢٠ ـ نفس المرجع السابق صفحتى ٥٢١ ، ٥٢٢

ثم يقول : وقد دلت الأبحاث الحديثة على وجود دولة عربية فيه ، هم بنو هاشـــم فى القـرن الرابع الهجـرى • ثم يضـيف : (واذن (فباب الأبواب) كان ذا أهميـة بالغة لوقوعه على حدود : الروس ، وأرمينيا ، •• ومن هنا نفهم اهتمام الأشعرى بالإجابة عن مسائلهم •

ونعقب على ما سبق بأن الأشعرى لم يخص قوم باب الأبواب بالردّ على أسئلتهم وانما أجاب عن كل سؤال وجّه له من أىّ جهة كان ، وأسماء جواباته تدل على ذلك(٣٢١) •

ثم يعرض بدوى لرأى آلار فيقول : (ويرى [يقصد آلار] أن ثم حججا تؤيد نسبتها الى الأشعرى ، وأخرى لنفيها ، فيؤيد نسبتها الى الأشعرى ما ذكره ابن عساكر ، فى ثبته الذى استدرك به على ابن فورك والأشعرى ، ثم المواضع المتناظرة بين اللمع والرسالة(٣٢٢) والاتفاق عموما فى المذهب الوارد فى الرسالة [رسالة الى أهل الثغر] مع مذهب الأشعرى • وينفى نسبتها أنه ورد فيهـا اشارة الى تاريخ هو سنة ٣٦٧ هـ ، ثم عدم ورود اشارة فيها الى آراء المعتزلة ثم التحفظ فى تقرير الموقف للقول بأن القرآن قديم غير مخلوق • وينتهى الى أنه بالرغم من هذه الصعوبات ، فانه يميل الى القول بصحة نسبة هـذه الرسالة الى الأشعرى ، ويفسر التاريخ المذكور بأنه ربما ورد محرفا وصوابه ٣٩٧ هـ ، وحينئذ تكون بعض الخلافات المذهبية بين الرسالة وبين (اللمع) مرجع الى كون الرسالة كتبها الأشعرى قبل تركه لمذهب المعتزلة بوقت قليل ، كان فيه قريبا من مذهب أهل الســـنة دون أن يقطع صـلته نهائيـــا مع أساتذته المعتزلة)(٣٢٣) •

هـذا ما أثبته بدوى عن آلار ولم يعقب عليه تعقيبا يكشف عما يمكن أن يغمض على القارىء فيما ذكره •

ونعقب نحن على قوله بمـا يلى :

---

٣٢١ ـ أنظر أسماء كتب ومسائل وجوابات الأشعرى فى القائمة المدروسـة فى كتابنا هذا وهى قائمة ابن فورك لكتب الأشعرى • خاصة أجوبته على أهل الجهات المختلفة •

٣٢٢ ـ أنظر صفحة ٥٦ من كتاب (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض الأشعرية) لآلار حيث أقام موازنة بين ما ورد فى الرسالة لأهل الثغر وكتابه اللمع •

٣٢٣ ـ (مناقب الإسلاميين) لبدوى صفحتى ٥٢٢ ، ٥٢٣

ان لكلام آلار نقاط ثلاث تحتاج الى تعقيب • الأولى : تقريره أن الأشعرى كان متحفظا(٣٢٤) فى القول بأن القرآن قديم غير مخلوق • والثانية • التفاته الى (عدم ورود اشارة فيها الى آراء المعتزلة) ، والثالثة • قوله بأن الأشعرى قد ألفها قبل تركه لمذهب المعتزلة •

أما عن النقطة الأولى وهى : التحفظ الذى رأى آلار أن الأشعرى قد تناول به مشكلة (خلق القرآن) فى هذه الرسالة •

ألا يكفى أن يقول الأشعرى فى أكثر من موضع فى هذه الرسالة :(انه تعالى لم يزل موجودا ، حيا ، قادرا ، عالما ، مريدا ، متكلما ، سميعا ، بصيرا ••• الخ)(٣٢٥) •

ويقول بعد قليل : (وأجمعوا على اثبات حياة الله عز وجل ، لم يزل بها حيا ، وعلما ، لم يزل به عالما ، وقدرة لم يزل بها قادرا ، وكلاما لم يزل به متكلما)(٣٢٦) • والقرآن كلام الله ، فهو قديم ؟

انى أرى أن الأشعرى قد أثبت كلام الله قديما بلا تحفظ •

كل ما هنالك أنه يتناول المسائل فى هذه الرسالة بأسلوب يبعد عن عنف الحجاج الذى لا يلجأ اليه الا اذا كان يواجه خصوما ، وهو فى هذه الرسالة لا يواجه خصما ، وانما يرد على استفسار لجماعة من المؤمنين بجهة من جهات العالم الإسلامى المترامى الأطراف •

أما النقطة الثانية : وهى عدم ورود اشارة عن المعتزلة — فالرد عليها هو : أن الأشعرى فى هذه الرسالة ، فى غنى عن التعرض للمعتزلة ؛ فلماذا يجيب أن يزج بهم حيث لا حاجة اليهم ؟ ان الأشعرى فى هذه الرسالة فى معرض الحديث عما يلائم ظروف أهل باب الأبواب الفكرية ، وهم بحكم وجودهم على الحدود يواجهون احتكاكات مع فئات أخرى غير المعتزلة ، هم أولا وقبل كل شىء فى حاجة الى شرح تقريرى لأصول السلف ، وهو ما فعله الأشعرى فيما قدم لهم •

---

٣٢٤ — جاءت آراء آلار هذه بصفحة ٥٨ الفقرة العليا • حيث يبين أدلة الإثبات "Pour" وأدلة النفى "Contre" وينتهى بأن يقول عن مشكلة خلق القرآن : "Et la Timidité avec Laquelle est presentée la doctrine du Coran incré».

٣٢٥ — أنظر النسخة الخطية رقم ١٠٥ توحيد بجامعة الدول العربية ل ٥ ش سطر ٣ ، ١٢ من أعلى •

أما الثالثة : وهى تقدير آلار أنه ألفها قبل تركه الاعتزال ـ فهذا أمر يتعارض مع تصريحات الأشعرى بالنسبة لإثبات الصفات ، التى يؤكدها من خلال اثبات اجماع السلف عليها ٠

ويكفى للتأكد من أن هـذه الرسالة صدرت من الأشعرى السلفى أن تقرأ مثلا (باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول)(٣٢٧) حيث يتبين الإجماع على اثبات الصفات وهو ما يتنافى مع أصول المعتزلة ٠٠ ثم قوله بعد ذلك فى الشفاعة مثلا(٣٢٨) كل هـذه أمور ، وغيرها يتبين منها أن الأشعرى كان يكتب لتوكيد الاتجاه السنى للسلف الصالح ٠

ولا أعلم من أن أين أتى حكم آلار القائل بأن الأصول الخمسة المعتزلية واضحة فى هذه الرسالة(٣٢٩) انه يقرر هـذا الحكم بصورة خاطفة دون بيان وهو حكم له خطورته وكنا ننتظر أن يبين لنا موضع هـذه الأصول ، وبما أنه لم يفعل ، فأظن أن هذا الحكم يحتاج الى دليل ٠

(ب) ما استدرك به ان عساكر على قائمة ابن فورك :

٩٩ ـ أما رسالة (استحسان الخوض فى علم الكلام :

فهى مما لم يرد ذكره فى قائمة ابن فورك ٠

ويذكر مكارثى : (ولا يذكر بروكلمان لها مخطوطا ، ولا نعلم لهـا نحن أية مخطوطات) ويسجل عنه بدوى هـذا الرأى(٣٣٠) ٠

وتعقيبا على هـذا نقول :

ان رسالة فى الرد على من ظن أن الاشتغال بالكلام بدعة : (هى رسالة استحسان الخوض فى علم الكلام) ٠

ولهـا نسـخة خطيـة فيض الله ٢/٢١٦١ [من ص ٤٩ ب ـ ٥٢ أ ،

---

٣٢٦ ـ نفس المرجع السابق سطر ٢٦ ، ٢٧ من أعلى ٠

٣٢٧ ـ نفس المرجع السابق ل ٥ ى سطر ٤ من أسفل ٠

٣٢٨ ـ نفس المرجع السابق ل ١٠ ش سطر ١٦ من أعلى ٠

٣٢٩ ـ أنظر كتابه (مشكلة الصفات الإلهية عنـد الأشعرى وبعض كبـار الأشعرية) بيروت ١٩٦٥ صفحة ٥٥ حيث يقول فى نهايتها بدون أى دليل على قوله :

"Tout d'abord le Plan mu'tazilite en rapport avec Les cinq grands principes est ici, et Là tres apparent".

٣٣٠ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥١٩

١٠٦٣ هـ] هـذا ما أثبته فؤاد سزجين(٣٣١) الذى ظهر كتابه مؤخرا · وكتاب مكارثى سابق عليه ولذا فهو لم يتعرف على نسخته الخطية هذه ·

ثم يثبت رأى مكارثى فى صحة نسبة هذه الرسالة للأشعرى ، وهو رأى يقوم على التشكيك فى أنها له ، ويكتفى بقول انها ربما من تأليف أحد متأخرى الأشاعرة دون اثبات أى تحليل أو بيان أى أدلة ·

ثم يتعرض لرأى آلار فيها وهو رأى لا يعتمد على تحليل لها ، وانما يقوم على مجرد(٣٣٢) استنتاجات بمقارنة عنوانها بعنوان غيرها من مصنفات الأشعرى ويثبت صحة نسبتها له · أما الأسباب التى يقدمها بدوى لتبرير هذا التشكك فهى :

١ ـ (ان اسلوبها يختلف عن أسلوب الأشعرى فى سائر كتبه الباقية لنـــا ·

٢ ـ أن مشكـلة الخوض فى علم الكلام ، أو الإمســاك عنه مشكـلة متأخرة عن عصر الأشعرى ، فلم يكن ثم ما يدعوه الى الخوض فيها ، وحكاية البربهارى مع الأشعرى يظهر أنها مخترعة(٣٣٣) ·

ثم يثبت حـكاية البربهاوى مع الأشــعرى(٣٣٤) ، ويحيلنا الى عـدة مراجع عن البربهاوى(٣٣٥) وينقض قول البربهاوى ويثبت بطلان ادعائه

---

٣٣١ ـ (تاريخ التراث العربى) لفؤاد سزجين ج ١ ص ٦٠٢

٣٣٢ ـ (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض كبـار الأشعرية) لآلار صفحة ٥١

٣٣٣ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥٢٠

٣٣٤ ـ يقول ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة (لمـا دخل الأشعرى بغداد جاء الى البربهارى ، فجعل يقول : رددت على الجبائى وعلى أبى هاشم ونقضت عليهم وعلى اليهود والنصارى والمجوس · وقلت ·· وقالوا ·· وأكثر الكلام ·· فلما سكت قال البربهارى وما أدرى مما قلت لا قليلا ولا كثيرا ، ولا تعرف الا ما قاله أبو عبد الله بن حنبل · قال فخرج من عنده وصنف كتاب (الإبانة ، فلم يقبله منه ، ولم يظهر ببغداد الى أن خرج منها) ·

٣٣٥ ـ وهذه المراجع هى أن (أبو الحسن بن الفراء) طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٨ ـ ٤٥ ـ القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م ـ ابن كثير : البـداية والنهاية ج ١١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ ـ النابلسى : اختصار طبقات الحنابلة دمشق ١٣٥٠ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٩ ـ ابن العماد : شذرات الذهب) ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٢٣ ـ فقال لاووست بدائرة المعارف الإسلامية ـ الطبعة الجديدة ج ١ ص ١٠٣٩ ـ ١٠٤٠

أن الأشعرى خرج من بغداد بعد مناقشته ولم يعد ، مبينا أن المؤرخين قد أجمعوا على أنه بقى ببغداد وحتى توفاه الله تعالى : وقد قمت بتحليل الرسالة لإثبات عدم صحة نسبتها للأشعرى(٣٣٦) ٠

١٠٠ ـ كتاب الإبانة عن أصول الديانة :

لم يرد ذكر اسم هذا الكتاب ضمن قائمة ابن فورك كما ذكرنا ، ولكن ابن عساكر رجع اليه فى اكثر من موضع فى كتابه (تبيين كذب المفترى) بل نقل منه الفصلين ، الأول والثانى فى هذا الكتاب(٣٣٧) وورد فى كتاب (الفهرست)(٣٣٨) لأبن النديم كتاب اسم (التبيين عن أصول الدين) لعله يكون هو (الإبانة) ٠

وقد ورد ذكره أيضا فى كتاب (طبقات الحنابلة)(٣٣٩) للقاضى ابى الحسين ، بمناسبة مقابلة الأشعرى للبربهاوى ، وما قيل من أنه صنف هذا الكتاب عقب هذه المقابلة وأن البربهاوى مع كلٍّ ، لم يعترف بانتماء الأشعرى لابن حنبل ٠

وقد طبع هذا الكتاب بالهند طبعه غير محققه(٣٤٠) ٠

ولاحظ الشيخ محمد زاهد الكوثرى بحق أن هذه النسخة المطبوعة (من الإبانة) مصحفة محرفة ، تلاعبت بها الأيادى الأثيمة ، فتجب اعادة طبعها من أصل وثيق)(٣٤١) ٠

وهو ما حاولنا عمله عند نشرنا لكتاب الإبانة فى هذه النسخة التى بين أيدينا ٠ وقد كثرت أقوال المستشرقين عن هذا المصنف ، ويلاحظ أنها لا تخلو فى أغلبها من التشكيك فى بناء هذا الكتاب على نحو ما سنتبين بعد ، وهو ما رددنا عليه فى نهاية عرضنا لأقوال المستشرقين ٠

---

٣٣٦ ـ أنظر كتاب : (كتب منسوبة للأشعرى) للدكتورة فوقية حسين محمود (تحت الطبع) ٠

٣٣٧ ـ أنظر : تبيين كذب المفترى) لابن عساكر ١٥٢ ، ١٦٣

٣٣٨ ـ الفهرست لابن النديم : صفحة ٢٧١ من طبعة مصر وصفحة ١٨١ من طبعة خيّاط ـ بيروت ٠

٣٣٩ ـ طبقات الحنابلة ٠ للقاضى أبى الحسين جـ ٢ ص ١٨

٣٤٠ ـ لهذا الكتاب طبعتان احداهما بالهند والأخرى بالقاهرة وكلتاهما غير محققة ـ أنظر ما كتب عن تحقيق الكتاب فى هذا التقديم

٣٤١ ـ أنظر هامش رقم ٢ من صفحة ٢٨ من كتاب تبيين كذب المفترى ـ تعليق ١ ، دمشق ١٣٤٧

يبدأ مكارثى(٣٤٢) تعليقه على هذا الكتاب ، باثبات رأى جولد تسيهر فيه الذى ، اعتبره مصـدرا مهما فى تاريخ عقـائد المسلمين ، ويقول بأنه استغله أحسن استغلال فى كتابه :

كما يشير الى أنه قد استفاد منه افادة كبيرة أيضا ، باحثون آخرون من أمثال فنسنك وواط • فى كتاباتهم عن تاريخ العقيدة الإسلامية بصفة عامة أو تاريخ العقيدة الأشعرية على وجه الخصوص •

ويذكر فيما يتعلق بتاريخ تأليفه ما يراه جولد تسيهر من أنه آخر ما ظهر لديه أى لدى الأشعرى ـ فى المذهب(٣٤٣) • ويقول ان جولد تسيهر لم يبرر لمـاذا هو الأخير •

ويشير مكارثى الى ترجمة كلاين Klein (٣٤٤) للجزء من الإبانة المنشور فى كتاب تبيين كذب المفترى لابن عساكر • وهى ليست ترجمة كاملة للكتاب كما سبق وأشرنا الى ذلك فقد نشر ابن عساكر ، كما بينا الفصلين الأول والثانى فقط •

ولمكارثى تعليق(٣٤٥) على كل من هذين الفصلين ، فهو يرى أن الأشعرى قد صرح فى نهاية كل منهما ، بأنه سيدرس المسائل الواردة فى كلّ تفصيلا ثم يقول : (وهذا ما فعله بالنسبة للأول ، ولم يفعله بالنسـبة للثانى) • ويقصد بالأول (فصل فى ابانة قول أهل الزيغ والبدع)(٣٤٦) وبالثانى : (فصل فى ابانة قول أهل السنة(٣٤٧) ويبنى على هذا رأيه فى أن الفصل الثانى لا يدخل فى سياق الـكلام فى هـذا الـكتاب ، فهو يمثل (اضـافة) أما حدثت بيد الأشعرى نفسه ، أو أحد الأشاعرة المتأخرين من أجل توكيد الانتمـاء الى ابن حنبـل وبالتالى الى السلف • وسرعان ما يعقد الصلة بين

---

٣٤٢ ـ أنظر كتاب (عقائد الأشعرى) "The Théology of al-Ash'ari" ص ٢٣١

٣٤٣ ـ أنظر كتاب : Vorlesingen uber der Islam لجولد تسيهر ص ١١٢ وما بعدها •

٣٤٤ ـ أنظر كتـاب كلاين Klein ص ٤٩ ، ص ٥٥ وهو ما يوازى فى طبعة الهند (حيدر أباد) صفحة ٧ ، ١٤ من النص •

٣٤٥ ـ كتاب (عقائد الأشعرى) لمكارثى ص ٢٣١ ـ ٢٣٢

٣٤٦ ـ أنظر النص الذى بين أيدينا •

٣٤٧ ـ أنظر النص الذى بين أيدينا •

ما انتهى اليه وبين موقف الأهوازى من الإبانة ، مبررا ادعاءات الأهوازى ضد الأشعرى بالنسبة لكتاب (الإبانة) خاصة مشككا بهذا فى صحة بناء الكتاب وانتماء الأشعرى لابن حنبل) ٠

ورأيى فى هذه المسألة أن الأشعرى عندما صرح فى آخر الفصل الأول بأنه : (ذاكر ذلك بابا بابا وشيئا شيئا ، ان شاء الله ، وبه المعونة والتأييد ، ومنه التوفيق والتسديد)(٣٤٨) وفى آخر الفصل الثانى ٠ (وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقى منه مما لم نذكره بابا بابا وشيئا شيئا ان شاء الله تعالى)(٣٤٩) كان يعنى ما يقول ، وأنه قد وفى وعده ، لأن ردوده فى الفصول التالية عن (اثبات الرؤية بالأبصار فى الآخرة) وعن (أن القرآن كلام الله غير مخلوق) وعن (الاستواء على العرش) وعن (الوجه والعينين والبصر واليدين) وعن (اثبات علم الله وقدرته وجميع صفاته) وعن (الإرادة) وعن (تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير) وعن (الآجال) و (ايلام أطفال المشركين) و (عذاب القبر) و (الشفاعة) ٠٠ الخ ٠ هذه الردود تتضمن دحض آراء الخصوم باثبات وتوضيح آراء أهل السنة التى تقوم على أصول السلف ، وهو ما يعتبر تفصيل لجملة القول الواردة فى الفصل الثانى ٠ ويكون قد وفى وعده بالنسبة للفصلين وليس لفصل واحد ٠ كما رأى مكارثى ٠

وبهذا تسقط الحجة فيما يتعلق بالتشكيك فى بناء الكتاب ، هذا التشكيك الذى يترتب عليه استبعاد أهم فصل من فصوله وهو الذى يؤكد فيه انتماءه الى السلف ، باعلان انتمائه الى ابن حنبل ، هذا الاعلان الذى يتفق تماما مع تفاصيل موقفه فى مختلف المسائل التى عالجها ، لأن موقفه يعتمد على نفس الأصول الى يعتمد عليها ابن حنبل ، وهى اعطاء مكان الصدارة للنص المنزّل قرآنا أم سنة ، وتطبيق أصول التفسير الصحيح التى لا تخرج النص عن تأويله ، على نحو ما كان عليه السلف الصالح ، على نحو ما هو مبين فى الحديث عن منهجه(٣٥٠) ٠ ولعل المسالة التى كان يجب أن تثار هنا هى : لماذا قدّم الأشعرى عرض آراء الخصوم على آراء أهل الحق والسنة ، حيث بيان انتمائه الى السلف الصالح ؟

---

٣٤٨ ـ أنظر النص الذى بين أيدينا ٠
٣٤٩ ـ أنظر النص الذى بين أيدينا ٠
٣٥٠ ـ أنظر التقديم ٠

والجواب عن ذلك أنه بتأخير الثانى على الأول يعمل على تثبيت ما يرغب فى بقائه فى الأذهان ٠ بعد أن يكون قد خلصها مما يرغب فى القضاء عليه من الآراء المناوئة عن طريق الأدلة والبراهين العلمية : النصّى منها والعقلى ٠

ويستمر مكارثى فى التعليق على (الإبانة) فيعقد مقارنة سريعة بينها وبين (اللمع) ليقول ان (الإبانة) كتاب (تقليدى)(٣٥١) "Traditionnel" وأن اللمع (كتاب تخلص فيه الأشعرى من الاتجاه التقليدى ، ثم يثبت أن الأشعرى قد كتب الإبانة لمصالحة الحنابلة اما مباشرة بعد رجوعه عن الاعتزال أو قرب نهاية حياته ٠

وللردّ على مكارثى تقول :

ان المقارنةالحقيقية يجب أن تكون على أساس تبين أصول وقفة المتكلم من النصوص الخاصة بالمسائل المثارة ٠

ونتبين أن الأشعرى فى اللمع لا يحيد عن وقفته التى وقفها فى (الإبانة) بل نجد تقريبا نفس الأدلة ــ بنفس الترتيب ، بل نلاحظ أن الكلام فى (الإبانة) أكثر تفرعا وتشعبا الأدلة النصّية والعقلية ، على نحو ما بينا فى دراستنا لمنهجه ٠ وكان (الإبانة) هى الأصل فى الردّ على آراء الخصوم بالنسبة لكثير من المسائل الواردة فى (اللمع) ونخص بالذكر منها مسألة (رؤية الله بالأبصار فى الآخرة)(٣٥٢) و (القرآن كلام الله غير مخلوق)(٣٥٣) و (علم الله)(٣٥٤) وغير هذه وتلك من المسائل ، واذا كان كتاب (اللمع) يزيد فى شىء ، ففى بعض البراهين الذهنية التى تعتمد على مفاهيم دينيه(٣٥٥) ٠ مما يجعل هذه البراهين نصية فى أصلها ، وان كانت عقلية فى شكلها ٠ على نحو ما هو مبين فى (منهجه)(٣٥٦) ٠

---

٣٥١ ــ أنظر : (عقائد الأشعرى) لمكارثى ص ٢٣٢
٣٥٢ ــ (اللمع) تحقيق د ٠ حمودة غرابة ص ٦١ ــ ٦٨
٣٥٣ ــ نفس المرجع السابق صفحة ٣٣ ، ٤٧
٣٥٤ ــ نفس المرجع السابق ص ٢٩
٣٥٥ ــ نفس المرجع السابق ص ٩٣ ، ١١٥
٣٥٦ ــ أنظر منهجه فى هذا التقديم ٠

الأمر الذى يجعلنا نرجح ان يكون الأشعرى قد صنف (الإبانة) أولا ، على اعتبار أنه قد أوجد فى اللمع عرض كثير من المسائل التى أفاض فيها بأسلوب أكثر تفصيلا فى (الإبانة) وعلى اعتبار ان الإبانة وهو الكتاب الذى حدّد فيه موقفه من الإعتزال باعلانه الانتماء الى ابن حنبل .

ولا يقف مكارثى عند هذا الحد بل نراه يعلق على رأى لفنسنك يصرح فيه بأن الأشعرى فى كتاب الإبانة كان معبرا عن وقفة تعتمد على القرآن والسنة(٣٥٧) فيقول : (انه من الاسراف أن تقول ذلك) ثم يضيف ان أحمد بن حنبل ما كان يكتب مثل هذه الرسالة ، ولا يمكن أن يكتب كتابا مثل (اللمع) وهذا يعنى أن مكارثى يرى أن ابن حنبل ينصرف عن العقل . وهذه فكرة شائعة عن ابن حنبل ، ولا تمثل حقيقة على نحو ما بينا فى دراستنا لمنهج الأشعرى(٣٥٨) . ثم لا يشارك مكارثى(٣٥٩) كلاين فى تقديره لكتاب (الإبانة) الذى يقول عنه ان الأشعرى قد أظهر فيه مقدرة رفيعة فى معالجته للأمور)(٣٦٠) .

وهذا يعنى أن مكارثى يبعد (بالإبانة)عن أى أصالة فكرية رغم ما قامت عليه هذه الرسالة من مواقف ترتبط بالأسلوب الصحيح لتناول الأدلة النصية ، واقامة الأدلة الذهنية المستقاة من المفاهيم الدينية .

وينتهى مكارثى تناوله لكتاب الإبانة بعقد مقارنة(٣٦١) بين (العقيدتين) أى نص (ابانة) قول أهل السنة والحق) فى كتابى (مقالات

---

٣٥٧ ـ (عقائد الأشعرى) لمكارثى ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

٣٥٨ ـ أنظر هذا الرأى مفصلا فى هذا التقديم .

٣٥٩ ـ (عقائد الأشعرى) لمكارثى ص ٢٣٢ ويحيلنا مكارثى الى ماكتبه توسون فى مجلة (العالم الإسلامى) العدد ٣٢ من صفحة ٢٤٢ الى ٢٦٠ ـ لضبط صحة ترجمة بعض المصطلحات عند الحاجة اليها
Prof. - Thomson, the Moslem World XXXII 1942-242-260

٣٦٠ ـ كلاين Klein صفحة ٢٩

٣٦١ ـ مكارثى صفحة ٢٣٥

٣٦٢ ـ ورد نص هذه العقيدة فى طبعة ريتر Ritter من ص ٢٩٠ الى ٢٩٧ مجلد ١ وفى طبعة الشيخ محيى الدين عبد الحميد طبعة القاهرة . مجلد ١ من صفحة ٣٢٠ الى ٣٢٥

الاسلاميين(٣٦٢) و (الإبانة)(٣٦٣) ٠

أما آلار(٣٦٤) فانه يوافق مكارثى فيما يتعلق بعدم صحة تاليف الأشعرى لجميع فصول الكتاب دفعة واحدة ٠ مرجحا أن يكون فصل (ابانة قول أهل الحق والسنة) حيين يعلن انتماء الى ابن حنبل ٠ قد جاء متأخرا عن باقى أجزاء الكتاب ، وأن يكون الأشعرى هو نفسه قد أضاف هذا الفصل وليس احد الأشاعرة المتأخرين ، على اعتبار أن الجو العدائى الذى كان سائدا بين الأشاعرة والحنابلة وترقب الأهوازى لما يمكن أن يقلل من شأن الأشعرى ، يمنع حدوث تدخل من قبل أحد المتأخرين ، والا سجله الأهوازى ليطعن به به صحة انتماء الأشعرى نفسه الى ابن حنبل ٠ أى أن آلار أرجح أن يكون هذا الفصل مضافا ولكن من قبل الأشعرى ٠ هذا ما حاول أن يصل اليه ٠

ثم يحرص آلار فى النهاية على ذكر نسخة خطية للكتاب وهى تلك الموجودة ، ببلدية الاسكندرية مشيرا الى أن حصوله عليها يرجع الفضل فيه الى الدكتور ماجد فخرى(٣٦٥) وهذه هى احدى النسخ التى رجعنا اليها فى تحقيقا للكتاب وقد ذكرها فؤاد سزجين كما سبق وأشرنا الى ذلك ٠

أما بدوى(٣٦٦؟ فانه يبدأ تعليقه بذكر طبعتى الإبانة (بالهند ـ حيدر آباد) و (بمصر ـ القاهرة) ٠ ويكتفى فيما يتعلق بالنسخ الخطية بذكر نسختى (ريشان كوشيك) و (بلدية الاسكندرية) نقلا عن فؤاد سزجين) وعند مناقشة لصحة نسبة الكتاب بأكمله للأشعرى ، يعرض ما هو وارد عند مكارثى(٣٦٧) دون اثبات أية معارضة ٠ ثم يشير الى رأى آلار الذى لا يتبيّن فيه ما تبيناه ، ويبقى بصدده عند عدم القدرة على تبين المقصود ٠

وقبل أن انهى كلامى عن (الإبانة) أود أن أشير الى أنه قد ثارت حول (الإبانة) وكتاب (اللمع) مناقشات تخص تاريخ تأليف كل منهما ٠ واختلف الآراء : فالبعض يقدم (الإبانة) على اعتبار أنه مصنف يمثل مرحلة

---

٣٦٣ ـ رجع مكارثى الى طبعة حيدر آباد بالهند من صفحة ٧ الى صفحة ١٢ وفى التبيين لابن عساكر من ١٥٨ ـ ١٦٣ وفى طبعة القاهرة من ٨ الى ١٢ أنظر كذلك الطبعة التى بين أيدينا ٠

٣٦٤ ـ أنظر كتاب (مشكلة الصفات الإلهية عند الأشعرى وبعض كبار الأشعرية لآلار صفحة ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ـ Le Probleme des Attributs Divins chez al-Ash'ari et ses grands disciples - Beyrouth 1965.

٣٦٥ ـ نفس المرجع السابق ص ٥٣

٣٦٦ ـ (مذاهب الإسلاميين) لبدوى ص ٥١٥ ، ٣١٨

٣٦٧ ـ نفس المرجع السابق ٠

غير ناضجة لموقف صاحبه الذى كان معتزليا ، ويؤخر (اللمع) على أنه يمثل ارتداد صاحبه الى الإعتزال ، والبعض الآخر يقدم (اللمع) على أنه يمثل مرحلة انتقالية بين الاعتزال والأسلوب التقليدى السنى ، ممثلا فى الإبانة التى يؤخرون تاليفها عن اللمع ، غير متبينين المنهج الموحد الذى انتهجه فى كتبه التى ألفها بعد خروجه عن الاعتزال(٣٦٨) ورأيى أن الإبانة هو الأسبق ، على اعتبار أنه يتبين من تاليفه وعنوانه أن الهدف من كتابته هو بيان أصول الديانة(٣٦٩) ٠

هذا فيما يتعلق بالكتب الوارد ذكرها فى قائمة ابن فورك ، والتى أثبتها ابن عساكر فى كتابه (تبيين كذب المفترى) وما استدرك به عليها ، وما ورد بصددها من دراسات للقدامى والمحدثين ٠

ويلاحظ أن كثيرا مما ورد فى هذه الدراسات ، فيه اجحاف بقدر الكتب وتحامل عليها ٠ الأمر الذى اضطررنا من أجله الى التعليق على هذه الآراء بما يثبت ما يبدو صائبا ، خاصة فيما يتعلق بالكتب التى لها نسخ بين أيدينا ٠

والأكثرية الغالبة من كتب الأشعرى فى علم الكلام ، وما بقى فهو فى التفسير والفقه ، وبعض علوم أخرى ٠

والكتب الكلامية منها ما هو فى (الفرق) ومنها ما هو فى (عرض المذاهب) ومنها ما هو فى الردود ٠ وان كانت كلها تعتمد فى أساسها على على افحام الخصم والقضاء على آرائه الفاسدة ـ أى أنه ، لتفنيد أقوال الخصوم النصيب الأكبر فى مصنفات الأشعرى ، وهذا يكشف لنا عن حرصه على تنقية العقول من شوائب البدع وأدران المتاهات الجوفاء المارقة عن الملة ٠

وسنعرض الآن لمصنفاته التى لها نسخ فى المكتبات ٠

ثانيا ـ **التعريف بمصنفاته التى لها نسخ بين ايدينا :**

أما مصنفاته التى بقيت على مرّ الزمن والتى لها نسخ بين أيدينا ، وعددها قليل كما بينا ، فأغلبها قد طبع اما محققا أو غير محقق ٠

والمصنفات التى مازالت فى صيغتها الخطية اثنان ، تبين بالبحث أن

---

٣٦٨ ـ أنظر منهجه الوارد بعد ٠ فى هذا التقديم ٠
٣٦٩ ـ أنظر التصنيف الزمنى بعد ٠

أحدهما منسوب ، وأن الثانى به أكثر من ثقرة ليست للأشعرى · على نحو ما سنتبين بعد ·

ومصادرنا فى التعرف على النسخ المتبقية هى :

١ ـ (تاريخ الآداب العـربية) لبروكلمان جـ ١ ص ٢٠٧ وملحق ٣ صفحة ٣٥٩ ·

٢ ـ (تاريخ التراث الاسلامى) لفؤاد سزجين جـ ١ ص ٦٠٢ ·

٣ ـ فهارس مكتبتى الأزهر ، ودار الكتب المصرية ، حيث ورد فى كل منهما ذكر مصنف ممـا هو منسوب اليه ، مما لم ينشر بعد ، كما أشرنا الى ذلك ، وورد بها أيضا نسخ خطية لمصنفات أخرى لم يرد ذكر بعضها فى كل من كتاب بروكلمان أو فؤاد سزجين · وقد ظهر ذلك خاصة بالنسبة لرسالة (الإيمان) ·

(أ) أما المخطوط من هذه المصنفات فهو :

١ ـ (مقدمة سيدى أبى الحسن الأشعرى فى علم التوحيد) :

وردت الإشارة اليها فى (تاريخ التراث الإسلامى) لفؤاد سزجين على النحو التالى :

(العقيدة) : الأزهر ٣ : ٢٧٨ ، عقيدة ٣٢٠٣ (أربع ورقات ، ١١٥٠ هـ) ؛ وبالرجوع الى فهرس مكتبة الأزهر جـ ٣ ص ٢٧٨ تبيين ، كما هو وارد فى اشارة فؤاد سزجين أنها احدى نسختين تحمل كل منهما فى الفهرس عنوان عقيدة · وبالرجوع الى النسخة المخطوطة وجدنا أنها تحمل العنوان الذى أثبتناه أعلاه وأن الرقم الوارد فى فهرس مكتبة الأزهر وهو ٣٢٠٣ ـ (خصوصية) وأن لها رقم آخر (عمومية) وهو ٤١١٤٥ توحيد ·

وتحمـل الصـفحة الأولى عدا العنـوان وختمى (الكتبخانة الأزهرية) و (وزارة الأوقاف) وعبـارة عن الصـحابة وأنهم (كلهـم عدول رضى الله عنهم ··· الخ) ·وأوله : (بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتى ·

قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى ورضى عنه : أول واجب : النظر ، وذلك بلوغ المكلف الذى يلفظ بالكلام · والنظر هو الفكر الذى يطلب به من قام به علما ، أو غلبه الظن · وفائدته : أن ينظر فى مصنوعات الله تعالى ، الذى له العبادة ، والتقرب ، فيعيده على بصيرة ونور ، لأنه سبحانه انمـا

يعرف بالبرهان · ولا يستمر ذلك البرهان الا بعد المعرفة بحدوث العالم ، وأن كل ما سوى ذاته فهو خلقه وأوجده بعد عدم · ومعنى الحادث هو المبدأ الوجود ··· الخ [ل ا ظ] ·

ويستمر الكلام فى المخطوط فيتعرض المصنف لبيان أن النظر واجب وبيان فائدته وأن برهان معرفة الله ، حدوث العالم ، ثم يتعرض لصفات الله وهو أنه تعالى : قديم باق وحى* ، ليس بجسم ولا جوهر ، ولا عرض ، عالم أفعاله محكمة ، وعلمه قديم ، ليس بضرورى ولا نظرى ، مريد ، قادر سميع ، بصير ، متكلم · هذه الصفات لا يقال عنها هى هو ، ولا هى غيره ، وأنها فى ذاته العلية موجودة ، وأن الله لا يشبه العالم ، وأنه واحد ثم يتعرض لرؤية الله بالأبصار فى الآخرة ، وخلق أفعال العباد وأن كل ما هو موجود من ارادته ، كما يذكر مسألة الاستواء ، ومعجزة النبى صلى الله عليه وسلم ، والشفاعة والتوبة ··· الخ ·

وآخره :

(··· وجميع الصحابة أفضل ممن بعدهم ، والقرن الذى بعدهم أفضل من الذى بعده الى القرن الثالث ، وأفضل الناس بعدهم من اهتدى بهداهم ، واقتدى بالكتاب والسنة ، وجعلها امامه ·

وفاطمة سيدة نساء العالمين ، وفضّلها جماعة على عائشة ، ووقف الشيخ أبو الحسن الأشعرى فى تفضيل احداهما على الأخرى · بالله تعالى التوفيق ، لا رب غيره ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ·

وكلما ذكر الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون ، وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين) [ل ٤ ط] ·

ثم يرد ختم المكتبة الأزهرية فى نهاية المخطوط مع عبارة بقلم أحد قرائه أما الإشارات عن نسخ أخرى لـ (العقيدة) فهى ليست لنفس المخطوطة · فالثانية الوارد ذكرها عند فؤاد سزجين على النحو التالى : (المجمع ٥١١ (من ورقة ٦٢ ـ ٦٧) بنفس الصفحة السابقة من فهرس الأزهر ، تبين بالبحث أنها ليست (نسخة أخرى · كما هو وارد فى هذا الفهرس ولكنها نسخة لحكاية قول جملة أصحاب الحديث) للأشعرى وهو الفصل الوارد فى كتابه (مقالات الإسلاميين) و (الإبانة عن أصول الديانة) · كما سبق وبينا ذلك وسنرجع الى الحديث عن هذه النسخة بعد ،

ثم الإشارة الثالثة عند فؤاد سزجين وهى : (برلين ٢١٠٩ (من ورقة ٢٣ ــ ٢٧ فى القرن الثانى عشر الهجرى) ٠ فقد تبين من الاطلاع على النسخة المصورة (٣٧٠) لهذه النسخة أنها بداية كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) ٠

وقد تبين بالبحث أن (مقدمة سيدى أبى الحسن الأشعرى) ليست بقلمه على نحو ما سبق وأشرنا الى ذلك ــ وقد فصلنا القول فى هذا فيما ذكرناه فى الدراسة عن هذه المقدمة فى كتاب (مصنفات منسوبة الى الأشعرى)(٣٧١) ٠

٢ ــ (شـجرة اليقين) :

لم يرد ذكر هـذا المصنف عند بروكلمان أو فؤاد سزجين ، كمـا لم يرد ذكره عند القدامى ، وانما ورد فى فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية [صفحة ٣ منه] وهو من تصنيف الأستاذ فؤاد السيد أمين المخطوطات بالدار ٠

والبيانات عنه فى هـذا الفهرس كالآتى :

(مصنف مرتب على جملة أبواب ٠ فى النور المحمدى والملائكة ، وخلق الموت ، وحيل الشيطان ، وذكر الأرض ، والقبر ، والصبر ، وجواب منـكر ونكير ، وأحوال البعث والنشر ٠ ويلى ذلك وصيتان احداهما فى التمسـك بالصبر والأخرى فى كيفية أداء الحج ٠

نسخة مصورة بالفوتوستات عن أصل مكتوب بخط مغربى سنة ١١٧٤ ومحفوظة بادار برقم ١١ تاريخ ش [ضمن مجموعة من لوحة ١٦٤ ــ ١٩٨] [٤٤١٩ ج] ٠

نسخة ثانية منسوخة من النسخة السالفة ، بخط محمد محمود عبد اللطيف فى ٧٥ صفحة ومسطرتها ١٩ × ٢٦ سم [٢٣١٦١ ب] ٠

أولها : بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سـيدنا محمد وآله : كتاب (شجرة اليقين) ٠ تأليف الإمام أبى الحسن الأشعرى رضى الله عنه ٠

---

٣٧٠ ــ لقد حصلت على النسخة المصورة لـما أشار اليـه فؤاد سزجين من محتويات مكتبة برلين بفضل سعى الأخت الزميلة ــ السيدة سميحة رمضان حرم الدكتور محمد حمزة عليش لدى السيد السفير مصطفى توفيق الذى كان ببرلين فى ذلك الوقت والذى تفضل مشكورا بتصوير المطلوب وارساله الى الأخت الزميلة دون أدنى تأخير ٠ فللجميع وافر الشكر على هذا التعاون العلمى الكريم ٠

٣٧١ ــ أنظر كتاب (مصنفات منسوبة للأشعرى) بقلم كاتبة هذه السطور (تحت الطبع) ٠

وقد جاء فى الخبر أن الله تعـالى خلق شجرة لها أربعة أغصـان فسماها (شجرة اليقين) ثم خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم ٠

وأهم أبوابه : (باب فى تخليق آدم عليه السلام) [ل ١٦٥ ى] (باب فى ذكر الملائكة) ، (باب فى ذكر تخليق الموت) ، باب فى ذكر ملك الموت ، كيف يأخذ الأرواح) ، (باب فى ذكر جواب الروح) ، (باب فى ذكر جواب الأعضاء) ، (باب فى ذكر الشيطان كيف يسلب الايمان) ، (باب فى ذكر النداء) ، (باب فى ذكر الأرض والقبر) ، (باب فى ذكر نداء الروح بعـد الخروج ٠ من الجسد) ، (باب فى ذكر المصيبة على الميت) ، (باب فى الصبر على المصيبة) ، (باب فى ذكر خروج الروح من البدن) ، (باب فى جواب الأعمال لمنكر ونكير) ، (باب فى ذكر الملكين الكاتبين) ، (باب فى ذكر الروح عند الخروج) ، (باب فى ذكر الصور والبعث والحشر) ، (باب فى صورة النزع) ، (باب فى ذكر فناء الأشياء بأمر الله تعالى) ، (باب فى ذكر كيف يحشر الله الخلائق) ، (باب صفة البراق) ، (باب فى ذكر نفخة الصـور والبعث وذكر حشر الخلائق فى القيامة) ، (باب فى ذكر نصب الميزان) ، (باب فى ذكر الصراط) ، (باب فى ذكر أهل النار) ، (باب فى صفة النار) ، (باب فى ذكر جهنم أعاذنا الله منها) ، (باب فى سوق الخلائق للنـار) ، (باب فى ذكر الزبانية) ٠ وآخره [ل ١٩٢ وليس ١٩٨ ، كما ورد فى الفهرس ؛ اذ ترد بعد ذلك وصيتان] :

(٠٠٠ فيقول ملك : يا نار خذيهم ٠ فتقول النار : كيف نأخذهم وهم يقولون : لا اله الا الله محمد رسول الله ٠ فيقول ملك : نعم بذلك أمر رب العرش ، فتأخذهم ؛ فمنهم من تأخذه الى قدمية ، ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه الى سرته ، ومنهم من تأخذه ٠٠٠) ٠

هـذا هو آخر ما يوجد بالكتاب ، ويوجد بالأصل بعد ذلك مقدار ثمانى ورقات بياض) ٠

ويلاحظ أن مصنف فهرس دار الكتب ، المرحوم الأستاذ فؤاد السـيد ، قد أثبت هذا الكتاب منسوبا الى أبى الحسن الأشعرى ٠

---

٣٧٣ – أنظر المرجع السابق (تحت الطبع) ٠

وهو ما تبيناه وأثبتناه فى دراستنا عنه(٣٧٢) ٠

يوجد لهذا المصنف نسخة أخرى بالخزانة الملكية بالرباط بالمملكة المغربية ٠

(ب) وأما المطبوع من هذه المصنفات فهو :

١ ـ (مقالات الإسلاميين) نشرة ريتر Ritter باستنبول سنة ١٣٢٠ هـ ـ ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٢٩ م ـ ١٩٣٠ م ٠

وطبع مرة ثانية : بفسباون بألمانيا سنة ١٣٥٣ هـ الموافق سنة ١٩٦٣ م كما نشر الكتاب أيضا الأستاذ محيى الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٥٠ م ٠

وقد ورد عند فؤاد سزجين ما يفيد بأن لهذا الكتاب (المقالات) مختصر بعنوان (قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة فى الاعتقاد) ٠ مخطوط بدار الكتب ٧ : ٥٦٥ توحيد ٥ [من ورقة ٥٩ ـ ٦١] ٠

والمخطوطة التى لها هذا العنوان ليست موجزا لكتاب المقالات ، لأنها (جملة أقوال أصحاب الحديث) ٠ و (المقالات) كتاب يعرض آراء الفرق على اختلافها ٠ والمخطوطة على نحو ما هى عليه عبارة عن فصل من كتاب (المقالات) [أنظر صفحة ٣٢٠ من ج ١ من طبعة السيد/محيى الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٥٠] وترد أيضا فى كتاب الإبانة عن أصول الديانة أنظر : أيضا النسخة التى بين أيدينا ، وسيرد الحديث عنه فى موضعه بعد ٠

[أنظر التعليقات والتعقيب على هذا المصنف رقم ١٩ بقائمة ابن فورك الواردة فى هذه الدراسة] ٠

٢ ـ كتاب (اللمع فى الرد" على أهل الزيغ والبدع) نشره وترجمه الى الإنجليزية الأب مكارثى فى كتابه (مذهب الأشعرى الكلامى) بيروت سنة ١٩٥٣ م ٠ "The Théology of al-Ash'ari" by Mc-Carthy Beyrouth 1953

وقد نشره أيضا دكتور حمودة غرابة ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة والمثنى ببغداد سنة ١٩٥٥ م ٠

[أنظر التعليقات على (اللمع) وهو برقم ١٢ بقائمة ابن فورك الواردة فى هذه الدراسة] ٠

٣ ـ (تفسير القرآن) وأثبت فؤاد سزجين عنوانه بالكامل كما ورد بكتاب (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر وهو (تفسير القرآن والرد على من خالف البيان ، من أهل الإفك والبهتان) وأضاف : (واسمه الأصلى (المختزن) [كما قال بذلك أبو بكر بن العربى والقريزى ـ أنظر : الكوثرى وملاحظتان على كتاب تبيين كذب المفترى : ٢٩ ، ١٣٦] ٠ ويقال ان هذا الكتاب كان ضخما وشاملا ، وكتبه الأشعرى ضد الجبائى والبلخى وبقيت منه المقدمة فقط [أنظر ابن عساكر فى تبيين كذب المفترى ، ١٣٦ ـ ١٣٩] ٠

غير أن ما ورد على لسان الأشعرى فيما يتعلق بـ (المختزن) ينفى أن يكون هذا الكتاب فى التفسير ، اذ قال انه ألفه (فى ضروب من الكلام) وذكر فيه مسائل للمخالفين لم يسألوه عنها ولا سطروها فى كتبهم) [التبيين ص ١٣٣] اذا (فالمختزن) ليس هو (التفسير) ٠ [أنظر التعليقات على هذا الكتاب رقم ٤٩ بقائمة ابن فورك الواردة فى هذه الدراسة] ٠

٤ ـ كتاب (العمد فى الرؤية) ولقد ذكر فيه أسماء كتبه على نحو ما بينا قبل ذلك ٠ وبقيت منه أجزاء فقط فى كتاب (تبيين كذب المفترى) [١٢٨ ـ ١٣٦] ٠

[أنظر التعليقات والتعقيب على هذا الكتاب رقم ١ فى القائمة المدروسة سابقا] ٠

٥ ـ (رسالة الى أهل الثغر بباب الأبواب) نشرها قوام الدين فى مجلة : IL, Fak, Mecrn. باستنبول ٧ : ١٥٤ وما بعدها ، ٨ ، ٥٠ وما بعدها سنة ١٩٢٨ [أنظر التعليقات على هذا المصنف رقم ١٠٠ بالقائمة المدروسة سابقا] ونسختها بريڤان كوشيك ١٠/٥١٠ مصورة بجامعة الدول العربية ١٠٥ توحيد ٠

٦ ـ (رسالة الإيمان) حققها ونشرها مع ترجمة ألمانية شبيتا Spitta فى كتابه عن الأشعرى ومذهبه) ليبسج ١٨٧٦ م ٠

تشستربيتى ٥/٣٨٥٤ (من ورقة ٥٠ ـ ٥٢ فى القرن الثامن الهجرى والترجمة الألمانية واردة فى كتابه من صفحة ١٠١ ـ ١٠٤

وذكر فؤاد سزجين نسخة أخرى لهذه الرسالة بدار الكتب ١ : ١٨٣ علم كلام [٣/١١٤٥ من ورقة ١٦ ـ ١٨ فى القرن السادس الهجرى] ٠ وظهر بالبحث أن الرسالة التى لها هذا الرقم ليست لأبى الحسن الأشعرى ولكن للحسن البصرى ٠

غير أنه توجد نسخ أخرى لهذه الرسالة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم : ٢ (مجاميع) ميكروفيلم ٤٩٥٣ ، ٢٦ (مجاميع) ميكروفيلم ٤٥٤٢ ، وأيضا ٦٠٨ (مجاميع) ميكروفيلم ٤٩٩٠ من ورقة ٢٠٣ الى ٢٠٤ بعنوان (فصل) ٠

[أنظر التعليقات على هذا المصنف رقم ٩٩ بالقائمة المدروسة سابقا]

٧ ـ (رسالة استحسان الخوض فى علم الكلام) : طبعت سنة ١٣٢٣ هـ/ ١٩٣٢ م بحيدر أباد ونشرها الأب مكارثى مع ترجمة بالإنجليزية فى كتابه : (مذهب الأشعرى الكلامى) Mc-Carthy. The Théology of Al-Ash'ari Beyrouth 1953.

وذكر فؤاد سزجين أن لها نسخة بمكتبة فيض الله ٢/٢١٦١ (من صفحة ٤٩ ب ـ ٥٢ أ ، سنة ١٠٦٣ هـ) ٠

وقد تبين بالبحث أن الرسالة التى ذكرت عند فؤاد سزجين على أنها : (رسالة بدون عنوان ٠ تبحث فى دعوى أن كل الأبحاث حول الدين والمشاكل الفلسفية بدع وضلال ٠٠) برلين ٢١٦٢(٣٧٣) (من ورقة ٤ ـ ٦ ، سنة ٨٧٤ هـ) هى رسالة استحسان الخوض فى علم الكلام ٠ وينقصها فقط الفقرة الأخيرة وبها من الاختلافات ما يدعو الى الاهتمام ٠ رغم قلة هذه الاختلافات ٠

وهذه الرسالة من الكتب المنسوبة الى الأشعرى على نحو ما بينا ذلك تفصيلا فى موضعه(٣٧٤) ٠

[أنظر التعليقات والتعقيب على هذا المصنف رقم ١٠١ من القائمة المدروسة] ٠

٨ ـ (قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة فى الاعتقاد) نشرت ضمن مجموعة (عشر رسائل للسلف) بدون تحقيق ـ القاهرة ٠

وهى فصل بكتاب (مقالات الإسلاميين) [صفحة ٣٢٠ من طبعة السيد/

---

٣٧٣ ـ هذا هو المخطوط الثانى الذى حصلت على صورة لنسخته الخطية بفضل سعى الأخت الزميلة السيدة سميحة رمضان حرم الدكتور محمد حمزة عليش التى تفضلت مشكورة بطلب تصوير المطلوب من السيد السفير مصطفى توفيق الذى سعى بدوره لتحقيق ذلك فلها ، ولكل من تفضل بالمعاونة كل تقديرى وشكرى ٠

٣٧٤ ـ أنظر كتاب (مصنفات منسوبة للأشعرى) للدكتورة فوقية حسين محمود (تحت الطبع) ٠

محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٠ م] وأيضا بكتاب (الإبانة عن أصول الديانة [صفحة ٨ من طبعة المطبعة المنيرية بالقاهرة وهى طبعة غير محققة أنظر أيضا النسخة التى بين أيدينا] ٠ كما نشرها الأب مكارثى مع ترجمة انجليزية بكتابه (مذهب الأشعرى الكلامى) بيروت سنة ١٩٥٣ Mc-Carthy. "The Théology of al-Ash'ari Beyrouth 1953.

ولها أصل مخطوط بدار الكتب ٧ : ٥٦٥ توحيد : ٥ (من ورقة ٥٩ـ٦١) وآخر برقم ٧٧ مجاميع ـ ثم النسخة التى وردت تحت عنوان (عقيدة) عند فؤاد سزجين ، على أنها نسخة أخرى لمخطوطه (عقيدة) الموجودة بالأزهر ـ وبياناتها عنده هى : برلين ٢١٠٩(٣٧٥) (من ورقة ٢٣ ـ ٢٧ فى القرن الثانى عشر الهجرى) ، تبين بالبحث أنها بداية كتاب (الإبانة للأشعرى حيث الجزء الخاص بأقوال أهل السنة ، ويرد فى نهاية كلام الأشعرى ٠٠) انتهى ما نقله الحافظ الإمام أبو القاسم بن عساكر عن كتاب الإبانة للأشعرى رضى الله عنه(٣٧٦) وقد سبقت الإشارة الى ذلك عند الحديث عن كتابه (العقيدة) السالف الذكر ٠ [أنظر أيضا التعليقات على هذا المصنف رقم ١ من القائمة المدروسة] ٠

٩ ـ كتاب الإبانة عن أصول الديانة :

وهذا الكتاب هو الذى بين أيدينا ٠ وقد سبق أن طبع طبعتين واحدة بحيدر أباد بالهند سنة ١٣٢١ ، بالقاهرة ١٣٤٨ ، ١٩٥٧ بدون تحقيق علمى وترجم كلاين Kelin جزءا منه فى كتابه : W. C Klein. The Elucidation of Islam's Foundation. 1940

وللكتاب ضميمتان :

(أ) (ضميمة الإبانة) لمحمد عنايت على الحيدر أبادى ١٣٢١ هـ ٠

(ب) ضميمة أخرى لنفس المؤلف وطبعت أيضا بحيدر أباد ٠

وبعض النسخ المطبوعة بها ثلاث ضميمات ٠ مثل نسخه ـ القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ ـ ١٩٥٧ م ٠

وللكتاب عدة نسخ خطية وصلت الينا منها أربع نسخ احداها من بلدية الاسكندرية والثانية نسخة ريفان كوسيك ، والثالثة : نسخة الأزهر ٠

---

٣٧٥ ـ أنظر : التحقيق ، الوارد فى هذه الدراسة ٠

٣٧٦ ـ أنظر المخطوطة : برلين ٢١٠٩ ـ ل ٢٧ سطر ٦ ، ٧ ، ٨

والرابعة نسخة دار الكتب وسنرجع الى الكلام عن هذه النسخ الأربع — فى (التحقيق) ٠

أما ما لم نحصل عليه من نسخ فهى تلك التى وردت عند فؤاد سزجين مثلا وبالسؤال يتبين أنها فقدت ٠ بحيث لم يبق لى سوى النسخ الأربعة التى اعتمدت عليها فى التحقيق ٠

هذه هى مصنفات الأشعرى التى لها نسخ بين أيدينا ، المخطوط منها والمطبوع ٠ وقد تبينا أن من هذه المصنفات ما هو ليس للأشعرى رغم طوال الفترة التى بقى فيها منسوبا اليه مثل : (رسالة استحسان الخوض فى علم الكلام) وغيرها ، على نحو ما سنتبين ذلك فى دراستنا عن الكتب المنسوبة للأشعرى ٠

وقد خصصت لها دراسة تحت عنوان (مصنفات منسوبة الى للأشعرى ، كما سبق وأشرنا الى ذلك ٠

بحيث نستطيع أن نقول ان ما للأشعرى من مصنفات هو : ثمانية مصنفات بعد استبعاد الثلاثة المنسوبة ، واعتبار أن (حكاية جملة قول أهل الحديث) مصنف على حدة ٠ وهو ما لا نميل اليه لأن الأشعرى نفسه لم يفصله ٠ واذا كان قد نشر مستقلا فذلك من فعل بعض اللاحقين عليه ٠ ومكان هذه (الحكاية) هو الكتب التى استخرجت منها وهما اثنان : (مقالات الاسلامية) و (الإبانة عن أصول الديانة) كما سبق وبينا ذلك ٠

فاذا قبلنا هذا فيكون عدد مصنفات الأشعرى التى لها نسخ بين أيدينا هو سبعة مصنفات نذكرها طبقا لترتيب ورود أسمائها فى قائمة ابن فورك التى اتخذناها أساسا لدراستنا لمصنفات الأشعرى وما صدر عليها من تعليقات كانت محل تعتيب منا ٠ وسنذكر أمام كل مصنف رقمه الذى اثبتناه فى القائمة الواردة فى هذه الدراسة ٠ ويلاحظ أن كتاب (العمد فى الرؤية) قد وضعناه على رأس هذه القائمة على اعتبار أنه وردت به أسماء مصنفات ما قبل ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م ولكنه ليس أول ما صنف :

١ ـ العمد فى الرؤية) [جزء منه نشر فى كتاب التبيين]

١٢ ـ اللمع فى الرد (على أهل الزيغ والبدع)
[نشره كل من مكارثى وغرابة]

١٩ ـ (مقالات الاسلاميين)
[نشره كل من ريتر ومحيى الدين عبد الحميد]

٤٩ ـ (التفسير) [جزء منه نشر فى كتاب التبيين]

٩٩ ـ رسالة فى الإيمان [نشر شبيتا]

١٠٠ ـ رسالة الى أهل الثغر بباب الأبواب
[نشره قوام الدين]

١٠٢ ـ الإبانة عن أصول الديانة [وهو الفصل الذى بين أيدينا] ٠

فاذا أردنا الآن أن نقوم بتصنيف زمنى لهذه المصنفات التى بين أيدينا ، نجد أن ابن فورك يعطينا التوجيهات الأولى ان لم تكن الوحيدة بخصوص هذا التصنيف ، وذلك عندما صرح بأن من هذه الكتب ماصنف قبل ٣٢٠ هـ/٩٣٥ م ومنها ما صنف بعد ذلك ٠

وبتتبع ما ورد فى كل قسم من قسمى قائمة ابن فورك نجد الآتى :

(ا) أن ما صنف قبل ٣٢٠ هـ /٩٣٥ م هو :

١ ـ (اللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبدع) ٠

٢ ـ (مقالات الاسلاميين) ٠

٣ ـ تفسير القرآن ٠

(ب) وأن ما صنف بعد ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م هو :

٤ ـ (رسالة) الايمان ٠

٥ ـ رسالة فى الردّ على أهل الثغر بباب الأبواب ٠

٦ ـ (والعمد فى الرؤية [على اعتبار أنه ورد به القسمان] ٠

أما الإبانة عن أصول الديانة (وهو المصنف الذى لم يرد ذكره لا فى قائمة ابن فورك ، ولا فيما استدرك به ابن عساكر على هذه القائمة ، سهوا ، كما بينا ؛ فقد رجحنا أن يكون قد صنف فى مستهل فترة تخلصه من الاعتزال لأنه يحتوى على أسس موقفه الجديد ، على اعتبار أن ما ذكر عن نقاش الأشعرى مع البربهارى ، الذى ترتب عليه تأليف هذا الكتاب أمر لم تثبت صحة بسبب تعارض أقوال صاحبه مع حقائق تاريخية ثابتة وهى ادعاؤه ترك الأشعرى لبغداد عقب هذه المقابلة ، بينما المصادر تؤكد أنه بقى بها حتى وفاته على نحو ما بينا ذلك فى موضعه(٣٧٧) ٠

---

٣٧٧ ـ أنظر ما ورد عن سيرته فى هذه الدراسة ٠

ثم اذا أخذنا فى الحسبان أن الترتيب الوارد فى قائمة ابن فورك يمكن أن يمثل تسلسلا زمنيا بالنسبة للتأليف ، على اعتبار أن الأشعرى نفسه هو الذى سجل اسماء ما صنف من كتب فى كتابه (العمد فى الرؤية) ٠

فانا نجد أنه يمكن أن يكون الترتيب كالآتى :

١ ـ (الإبانة عن أصول الديانة)
[مستهل فترة ما بين ٣٠٠ هـ ، ٣٢٠ هـ/٩١٥ م ، ٩٣٥ م]

٢ ـ اللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبدع)
[قبل سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م]

٣ ـ (مقالات الاسلاميين) [قبل سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م]

٤ ـ (تفسير القرآن) [قبل سنة ٣٢٠ هـ /٩٣٥ م]

٥ ـ (رسالة الايمان) [بعد سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م]

٦ ـ (رسالة فى الرد على أهل الثغر بباب الأبواب)
[بعد سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م]

٧ ـ (العمد فى الرؤية) [بعد سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٥ م]

ولهذا الترتيب ما يبرره من ناحية ظروف سيرته :

فكتاب الإبانة يحتوى على الأصول الراسخة لموقف السلف وهى الأصول التى اتخذها الأشعرى أساسا لموقفه من العقائد ٠ ثم (اللمع) به ردود تعتمد على هذه الأسس ، (والمقالات) تجىء أكثر تفصيلا ، لعرض آراء الخصوم ونقضها (والتفسير) يأتى لهدم مواقف المعتزلة الخاطئة فى التفسير ـ وقد كانت كثيرة عند الأشعرى طبقا لقائمة ابن فورك ٠ ثم العمد حيث أسماء كتبه ٠

هذا تصنيف زمنى مقترح لكتب الأشعرى التى لها نسخ بين أيدينا معتمدين فى هذه المحاولة على ما يمكن أن نستشفعه من قائمة ابن فورك وظروف سيرة الإمام الأشعرى ٠

ويلاحظ أننا أقمنا هذه المحاولة على أساس أن الأشعرى له موقف واحد فقط من العقائد ، بعد خروجه عن الاعتزال ٠ وهو أنه يتبع أصول السلف الصالح فى تناوله للنصوص المنزلة ٠ مستبعدين بذلك مختلف الفروض الخاصة بأنه كان صاحب موقف وسط بين المعتزلة والسلف ، أو أنه تخلص تدريجيا من الاعتزال ٠ أو أنه أخذ بأصول السلف ثم رجع الى الاعتزال ، فكل هذه افتراضات لا تقوم على أساس واضح لفهم المقصود (بالموقف من

العقـائد) أو (المنهج) ، كما أنها تبعد عن التعبير عن حقيقة ما كان عليـه امام الأشعرى ٠

وسنتناول فى النقطة التالية : (منهج أبى الحسن الأشعرى) ٠ فدراستنا لمصنفات الأشعرى قد قامت على أساس فهمنا لموقفـه ومنهجه من العقائد وعلى تقديرنا لجميع العناصر الاسلامية التى تدخلت فى تكوينه والتى كانت سببا فى أن رجع عن الاعتزال عقب رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه ٠

منهج أبى الحسن الأشعرى :

لقـد كان منهج ابى الحسن الأشـعرى محل بحث ودراسة ، وصدرت فيه آراء من قبل المحدثين ، تأرجحت بين أن يكون قد رجح العقل على النقل أو النقل على العقل ٠

وكان من دواعى هذا التأرجح موقف الحنابلة المعادى منه ، رغم تصريحه عند تحوله عن الاعتزال بالانتماء الى أهل (الاتباع) أى السلف ٠ وخاصـة الإمام أحمد بن حنبل حامى السنة وقامع البدعة ٠٠ فموقف الحنابلة منـه كان له أثره المباشر فى زعزعة الثقة فى حقيقة موقفـه ٠ وكان من أثر هـذه الزعزعة أن اتفقت الآراء تقريبا ، على أنه صاحب مذهب وسـط(٣٧٨) بين المعتزلة وأهل السنة ٠ وهذا ما يتعذر الموافقة عليـه ، لا من ناحية حقيقة الفرق بين موقف السلف والموقف المعتزلى ٠ ولا من ناحية حقيقة موقف الأشـعرى نفسه ٠

---

٣٧٨ — ان آخر دراسة عن الأشـعرى هى تلك التى قدمها الأب ميشـل آلار فى كتابه (مشكلة الصفات الإلهية ٠ عند الأشعرى وبعض كبـار تلامذته) ٠ بيروت ١٩٦٥

Le Problème des Attributs Divins chez al-Ash'ari et ses premiers Grands Disciples - Beyrouth 1965.

ورأيه فيما يتعلق بمنهج الأشعرى لا يتغير عن الحكم المشهور عنـه وهو أنه (وسط بين أهل السنة والمعتزلة) ٠ ومما صرح به آلار أن الأشعرى قد أراد أنه يخضع للعقل مالا يقبل بطبيعته أن يكون كذلك وهو النصوص المنزلة أى أن آلار يرى أن الأشعرى لم يتبين قيمة النص المنزل والأسلوب الذى يجب أن يتناوله به) ٠ [أنظر كتابه] فاثبت أنه حاول اخضاع النص ٠ كأنه يود أن يقول أنه فشل فى ذلك ٠

فاذا وقفنا عند النقطة الأولى وهى : حقيقة الفرق بين موقف السلف والموقف المعتزلى نقول : ان الحكم بأن الأشعرى (صاحب موقف وسط بين المعتزلة وأهل السنة) ، غير صحيح من أساسه اذ لو فهم موقف كل من المعتزلة وأهل السنة) ، غير صحيح من أساسه ، اذ لو فهم موقف كل من يصح التوفيق بينهما • بحيث ينتهى الأشعرى الى هذا الذى سمى (موقف وسط) • ذلك لأن الإختلاف بين الوقفتين جذرى ، ويكمن فى بداية الوقفة أو عند منطلقها ويتمثل فى : أيهما يعطى له مكان الصدارة : النص المنزل أو كما يقال النقل ، وهذا هو الوضع عند السلف ، أم العقل وهذا ما عليه وقفة المعتزلة •• ؟

فالمسألة عبارة عن (علاقة ، أما هذا أو ذاك) •

وعلاقة (اما ••• أو) لا تسمح بطرف ثالث بينهما ، أو على الأقل هذا ما أراده الأشعرى نفسه من تصريحه عند خروجه عن الاعتزال ، واعلانه الانتماء الى أحمد بن حنبل •

فهل صرح الأشعرى بما لم يملك الوفاء به ؟ أم أنه وفى وعده ، وتخلص من الاعتزال ، وكان له أسلوبه الملتزم بطريقة أحمد بن حنبل ؟ ولكن لم يظهر ذلك جليا لأعين الحنابلة والباحثين المحدثين بسبب عدم وضوح حقيقة وقفة أحمد بن حنبل فى الأذهان • ؟

اذا كان الأمر كذلك فيجب اذا ، لكى يتضح موقف الأشعرى ا أن نبين أولا : حقيقة كل من الوقفتين : وقفة السلف ممثلة خاصة فى أحمد بن حنبل ، ووقفة المعتزلة ، لإبراز الإختلاف الجذرى بينهما •

ثانيا : حقيقة منهج الأشعرى ، ليس فقط فى (الإبانة عن أصول الديانة وهو الكتاب الذى بين أيدينا ، ولكن فى كل كتبه التى وصلت الينا • مع الإشارة الى ما هو منسوب(٣٧٩) اليه والذى ربما كان سببا فى عدم وضوح الرؤية عن حقيقة وقفته السلفية •

أولا ـ حقيقة كل من وقفتى : السلف والمعتزلة :

لعله يكون من المجدى لبيان حقيقة كل من وقفتى السلف والمعتزلة ، انّ

---

٣٧٩ ـ تبين بالبحث أن كتاب (استحسان الخوض فى علم الكلام) منسوب اليه ـ أنظر كتاب كتب منسوبة الى الأشعرى بقلم دكتورة فوقية حسين محمود • (تحت الطبع) •

نقف وقفة أطول مع موقف السلف الذى ، اذا ما وضح ألقى الأضواء على حقيقة الوقفة المخالفة وهى الاعتزال ٠

ومن أقدم كتب السلف التى وصلت الينا فى الردّ على المناوئين كتاب : (الردّ على الزنادقة والجهمية ؟ للإمام أحمد بن حنبل [ت ٢٤١ هـ / ٨٥٦ م] ولذلك سنقف عند مضمون هذا الكتاب لنتبين طريقة السلف فى تناول القضايا التى تمس العقائد ٠

من أهم القضايا التى أثارت اهتمام الإمام أحمد بن حنل وأمثاله من السلف الصالح ، قضية (متشابهة القرآن) (وبيان ما فصل الله بين قوله وخلقه) (وبيان أن القرآن ليس بمخلوق) (وبيان ما جحدت به الجهمية من قول الله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) [٢٢ ، ٢٣ هـ / ٧٥ م] (وبيان ما انكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى) (وبيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش) (وبيان ما تأولت الجهمية من قول الله : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) [من آية ٧ / المجادلة] (وبيان ما ذكر الله فى القرآن (وهو معكم) [من آية ٤ / الحديد] وبيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التى رويت ؟ (وبيان ما تأولت الجهمية من قول الله (هو الأول والآخر) [من آية ٣ / الحديد] ٠

فهذه مسائل حول العقائد ، ما كان السلف يخوض فيها لولا أن وجدوا من المغرضين المضللين من أولها على غير تأويلها ، مشككا فى القرآن الكريم ، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ٠

ولذلك كانت وقفتهم أصلا من أجل التنبيه الى التأويل الصحيح للنصوص المنزلة : قرآنا كانت أم سنة ، للقضاء على ما انتشر بفعل هؤلاء المضللين من التأويل الفاسد لهذه النصوص ٠

ولما كان التأويل الصحيح له أصوله ؛ فقد أبرزها رجال السلف الصالح وبينوها من خلال التطبيق ، أى من خلال تناولهم للنصوص ، لبيان معانيها ، وينطلق جميعهم من الوقفة التالية وهى :

مواجهة النص المنزل بدون أفكار مسبقة ، أى بدون أنسقة فكرية أو مذاهب فى تفسير الوجود أو المعرفة ، تؤدى الى اخراج النص عن حقيقته ، بعبارة أخرى اعطاء مكان الصدارة والأولوية للنص المنزل ليكشف عن مضمونه من واقع الفهم اللغوى للألفاظ وبالاستعانة بالنصوص المنزلة الأخرى وبمختلف أصول التفسير على نحو ما سنبين ذلك تفصيلا بعد ٠

وهذا ما كان من أحمد بن حنبل ، فقد أثبت النصوص المنزلة ، وفسرها على النحو الذى تؤدى اليه الألفاظ : معطيا للنص الأولوية فى الكشف عن **مضمونه** ٠

فبالنسبة لمتشابه القرآن يثبت الآية الكريمة : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) [٥٦ / النساء] ويبين أن قوله تعالى (بدلناهم جلودا غيرها) ليس يعنى جلودا غير جلودهم وانما يعنى تجديدها ٠ وكان الزنادقة قد قالوا (فما بال جلودهم التى عصيت قد احترقت وأبدلهم جلودا غيرها ، فلا نرى الا أن الله يعذب جلودا لم تذنب)(٣٨٠) **فخرجوا بالمعنى عن حقيقته** ٠ ويقول لهم ابن حنبل : (القرآن فيه الخاص والعام ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء)(٣٨١) منبّها بذلك الى أصول التفسير التى يجب أن يأخذوا بها ٠

ثم يذكر أكثر من عشرين موقفا شكك فيه الزنادقة فى القرآن ٠ وأغلبها يقوم على وضع الزنادقة لأجزاء من الآيات لإبراز أنها تعارض بعضها البعض ؛ فيراجعهم ابن حنبل فيما فعلوه ، ويدحض تأويلهم باثبات التفسير الصحيح لما أثبتوه من أقواله تعالى ٠ مستعينا فى هذا بأصول التفسير التى من أهمها ؛ تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيره بالسنة ، واحترام أصول اللغة التى خاطب بها الله العرب ، وهى لغتهم ، اللغة العربية ، وباقى وجوه التفسير على اختلافها ٠

فمثلا ادعاؤهم أن قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون [٣٥ / المرسلات] وقوله تعالى : (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) [٣١/الزمر] كلام ينقض بعضه بعضا ٠

فيبين لهم ابن حنبل التفسير الصحيح لهذه النصوص المنزلة ٠ فيقول : (أما تفسير (هذا يوم لا ينطقون) فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار فيعتذرون ، ثم يؤذن لهم فى الكلام فيتكلمون ، فذلك قوله : (ربنا أبصرنا ، وسمعنا ، فارجعنا نعمل صالحا [١٢/ السجدة] فاذا أذن لهم فى الكلام فتكلموا ، واختصموا فذلك قوله (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) عند الحساب ، واعطاء المظالم ، ثم يقال لهم بعد ذلك ، (لاتختصموا لدى أى عندى ، وقد قدمت اليكم بالوعيد) [٢٨/ ق] فان العذاب مع هذا القول كائن)(٣٨٢) ٠

---

٣٨٠ ـ أنظر (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل ص ٥٣ من عقائد السلف للدكتور على سامى النشار والأستاذ عمار جمعى طالبى مصر ١٩٧١

٣٨١ ـ نفس المرجع السابق ٠

٣٨٢ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) ص ٥٤ من (عقائد السلف) ٠

وبهذا يصح ابن حنبل التفسير مفسرا القرآن بالقرآن ومبينا تأويل ما ذكروه على غير تأويله ٠

ويفعل بالمثل بالنسبة لسوء تأويلهم فى المواقف الأخرى مستعينا بمختلف أصول التفسير(٣٨٣) ٠

هذا ما كان منه تجاه الزنادقة(٣٨٤) ٠

أما الجهمية(٣٨٥) فقد بدأ تناوله لموقفهم من (متشابه القرآن) باثبات جدلهم مع أناس من المشركين يقال لهم (السمنية)(٣٨٦) وكان الجدل بين الجهم وبين هؤلاء السمنية ٠ ويتضح من عرض أحمد بن حنبل أن الجهم عندما استشهد بالآيات الكريمة مثل قوله تعالى : (ليس كمثله شيء [١١ / الشورى] (وهو فى السموات والأرض) [٣/الأنعام] ، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [١٠٣ / الأنعام] لم يكن ذهنه خلوا من مفاهيم أستقاها من زنادقة النصارى عن (أن الروح الذى فى عيسى هو) روح الله من ذات الله)(٣٨٧) ٠ وبالتالى انتهى الى نفى الصفات ٠

ويرد عليهم ابن حنبل فى سياق كتابه بما يؤكد ضرورة الأخذ بمبدأ قبول كلام الله على ما يدل عليه من معان دون محاولة التأويل على غير تأويله ٠

ـ أما عن بيان ما (فصل الله بين قوله وفعله)(٣٨٨) ٠

فقد استعان ابن حنبل بعدة أمثلة من قوله تعالى ليبرز المرسل والمتفصل فأثبت قوله تعالى : (يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) [٧٨ / يوسف] هذا مثال للمرسل ٠

---

٣٨٣ ـ أنظر المرجع السابق من صفحة ٥٣ الى صفحة ٦٤

٣٨٤ ـ أنظر هامش (١) من صفحة ٥٣ من المرجع السابق حيث شرحت كلمة (الزنادقة) لبيان أنها تطلق على كل من يخالف الإسلام فى عقائده ويعتنق الكفر ٠

٣٨٥ ـ الجهمية نسبة الى جهم بن صفوان السمرقندى ـ [أنظر مادة جهم والجهمية بالموسوعة الإسلامية ـ مقال تعليم دكتور مونتجومرى واط ٠

٣٨٦ ـ جماعة من البوذية ٠ (أنظر لمزيد من التفاصيل) كشاف اصطلاحات الفنون للنهاندى جـ ص

٣٨٧ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) ص ٦٦ من (عقائد السلف) ٠

٣٨٨ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل صفحة ٧٤ من (عقائد السلف) ٠

واثبت : (وما يستوى الأعمى والبصير) [١٩ / فاطر] فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما ٠

وأورد عدة أمثلة أخرى وانتهى باثبات الآية الكريمة (ألا له الخلق والأمر) [من الآية ٥٤ / الأعراف] لأن الخلق غير الأمر ٠

ـ والأمر بالمثل بالنسبة لبيان ما أبطل الله أن يكون القرآن الا وحيا وليس بمخلوق ؛ فقد بدأ باثبات قوله تعالى : (والنجم اذا هوى) [١/النجم] الى قوله تعالى : (فأوحى الى عبده ما أوحى) [١٠/النجم] ٠

ثم بين أن القرآن ليس بشيء لقوله تعالى : (انّما قولنا لشيء) [٤٠/ النحل] فالشيء ليس هو قوله ، وانما الشيء الذى كان بقوله ٠٠٠ الى آخر ما قدمه من أدلة نصّيّة تعرّف بما يجب أن يفهم من النصوص المنزلة : قرآنا أم سنة ٠

ـ وكذلك بيان مسألة الرؤية(٣٩٠) ، فقد استهلها ابن حنبل باثبات النص المنزل وتفسيره ٠ وأما النص فهو قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة) [٢٣/القيامة] الذى فهمه الجهمية على أنها تنتظر الثواب من ربها ٠ لأنهم نفوا رؤية الله بالأبصار اعتمادا على قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار [ت الآية ٦/١٠٣] غير أن ابن حنبل أثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم يعرف معنى قول الله :(لا تدركه الأبصار) فقال : (انّكم سترون ربّكم) [أخرجه البخارى ، ومسلم ، والترمذى] ويواصل استشهاده بالأحاديث والآيات عن جواز الرؤية للمؤمنين ٠ وفى الآخرة ٠ وكلها أدلة نصيّة ٠

ـ ثم بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى(٣٩١) ٠

فقد استهله أيضا بالنصوص المنزلة ٠ مثل قوله : (يا موسى انى أنا ربك) [١٢/طه] أو قوله : (انّنى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصّلاة) [١٤/طه] وغير هذه وتلك من آى الذكر الحكيم لإثبات أن الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ، ولا فم(٣٩٢) ٠

---

٣٨٩ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٧٥
٣٩٠ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٨٥
٣٩١ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٨٧
٣٩٢ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٨٩

ثم يتطرق الى موقفهم عامة من نفى الصفات ؛ فيثبت كل ما قاله تعالى عن نفسه وهو بجميع صفاته اله واحد ٠

ـ أما بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله على العرش ٠

فقد أثبت ابن حنبل قوله تعالى : (الرّحمن على العرش استوى) [٥٤/الأعراف] وغيرها من الآيات الكريمة لإثبات الجلوس على العرش بلا كيف ٠

وأن الله تعالى يحيط بكل شىء دون أن يكون فى شىء ٠

ـ وأما بيان ما تأولت الجهمية من قول الله : (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم)(٣٩٤) [٧/ المجادلة] ٠

فيبين ابن حنبل أنه معهم بعلمه ، ويفند ادعاءات الجهم ، ليبين أن الله علم وليس مخلوقا ولا محدثا وهو قول أهل السنة ٠

ـ وأخيرا يقف عند قوله تعالى : (وهو معكم)(٣٩٥) ٠

ويبين من واقع الآيات أنه على وجوه ويبين هذه الوجوه :

فمثلا : قال الله جل ثناؤه لموسى : (انّنى معكما) [٤٦/طه] أى فى الدفع عنكما ، وكذلك فى قوله : (ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) [٤٠/التوبة] يقول فى الدفع عنا :

ثم هناك وجه آخرُ وهو فى النصر على العدو ، فلدينا قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصّابرين) [٢٤٩/البقرة] ٠

ثم هناك من قوله تعالى ما يعنى : بعلم فيهم مثل قوله : (ولا يستخفون من الله وهو معهم) [١٠٨/النساء] ٠

أما قوله تعالى : (فلمّا تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انّا لمدركون ، قال كلاّ ان معى ربى سيهدين) [٦٢/البقرة] يعنى : فى العون على فرعون ٠

وبهذا يبين ثراء معانى الألفاظ فى القرآن ، وأهمية معرفة وجوه الاستعمال على اختلافها من أجل تكشف ما يتضمنه النص المنزل من معنى ٠

---

٣٩٣ ـ أنظر : (كتاب الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل ص ٩٢ من (عقائد السلف) ٠

٣٩٤ ـ نفس المرجع السابق ص ٩٥

٣٩٥ ـ نفس المرجع السابق ص ٩٧

هـذا بالنسبة لكل موقف كلامى انبنى الـكلام فيه على المتشـابه من القرآن وكان أغلب ما أثير من قضايا بسبب المتشابه من القرآن وتأويل أهل الزيغ والبدع على غير تأويله ٠

فكان لابد لابن حنبل ولأمثاله من السلف الصالح أن يقوم موقفهم على بيان التفسير الصحيح لهذه الآيات الكريمة من المتشابه ٠

والتفسير الصحيح يقتضى وضع النص المنزل قرآنا كان أم سنة فى المقدمة وتبين معانيه طبقا لأصول التفسير الصحيحة ، كما سبق وأشرنا الى ذلك التى تبدأ بتفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة ومراعاة أصول اللغة التى خاطب الله بها العرب والخصوص والعموم ومناسبات النزول الى آخر ما وضعه الفقهاء من أسس للتفسير القويم(٣٩٦) ٠

ونقف الآن مع ابن حنبل فى نقاشه لإحدى القضايا الكلامية التى شغلته كثيرا بل وشغلت بال المسلمين فترة طويلة ألا وهى (القول بخلق القرآن) ٠

وقد اتبع ابن حنبل خطواته المعتادة عند مواجهة الجهمية ، خاصة اذا كانت المسألة تتعلق بمتشابه القرآن ٠

ـ الخطوة الأولى : أنه تساءل عن النص المنزل قرآنا أم سنة يكون قد ورد فيه خلق القرآن فلم يجد ٠ يقول فى ذلك :

(فمما يسأل عنـه الجهمى يقال له : تجـد فى كتاب الله أنه يخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد ٠ فيقال له : فتجده فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان القرآن مخلوق ؟ ـ فلا يجد)(٣٩٧) ٠

ـ وما أن ينتهى من ذلك حتى يسأل : (فمن أين قلت ؟ فسيقول : من قول الله : (انـّا جعلناه قرآناً عربياً [من ٣/الزخرف] وزعم أن جعل بمعنى (خلق)(٣٩٨) ٠

وما أن يقع على ادعاء الجهمى فى التأويل ، حتى يصرح بأنه يبتغى بتأويله هـذا الفتنة ويقول : (فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد فى تنزيله)(٣٩٩) ٠

---

٣٩٦ ـ أنظر كتاب (أصول التفسير) لابن تيمية ـ طبعة بيروت ٠
٣٩٧ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل صفحة ٦٩ من عقائد السـلف ٠
٣٩٨ ـ نفس المرجع السابق ٠
٣٩٩ ـ نفس المرجع السابق ٠

ـ ثم يبين سبب الفتنة فيقول :

ان (جعل) فى القرآن من (المخلوقين) على وجهين :

(على معنى التسمية ، وعلى معنى • فعل من أفعالهم)(٤٠٠) • ولكى يبين هـذه الأوجه يذكر أمثلة :

(أ) (الذين جعلوا القرآن عضين) [٩١/الحجر] •
وقوله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) [١٩/الزخرف] هذه أمثلة على معنى التسمية •

(ب) أما قوله تعالى : (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) [١٩/البقرة] فهذا على معنى فعل من أفعالهم •

هـذا بالنسبة (للمخلوقين) •

ـ ثم هناك (جعل) من أمر الله على معنى (خلق) ، وجعل على معنى (غير خلق) ويعطى للوجه الأول عدة أمثلة من القرآن منها :

(الحمد لله الذى خلق السّموات والأرض وجعل الظلمات والنور) [١/ النحل] أى خلق الظلمات والنور • وقوله تعالى : (وجعل لكم السمع والأبصار [٧٨/النحل] وقوله تعالى : (وجعلنا اللّيل والنّهار آيتين) [١٢/الإسراء] وخلقنا الليل والنهار ، آيتين ، وقوله : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها) [١٨٩/الأعراف] أى وخلق فيها زوجها •• وذكر عدة آيات أخرى حيث لفظ (جعل) بمعنى (خلق) وذكر أن (مثله فى القرآن كثير)(٤٠١) •

ـ أما بالنسبة للفظ (جعل) على غير معنى (خلق)(٤٠٢) •
فيذكر ابن حنبل عدة آيات منهـا :
(ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة) [من آية ١٠٣/المـائدة] •
والآية لا تعنى أن الله ما خلق من بحيرة ولا سائبة •

وقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام : (انّى جاعلك للنّاس اماماً [٢٤/ البقرة] لا يعنى انى خالق للناس اماما ، لأن خلق ابراهيم عليه السلام ، كما يقول ابن حنبل ، كان متقدما •

---

٤٠٠ ـ نفس المرجع السابق •
٤٠١ ـ نفس المرجع السابق صفحة ٧٠
٤٠٢ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل صفحة ٧١ من عقائد السلف •

وآيات أخرى متعددة مثل : (ربِّ اجعلنى مقيم الصّلاة) [٤٠/ابراهيم] أخلقنى مقيم الصلاة (٤٠٣) ٠

ويقول ابن حنبل : (ومثله فى القرآن كثير)(٤٠٤) ٠

وبعد ذكر هذه الأمثلة من نصوص القرآن الكريم ، وبيان أن لفظ (جعل) له أربعة معانى : اثنان منهما تخصان الإنسان وأفعاله ، واثنان يتعلقان بقول الله وفعله : أحدهما على معنى خلق والآخر على غير معنى خلق ، يقول : فكيف يخص الجهمى لفظ (جعل) بـ (خلق) رغم أنه ورد أيضا بمعنى (على غير خلق) ٠

ثم يقول : ان الجهمى اذن (من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ٠ وهم يعلمون)(٤٠٥) ٠

وهـذا تصريح خطير يبين مدى الخطأ الذى وقع فيه الجهمى ومن اتبعه من أهل الزيغ والبدع وبعد بيان وجوه استعمال لفظ (جعل) فى آى الذكر الحكيم يرجع الى الآية الكريمة التى استدل بهـا الجهمى وهى : (انـّا جعلناه قرآنا عربيـاً لعلـّكم تعقلون) [٣/الزخرف] ويذكر آيات أخـرى تعين على تفسيرها تفسيرا صحيحا مثل قوله تعالى : (لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين [من ١٩٤ ، ١٩٥/الشعراء] وقوله : (فانـّما يسرناه بلسانك) [٩٧/ مريم] ٠

ثم يصرح بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل القرآن عربيا بمعنى أنه يسره بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، و (أن هـذا فعل من أفعال الله تبـارك وتعالى جعل القرآن به عربيا ، هـذا بيان لمن أراد الله هداه مبينا)(٤٠٦) ٠

وبهذا دحض أقوال الجهمى ، وبين سوء تأويله لكلام الله العزيز وهو ازاء النص المنزّل يفسر القرآن بالقرآن ويحرص على أصول اللغة وأوجه استعمالات اللفظ فى العربية وفى القرآن الكريم مع مراعاة مناسبات النزول والخاص والعام وغير ذلك من أصول التفسير كما سبق وأشرنا اليه ٠

---

٤٠٣ ـ نفس المرجع السابق من ص ٧١ الى ص ٧٢
٤٠٤ ـ نفس المرجع السابق ص ٧٢
٤٠٥ ـ نفس المرجع السابق ص ٧٢
٤٠٦ ـ نفس المرجع السابق ص ٧٢

فموقف ابن حنبل من مسائل العقائد التى أساسها متشابه القرآن لا يخرج عن الرجوع الى النص لتطبيق أصول التفسير الصحيح · وليس له وقفة أخرى فيما يتعلق بالمتشابه سوى هذه ولا يمكن أن تكون هناك وقفة صحيحة سوى هذه طالما أن الأمر متعلق بالمفاهيم التى طرأت بسبب سوء تأويل الجهمية وغيرهم للقرآن أو كما يقول (للتأويل على غير تأويله) مما ترتبت عليه الفتنة ·

هذا هو موقفه من المتشابه وهو موقف كل سلفى · **والموقف على نحو ما بيّناه لا يتحمل أمرا وسطا ؛ فاما أن يكون للنص المنزّل مكان الصدارة ويفسر طبقا لأصول التفسير الصحيح ، واما لا ·**

وقبل أن تختم الكلام فى بيان موقف ابن حنبل نود أن نشير الى نقطتين :

الأولى : موقف ابن حنبل من المشكلة الكلامية حيث (لا متشابه) قامت عليه ·

الثانية : موقفه من الكلام وهل رفضه فعلا وماذا يعنى به ·

أما بالنسبة **للنقطة الأولى :** فلدينا ضمن كلام أحمد بن حنبل فى كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية) أكثر من مناسبة كلامية منشؤها ليس المتشابه من النصوص المنزلة ولكن مواقف فكرية مسبقة عند الجهمى خاصة ·

وأولى هذه المناسبات : عندما كان بصدد عرض عقائد أبى حذيفة وهو واصل بن عطاء وأسلافه الجهمية فى الصفات وهو الرأى القائم على نفيها (٤٠٧) ·

يقولون : (ليس كمثله شىء من الأشياء ، وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان ولا يكون فى مكان دون مكان ، ولم يتكلم ، ولا يتكلم ··· ولا هو خفيف ولا ثقيل ، ولا لون له ···) ·

حتى قولهم : (··· وكلما خطر على قلبك أنه شىء تعرفه ، فهو على خلافه)(٤٠٨) فاذا بالإمام أحمد يقول لهم :

(وقلنا : هو شىء)(٤٠٩) ·

---

٤٠٧ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل ص ٦٧ ، ٦٨
٤٠٨ ـ نفس المرجع السابق ص ٦٨
٤٠٩ ـ نفس المرجع السابق ·

وكان يود أن يصـــل الى أنهـم لا يؤمنون بشيء فقـالوا : (هو شيء لا كالأشياء) فقلنا : (أى الإمام أحمد) :

(ان الشيء الذى لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء)(٤١٠) :

ثم يقول : (فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بمـا يقرون فى العلانية)(٤١١) ٠

ـ **والمناسبة الثانية :** عند عرضه لقولهم : (أخبرونا عن القرآن أهو الله ، أو غير الله)(٤١٢) ٠

فيبين لهم ابن حنبل أن قولهم هـذا من (المغاليط) لأن الجاهل لابد وأن يقول بأحـد القولين ممـا ينتهى الى القول بخلق القرآن ، ثم يبين أن القرآن لا هو الله ولا غيره وانمـا هو كلام الله وهو ما سماه الله به ٠٠

ـ **والمناسبة الثالثة :** عندما كان بصدد بيان رأى الجهمية فى أن الله على العرش استوى فاذا به بعـد عرض النصوص المنزلة وتفسيرها تفسيرا صحيحا يذكر مثل الرجل الذى بين يديه قدح من قوارير صاف(٤١٣) ٠٠ الخ ومثل الرجل الذى بنى دارا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها(٤١٤) ٠٠٠ الخ ٠

من أجل تقريب حقيقة احاطة الله بالكون يعلمه من خـلال هـذه الأمثلة المبسطة ٠

فاذا كان الأمر كذلك فالإمام أحمد بن حنبل يجيز اعمال الفكر والرد بمـا يؤدى الى افحام الخصم فى المثال الأول خاصة ٠ ويبين الأغاليط ويقرب الأمور بالأمثلة للتقريب الى الأذهان ٠ وهو على العموم فى هـذا يقتدى بالرسول عليه الصلاة والسلام عندما قرب الأمور للعوام بالأمثلة والشرح ٠

وأما النقطة الثانية : وهى موقفه من الكلام ؟

فلقد اشتهر عنه أنه دعا الى رفض الكلام ٠

فاذا رجعنا الى كتابه : (الرد على الزنادقة والجهميـة) نجـد أن لفظ

---

٤١٠ ـ نفس المرجع السابق ٠
٤١١ ـ نفس المرجع السابق ٠
٤١٢ ـ نفس المرجع السابق ص ٧٢
٤١٣ ـ نفس المرجع السابق ص ٩٤
٤١٤ ـ نفس المرجع السابق ٠

(كلام) قد ورد فى عدة الأماكن **للإشارة الى ما صدر** عن الخصوم فهو مثلا يقول :

(وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس الى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا **بكلامهم** بشرا كثيرا)(٤١٥) .

كما يقول :

(فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله ، أنه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ . وكان صاحب **خصومات وكلام** ، وكان أكثر كلامه فى الله تعالى)(٤١٦) .

ثم يذكر لفظ (الكلام) أيضا فى سياق حديثه عن رد الجهمى على السمنى عندما استدرك الأول حجة مثل حجة زنادقة النصارى فشبه الله بالروح من أجل أن يثبت للسمنى أن الهه لا يرى مثل روحه ، مبينا أنه ليس له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا تشم له رائحة ، ... الخ(٤١٧) .

وينتهى بعد نفى الصفات بأن يستشهد على ما ذكره بآيات كريمة كقوله تعالى : (ليس كمثله شىء) [١١/الشورى] ـ وقوله : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [١٠٣/الأنعام] فيقول ابن حنبل : انه تأول القرآن على غير تأويله)(٤١٨) ثم يضيف :

(... وكذب بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم أن من وصف الله بشىء مما وصف به نفسه فى كتابه أو حدث عنه رسوله ، كان كافرا ، وكان من المشبهة فأضل **بكلامه** بشرا كثيرا ..)(٤١٩) كما يقول : (يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس)(٤٢٠) .

هذه هى المواضع التى ورد بها لفظ (كلام) وهى كلها كما نتبين ، تشير الى كلام لا يقبله مسلم صحيح العقيدة ، فقد اتخذ ابن حنبل لفظ (كلام) هنا من أجل الإشارة الى الأغاليط وتأويل القرآن على تأويله .

---

٤١٥ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل ص ٦٥ من عقائد السلف .

٤١٦ ـ نفس المرجع السابق .

٤١٧ ـ نفس المرجع السابق ص ٦٦

٤١٨ ـ نفس المرجع السابق .

٤١٩ ـ نفس المرجع السابق .

٤٢٠ ـ نفس المرجع السابق ص ٥٢

فاذا كان الأمر كذلك فهو اذن لا معنى بـ (كلام) الحجج والبراهين النصيّة والتفسير الصحيح لها والذب عن العقيدة بما يسعفه به عقله على طريقة ـ أطل السنة أو السلف الصالح ، ولكنه يعنى بالكلام ما فيه مساس بالعقائد ٠

لذلك اذا كان قد رفض الكلام فهو لابد وأنه يعنى (بالكلام) هذه المواقف الشائنة من العقيدة ، خاصة وأن الباحث يقع فى كتابه هذا (الرد على الزنادقة والجهمية) على ما يفيد أنه يقدّر جهود العلماء فى الذب عن العقيدة ٠ يقول فى ذلك :

(الحمد لله الذى جعل فى كل زمان ٠٠٠ بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضلّ الى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل قد لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم)(٤٢١) ٠

ثم اذا نظرنا فيما صرح به ابنه عند اخراج كتاب والده ، نجد أنه عرف مضمون الكتاب بأنه (فى الردّ على الزنادقة والجهمية ، فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله)(٤٢٢) ٠

اذاً فلفظ (كلام) عنده لا يعنى به موقف الدفاع عن العقائد وانما يعنى به الأغاليط وسوء التأويل فاذا **كان قد رفض الكلام فانه لا يرفض مواقف الدفاع عن العقائد** التى حمد الله من أجل أنه سبحانه قد جعل فى كل زمان بقايا من أهل العلم يهدون الضال والتائه ٠ **انه يرفض الكلام ويعنى به مواقف المخالفين فى العقائد** ٠ فابن حنبل يقر موقف الدفاع عن العقيدة كلما اقتضى الأمر ذلك ، وهو ما فعله ازاء موقف جهم عندما شرع فى مواجهة النصوص المنزلة وفى رأسه فكرة مسبقة هى فكرة أن الله (روح) وهو ما لم يذكره الله سبحانه وتعالى عن نفسه ، فبين له خطأ موقفه ، كما لجأ الى الشرح والتبسيط بأمثلة لتقريب فكره (علم الله واحاطته بكل شىء ٠ **فهو اذا لا يقتصر على تصحيح أصول التفسير وحسب ولكن يمارس مواجهات فكرية تقوم على معانى ذهنية**

---

٤٢١ ـ أنظر : (الرد على الزنادقة والجهمية) لابن حنبل ص ٥٢ من كتاب (عقائد السلف) للدكتور على سامى النشار والأستاذ عمار جمعى طالبى الاسكندرية ـ مصر ١٩٧١

٤٢٢ ـ نفس المرجع السابق ٠

دينية تحددت لديه باعطاء مكان الصدارة للنص المنزل . وهذا ما كان من المقتدين بالسلف بعد ذلك فى مواقفهم الكلامية من أمثال الأشعرى وغيره ممن اعتبر نفسه من أهل (الاتباع) .

فاذا أردنا الآن أن نتبين حقيقة موقف الزنادقة والجهمية ، وهم أسلاف المعتزلة ، نجد أنهم يصدرون عن بضعة أفكار مستقاة من آراء ومعتقدات غريبة عن الإسلام . وهذا ما يتبين من واقع عرض ابن حنبل عندما يتحدث عن (السمنية) ولقائهم مع جهم ، وتقصى جهم لبعض آراء زنادقة النصارى(٤٢٣) . ثم المعتزلة الذين ورد ذكرهم عند ابن حنبل بمناسبة أبى حذيفة وأصحابه وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، فهؤلاء وان لم يتعرض لذكر أصولهم كاملة الا أنهم فى وقته كانت أصولهم الخمسة تمثل النسق الفكرى الذى يصدرون عنه عند مواجهتهم للعقائد ، الأمر الذى يجعل وقفتهم تختلف فى أساسها عن وقفة السلف ، لأنهم لا يعطون مكان الصدارة للنص المنزل قرآنا كان أم سنة ، وانما يضعون فى المقدمة نسقهم الفكرى الذى يجىء النص المنزّل بعد ذلك من أجل الاستدلال به على صحته ، الأمر الذى أخرجهم عن التفسير الصحيح فجاء تأويلهم للقرآن على غير تأويله .

أما أصولهم الخمسة فهى : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والوعد والوعيد .

ويتبين الباحث أن الخياط فى كتابه (الانتصار)(٤٢٤) يكشف عن أن من لم يلتزم بهذه الأصول فهو لا يستحق اسم (الاعتزال) اذن فهذه الأصول تسبق فى الأهمية عنده دلالة النصوص المنزلة .

— ويقوم **التوحيد** لديهم على مفهوم التنزيه المطلق ، الأمر الذى ترتب عليه نفى الصفات ، والقول بخلق القرآن ، ونفى رؤية الله بالأبصار فى الآخرة ، وتأويل الوجه واليد ... الخ . بحيث انتهوا الى نتائج تتعارض مع حقيقة دلالة النصوص المنزلة متفقين فى ذلك مع الجهمية . ولم يعبأوا بدلالة (أسماء الله الحسنى) ولا بالحديث الشريف الذى يقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة)(٤٢٥) .

---

٤٢٣ ـ نفس المرجع السابق ص ٦٥ ، ٦٦

٤٢٤ ـ أنظر كتاب الانتصار للخياط ص ١٢٦

٤٢٥ ـ رواه البخارى .

ومضمون فكرتهم عن نفى الصفات أن الله واحد من كل وجه ، وهـذا يعنى أن صفاته ليست زائدة على ذاته · فهو عليم بالذات ، لا بعلم زائد على ذاته ، حى بالذات قادر بالذات ··· الخ · لا بعلم وقدرة وحياة ، هى صفات قديمة ومعان قائمة به وكلامهم فى الصفات كله نابع من العقل ، ومعتمد على المنطق الذى يجعل العقل يتردى بين الأمر ونقيضه ، وموضوع ذات الله وصفاته ليس من المشاهدات وانما هو من الغيبيات أى أنه ممـا هو فوق مستوى العقـل البشرى واخضـاعه للمنطق وأساليبه غـير ملائم له · فاذا تتبعنا الخيـاط فى محاولته اثبات ؛ لمـاذا ذهب المعتزلة الى أن الله عالم بذاته وليس بعلم زائد على ذاته نجده يبين أنه : لو كان الله عالمـا بعلم ، فاما أن يكون علمه قديما أو محدثا ، ولا يمكن أن يكون قديما لأن هـذا يوجب وجود اثنين قديمين · وهو مالا يقبله · لأن هـذا يؤدى الى الشرك ، كمـا لا يمكن أن يكون محدثا لأنه لو كان كذلك لكان قد أحدثه الله فى ذاته أو فى غيره أو فى لا محل ، فان كان أحدثه فى ذاته فقد أصبحت ذاته محلا للحوادث وهـذا محال لأن ما كان محلا للحوادث فهو حادث · وذات الله قديمة · واذا أحدثه فى غيره كان ذلك الغير عالمـا بما حله منه دونه ·· ولا يعقل أن يكون قد أحدثه فى لامحل(٤٢٦)·

وبهذا ينتهى الى أن الله عالم بذاته ·

فأسلوب المعتزلة يقوم على ذهنيات لا تنطلق الا من فكرة ذهنية أو نسق ذهنى لا يصدر عنه أى نص منزّل · وانما هو مبنى على معان ومفاهيم مصدرها العقل فقط لا غير · وهو ما لا يتفق وطبيعة الحقائق العليّة المنزلة التى يجب أن يكون مصدرها النص المنزل أى (الخبر المنزل) · وهو ما لم يفهمه المعتزلة · وتبينه السلف لتقديرهم لطبيعة الموضوع الذى يتناولونه وهو العقائد التى هى ليست من المشاهدات وانما هى من الغيبيات كما ذكرنا ·

— أما **العـدل** : فقد انطلقوا فيه من الفكرة الآتية وهى : أن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يحب الفساد ، ثم أضافوا بأنه تعالى لا يخلق أفعـال العباد · فهم يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التى جعلها الله لهم وأودعها فيهم · وأنه تعالى لا يكلف العباد مالا يطيقون · وانتهوا الى أن الإنسان خالق لأفعال نفسه ، تنزيها لله عن العجز والظلم ··· الخ ·

غير أنهم وقعوا بحكم هـذا المنطلق العقلى ، فيمـا يتعارض مع النص المنزّل لأن أصلهم هـذا جعلهم ينتهون الى أن العبد يفعل مالا يشاء ربه ·

---

٤٢٦ ـ (الانتصار) للخياط ص ١١١ ، ١١٢

ومن تبريراتهم لموقفهم هـذا : تفسـير التـكليف ، ورأيهم فى الوعـد والوعيد ، ثم ارسال الرسل ونفى الظلم عن الله .

وراح المعتزلة توكيدا لمبدئهم يرفضون(٤٢٧) كل ما يتعارض معـه . الأمر الذى ترتب عليه أنهم أنكروا الشفاعة ، وأن تكون الأرزاق مقدرة ، وأن الأرزاق يجوز أن تزيد وتنقص بالطلب والتوانى . كما رفضوا الآيات الكريمة التى تحمل معنى الهداية من الله لخلقه والتوفيق والإضلال ، والخذلان والختم ، والطبع على القلوب ، كمـا انتهوا انطلاقا من هـذا المبدأ الى القول (بالصـلاح والأصلح) . وهـذا قول يقوم على المعنى التالى وهو : أنه تعالى لا يقدر أن يعطى عباده أصلح ممـا أعطاهم . لأنه لو كان عنده أحسن مما أعطاهم ومنعه لكان ظالمـا . وبهذا وقعوا فى اثبات علم قدرة الله على اعطاء أصلح ممـا هو كائن ... وهذا مخالف للعقيدة ، أى لمـا ورد فى النصوص المنزلة من أنه هو العلى القدير خالق كل شىء فأصبحوا بحكم انطلاقهم من وقفة ذهنية وليس من وقفة تعطى الأولوية لدلالة النصوص المنزلة يدورون فى حلقات ذهنيـة متشعبة ، ليس بينها وبين الحقيقة المنزلة صلة ، وهـذا خروج عن الصـواب ووقوع فى ضلالة تنآى بهم عن الحقيقة العلمية المنزلة .

٢ — أما **المنزلة بين المنزلتين** : فهذا مبدأ يتلخص فى أن المسلم العاصى لا هو مؤمن ولا هو كافر ، وانمـا هو فى منزلة بين المؤمن والكافر ، وفكرتهم التى انطلقوا منها هى أن الإيمان يمثل خصالا خيّره ، اذا تحققت فى الفرد ، قيل عنه انه مؤمن ، واذا لم تتحقق فهذا يعنى أن خصال الخير لم تستكمل فيه . فان كانت نسبتها قليلة كان كافرا ، وان تحقق قدر منها دون أن يصل الى المستوى الكامل ، فالفرد فى منزلة بين منزلتين . لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة

---

٤٢٧ — نهاية الإقدام فى علم الكلام للشهرستانى ص ٨٣ — ٨٤ — ٢٥٤ — ٤١١
الملل والنحل لنفس المؤلف : جـ ١ ص ٦١ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٧
الفرق بين الفرق — للبغدادى : ص ١١٥ ، ١١٦ — ١٤٣
المنية والأمل : ص ٣٥
أصول الدين للبغدادى ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٩
الانتصار للخياط ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧
(مقـالات الإسـلاميين) للأشـعرى جـ ١ ص ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ وما بعدها ، جـ ٢ ص ٣٨٠
الاقتصاد فى الاعتقاد . للغزالى ص ٧٢ ، ٨٠

فيه · ولا يملك المرء انكارها ، فمرتكب الكبيرة دون المؤمن وخير من الكافر والمنزلة بين المنزلتين هى (الفسق) الذى لا هو (ايمان) ولا هو (كفر) فهذا مبدأ كما يرى الكثيرون فى حدود مجال (الأخلاق) وان كان البعض يرى فيه محاولة للتقريب بين الدين والفلسفة فى مجال تفسير خلق العالم وهو ما رآه بعض المستشرقين(٤٢٨) ·

— وأما **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** : فهو واجب على كل مؤمن(٤٢٩) لمقاومة الفسق والكفر ، نشرا لدعوة الإسلام وهداية الضالين · ووفقا لمجادلات المغرضين الذين يلبسون الحق بالباطل ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم · وقد تغالى المعتزلة فى هذا المبدأ ، وجعلوه لحمل الناس على اعتناق آرائهم بالحجة والبرهان أو بالشدة والقسوة على نحو ما حدث فى محنة (الإمام ابن حنبل) فيما يتعلق بـ (خلق القرآن وهذا ما يتعارض مع حقيقة المبدأ ·

— **أما الوعد والوعيد** : فهو ذلك المبدأ الذى يؤكد أن وعد الله بالثواب واقع(٤٣٠) ووعيده بالعقاب واقع أيضا · أى أن من أحسن عملا فيجازى بالإحسان احسانا ، ومن أساء يجازى بالإساءة عذابا أليما ، ورتبوا على هذا أنه لا عفو عن كبيرة من غير توبة وهذا يعنى أن المعتزلة بسبب هذا المبدأ وغيره مثل (العدل) قد أنكروا الشفاعة كما سبق وأشرنا الى ذلك رغم ما ورد من نصوص كريمة تثبتها · ولم يحاولوا تبيين دلالة هذه النصوص أو تلك التى تبدو متعارضة معها · لأن وقفتهم لا تقوم على اعطاء مكان الصدارة للنص المنزّل ·

فأسلوب أهل الاعتزال لا يمكن أن يشترك مع وقفة السلف الصالح بحيث يتيسر استخراج موقف وسط بينهم ، فكل منهما على طرف نقيض من الأخرى فبينما ينطلق المعتزلة من أصول ذهنية لا تلتزم بالمعانى الدينية نجد

---

٤٢٨ ـ ماكدونالد ص ١٣٨
أنظر لمزيد من التفاصيل فى المسألة : (الملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٥٨ ـ (الانتصار) للخياط ص ١٠

٤٢٩ ـ مروج الذهب للمسعودى جـ ٦ ص ٢٣
(المقالات) للأشعرى جـ ١ ص ٢٧٨

٤٣٠ ـ (الملل والنحل) للشهرستانى جـ ١ ص ٥٢
مروج الذهب للمسعودى جـ ٦ ص ٢٢

السلف يشرعون من دلالة النص المنزل ويحرصون على استجلاء المعانى من كلمات الله تبارك وتعالى ٠

لذلك يتعذّر أن نخلق منهما موقفا وسطا يجمع بين الاعتزال والاتجاه السنى ٠

هذا من حيث حقيقة كلّ من الوقتين وما بينهما من اختلاف جذرى يتعذر معه الحكم بأن بينهما موقف وسط ٠

وقبل أن ننتقل الى النقطة الثانية وهى بيان حقيقة موقف الأشعرى نود أن نثبت أنه من الجائز أن يعترض معترض فيقول ان هذا الحكم الذى يقول أن للأشعرى (موقفا وسط) ، لا يقوم على الجمع بين الوقفتين ولكن يعنى أن الأشعرى كان تارة على موقف السلف وأخرى على موقف المعتزلة ، خاصة وأن كتابه (استحسان الخوض فى علم الكلام كان يدل على أنه على الاعتزال ، اذ لم يكن قد تبين لأحد بعد أنه منسوب اليه ٠

والرد على هذا الاعتراض هو : أن الأشعرى عندئذ ليس صاحب موقف وسط ولكن صاحب وقفتين لكل منهما كيانها الخاص لاختلاف كل منهما عن الأخرى اختلافا جذريا ٠ كما بينا ٠

وهذا لا يتفق وما صرح به الأشعرى أنه أصبح ملتزما بما كان عليه السلف الصالح ـ وأنه اعتزل الاعتزال وصار يدين بما كان يقول به الإمام أحمد بن حنبل ٠

وعلى العموم فمحك الحقيقة يكون فى تناول النقطة الثانية بالدراسة ، وهى تبين حقيقة موقف الأشعرى ٠

ثانيا ـ فما هو موقف الأشعرى الآن من المسائل العقائدية :

يجب من أجل بيان موقف الأشعرى أو منهجه أن نطرق مختلف كتبه التى تركها بين أيدينا(٤٣١) للتعرف على الأصول التى اتبعها فى تناوله للعقائد

---

٤٣١ ـ هذه الكتب هى : (مقالات الإسلاميين) طبعة القاهرة تحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد (الإبانة عن أصول الديانة) وهو الكتاب الذى بين أيدينا ـ اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع ، القاهرة تحقيق د ٠ محمود غرابة ـ رسالة الى أهل الثغر بباب الأبواب رسالة فى الإيمان ٠

هذا وقد استبعدنا من مصنفاته رسالته : (استحسان الخوض فى علم الكلام) فهى منسوبة اليه أو صنفها قبل التحول عن الاعتزال (أنظر كتابنا (كتب منسوبة الى الأشعرى) (تحت الطبع) ـ (أنظر الكلام عن مصنفاته فى هذا التقديم) ٠

خاصة وأن هـذه الأصول قد نصّ على بعضها نصاً وهى أصول للسلف والبعض الآخر يمكن أن يستخرجه الباحث بيسر لرتابة الأشعرى فى الالتزام بها وكلها أصول تتفق وموقف السلف من النصوص المنزّلة ٠

أما الأصل فهو : اعطاء الأولوية للنص المنزل قرآنا كان أم سنة :

يتبين هـــذا الأصل بوضوح فى جميـــع المسائل التى طرقهـا الأشعرى فى كتابه : (الإبانة عن أصول الديانة) ٠

فالباب الأول وهو فى الكلام عن اثبات الرؤية فى الآخرة يستهله الأشعرى بقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربّها ناظرة) [٢٢ ، ٧٥/٢٣] مبينا أن المقصود بـ (ناظرة ٠ (رائية)(٤٣٢ وهو بهذا يعطى الأولوية للنص المنزّل مع حرصه على تفسيره تفسيرا صحيحا يقوم على احترام الأسس التى اتبعها مفسرو السلف اذ يعرض وجوه استعمال اللفظ فى القرآن فيأتى بالنصوص حيث يرد اللفظ بمعنى : (الاعتبـار) ثم بمعنى : (الانتظار) ثم بمعنى : (التعطف) ثم يبطل هـذه الوجوه كلها بالنسبة لهذه الآية الكريمة مبينا أن الآخرة ليست بدار اعتبار) ، وأن النظر ، اذا ذكر الوجه يعنى نظر العينين وليس نظر الانتظار ، كمـا يشير الى أن نظر الانتظار يصاحبه : (تـكدير) و (تنغيص) وهو مالا يجوز فى الجنة وكذلك لا يجوز أن يتعطف الخلق على خالقهم ٠ ويواصل الأشعرى هـذا الأسلوب بالنسبة لمختلف المسائل الواردة فى الباب ردّا على الجهمية والمعتزلة الذين قدموا أدلة نصيّة لتوكيد رأيهم فى نفى الرؤية ؛ فيدحض هذه الأدلة ببيان فساد تأويلها ، ويستعين فى هذا باستعمال اللفظ عنـد أهل اللغة ٠ ومما رفضه للمعتزلة مثلا قولهم بأن المقصود بالنظر هو النظر الى (الثواب) فيذكر لهم أن (النظر) فى الآية لم يلحق بـ (الى) ثم يقدم أدلة سمعية أخرى لإثبات الرؤية منها الآية الكريمة :

(ربّ أرنى أنظر اليـك) [من الآية ٧/١٤٣] وقوله تعالى : (فان استقر مكانه فسوف ترانى) [من الآية ٧/١٤٣] وقوله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [١٠/٢٦] ٠

وهـذه كلها آيات تكشف عن أن الرؤية غير مستحيلة ٠ وكل دليل مأخوذ من نصّ منزّل ٠ الأول يعتمد على توكيد معنى الرؤية للفظ (نظر) ٠ والثانى يستعين فيه بعلم موسى عليه السلام بعدم استحالة الرؤية والا لما سأل ربّه

---

٤٣٢ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى النص ٠

الرؤية ، والثالث يعتمد على اقتران الرؤية بأمر جائز ممـا يجعلها جائزة ، والرابع يذكر فيه بنعمة الله على أهل الجنة وهى (الرؤية)(٤٣٣) ٠

أما الباب الثانى : وهو فى أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق(٤٣٤) : فان الأشعرى يستهله أيضا بالنصوص المنزّلة ٠ بقوله تعالى :

ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، وأمر الله هو كلامه) [من ٣/٢٥] وقوله تعالى : (فلمـا أمرهما بالقيام ، فقامتـا ، لا تهويان ، كان قيامهمـا بأمره) [من ٣/٢٥] وقوله : (ألا له الخـلق والأمر) [من الآية ٧/٥٤] ٠

ويبين بالتفسير الصحيح أن (الأمر) غير جميع (الخلق) وذلك بالاستعانة بآيات أخرى ليبين أن الله تعالى عندما يريد أن يخص أمرا فهو يذكره على حدة وهو فى جميع فصول هـذا الباب حيث يرد على الخصوم فى مسائل متعددة يجعل للنص المنزل مكان الصدارة ليكشف عما أراده الله ٠

وأما الباب الثالث : وهو فى ذكر الرواية فى القرآن(٤٣٥) :

فهو فى ذكر رأى ابن حنبل فى القرآن أنه غير مخلوق ٠ ويقوم الباب كالأبواب الأخرى على النصوص المنزلة مثل قوله تعـالى : (ألا له الخـلق والأمر) [من الآية ٧/٥٤] وقوله : (الرّحمن علم القرآن ، خلق الإنسان) [١ ، ٢ ، ٣/٥٥] لبيان أن القرآن غير مخلوق ، فقد ورد فى الآيات الكريمة (علم القرآن) ثم قال تعالى : (خلق الإنسان) ولم يقل : خلق القرآن ٠

وأما الباب الرابع : وهو فى الكلام على من توقف فى القرآن وقال : لا أقول انه مخلوق ولا أنه غير مخلوق(٤٣٦) فانه يستند فيـه أيضـا ردا على ادعاءاتهم ، الى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لم يرد عنـه أنه قال توقفوا فيه ٠

ثم يستشهد بآيات وأحاديث معطيا للنص المنزّل مكانته فى الإبانة عن حقيقة العقائد ـ فيثبت(٤٣٧) قوله تعالى :

---

٤٣٣ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا النص الذى بين أيدينا ٠
٤٣٤ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا النص ٠
٤٣٥ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا النص ٠
٤٣٦ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا النص ٠
٤٣٧ ـ أنظر ما ورد عن ذلك فى هذا النص ٠

وقوله تعالى :

(ألا له الخلق والأمر) [من الآية ٥٤/٧] ٠

وقوله سبحانه :

(انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون [٤٠/١٦] ٠

وقوله تعالى :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ، لنفد البحر قبل تنفد كلمات ربى) [من الآية ١٠٩/١٨] ٠

وبهذا يقضى على ادعائهم وهو التوقف عن القول بخلق القرآن أو بقدمه

وأما الباب الخامس : وهو فى ذكر الاستواء على العرش(٤٣٨) :

فهو يستهله أيضا بالنصوص المنزّلة التى تثبت الاستواء على العرش ، (بلا كيف) وذلك فى قوله : (الرّحمن على العرش استوى) [٢٠/٥] ،

وقوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب) [من الآية ٣٥/١٠] ٠

وقوله تعالى : (بل رفعه الله اليه) [من الآية ٤/١٥٨] ٠

ويلاحظ أنه فى سياق الكلام فى هذا الباب يستعين بأدلة نصية من الحديث الشريف أيضا ٠ وهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع الأمة السوداء التى قالت عند سؤالها : (ان الله فى السماء وأن محمدا عبده ورسوله) فقال لسيدها : (اعتقها فانها مؤمنة) ٠ [أخرجه مسلم : مساجد ٣٣ ، وأبو داود صلاة ١٦٧] ٠ وهو بهذا كله يعطى للنص المنزّل مكانته بالنسبة للعقائد ٠

وأما الباب السادس : وهو فى الوجه والعينين والبصر واليدين(٤٣٩) :

فانه يثبت فيه قوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) [من ٢٨/٨٨] ٠

وقوله : (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) [١١/٣٧] ٠

وقوله تعالى : (وكان الله سميعا بصيرا) [من ٤/١٣٤] ٠

ثم يقول بعد قليل فى اليد : قال تعالى : (يد الله فوق أيديهم) [من الآية ٤٨/١٠] ٠

---

٤٣٨ ـ أنظر باب ذكر الاستواء على العرش صفحة ١٠٥ من النص الذى بين أيدينا ٠

٤٣٩ ـ أنظر باب الكلام فى الوجه والعنيين والبصر واليدين صفحة ١٢٥ من النص الذى بين أيدينا ٠

وقوله تعالى : (لمّا خلقت بيدى) [من الآية ٣٨/٧٥] ٠

كما يستند الى الحديث الشريف : (ان الله مسح ظهر آدم بيده ٠٠) [رواه أبو داود : سنة ١٦] ٠

ويعتمد فيما يرد به على الجهمية والمعتزلة فى نفيهم للصفات على أدلة نصية منزّلة داحضا موقفهم العقلى الخالص النابع من نسق عقلى مسبق ٠٠ فهو يعطى من شأن النص ، على الوقفة العقلية الجافة القائمة على عدم العلم بحقيقة دلالة النصوص المنزّلة ٠

وأما الباب السابع : وهو فى الردّ على الجهمية فى نفيهم علم الله تعالى وقدرته جميع صفاته(٤٤٠) فانه يبدأ بالنصوص فى العلم والقدرة٠ فيثبت قوله تعالى : (أنزله بعلمه) [من ٤/١١٦] وقوله : (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) [٢/٢٥٥] ٠

وذكر فى القدرة : (ذو القوة المتين) [من الآية ٥١/٥٨] ٠

وقوله : (والسّماء بنيناها بأيد) [من الآية : ٥١/٤٧] ٠

وقوله سبحانه :

(أو لم يروا أنّ الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة)(٤٤١) [من الآية ٤١/١٥] وغير هذه وتلك من الآيات الكريمة التى تثبت علم الله وقدرته وجميع صفاته ٠

وأما الباب الثامن : وهو فى الكلام فى الإرادة (٤٤٢) :

فهو يقوم كله لبيان معنى الآية الكريمة : (فعّال لما يريد) [من الآية : ١١/١٠٧] ٠

واثبات دلالة : (ولو شاء الله ما اقتتلوا) [من الآية ٢/٢٥٣] ٠

وقوله تعالى :

(ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها ، ولكن حق القول منى ، لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [٣٢/١٢] ٠

---

٤٤٠ ـ أنظر الباب السابع الوارد فى هذا النص ٠
٤٤١ ـ أنظر النص الذى بين ايدينا ـ الباب السابع ٠
٤٤٢ ـ أنظر الكلام فى الإرادة الباب الثامن فى هذا النص صفحة ١٦٥

وغير هذه وتلك من الآيات الكريمة التى تؤكد صفة الإرادة لله تعالى ٠

ويلاحظ أن مدخله فى هـذا الباب الذى يقوم على مناقشة المعتزلة حـول موقفهم من الإرادة الإلهية التى جعلوها (مخلوقة) يمهد لدحض موقفهم بالاعتماد على مواقف متناقضة صادرة عنهم لا تتلاءم اطلاقا ، لا مع موقفهم من (علم الله) ولا مع ما هو وارد من نصوص القرآن الكريم ٠ وهو بهذا يعمل على هدم نسقهم الفكرى المسبّق من أجل اخلاء الطريق لتبيين معنى النصوص المنزلة التى يعطى لهـا الأولوية فى رسم معالم الطريق لفهم الإرادة والصفات عامة ٠

ولقد لجأ من أجل هـذا الى بضعة مسائل آثارها ليقضى بهـا على مفاهيم الخصم منبّها الى ضرورة وضع النص المنزل فى المقدمة ٠

وأما الباب التاسع : وهو فى تقدير أفعال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز(٤٤٣) ٠

فهو يعرض للآية الكريمة : (فعّال لمـا يريد) [من الآية ١١/١٠٧] ٠

وكذلك لقوله تعالى :

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) [من الآية : ٤٢/٢٧] ٠

وقـوله :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) [من الآية ٤/٨٣] وقوله سبحانه :

(تالله ان كدت لتردين ، ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) [من الآية ٥٦ ، ٣٧/٥٧] ٠

وبهذا يثبت النصوص التى تعرّف(٤٤٤) بأن الله عالم بعلم وعمل عبادة وأن فضله على المؤمنين كبير فى كل ما يرد عليهم من مواقف ٠

وأما الباب العاشر : وهو فى ذكر الروايات فى القدر(٤٤٥) ٠

فنجده يثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

٤٤٣ ـ أنظر الباب التاسع الوارد فى النص الذى بين أيدينا ٠
٤٤٤ ـ نفس المرجع السابق ٠
٤٤٥ ـ أنظر الباب العاشر الوارد فى هذا النص ٠

(ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله الملك ، قال فيؤمر بأربع كلمات : يقال : اكتب أجله ، ورزقه ، وعمله وشقى أو سعيد ثم ، تنفخ فيه الروح) [رواه البخارى بدء الخلق ٦ ، أنبياء : ١ ، توحيد ٣٨ رواه أيضا مسلم : قدر وأبو داود : سنة ١٦٤ والترمذى قدر ٤ ، وابن ماجة مقدمة : ١ ، وابن حنبل : ١ : ٣٨٢ ، ٤١٤ ، ٤٣٠] ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : (ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها) ٠ [رواه البخارى : توحيد : ٣٨]٠ وغير هذا وذلك من الأحاديث الشريفة التى توضح القدر ، ردا على قول القدرية الذين يرون أن الله تعالى لا يعلم الشىء حتى يكون ، وهو ما لا تدل عليه النصوص ؛ فبين الأشعرى أنه اذ كتب ذلك وأمر بأن يكتب ، فلا يكتب شيئا لا يعلمه جل عن ذلك وتقدس ٠ ثم يثبت الآيات الكريمة التى تؤكد علم الله بالجزئيات ٠ مثل قوله تعالى : (أحصاه الله ونسوه) [من الآية ٦/٥٨] وقوله تعالى : (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) [من الآية ٦/٥٩] ٠

أما الباب الحادى عشر : وهو فى الكلام فى الشفاعة والخروج من النار(٤٤٦) ٠

فيستهل الباب باثبات ما أجمع عليه المسلمون من أن للرسول صلى الله عليه وسلم (شفاعة) ٠

ويثبت قوله تعالى :

(ولا يشفعون الا لمن ارتضى) [من الآية : ٢١/٢٨] ٠

وقوله تعالى :

(يوفهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله) [من الآية : ١٧٣ / ٤] مبينا أن الشفاعة للمذنبين المرتكبين للكبائر ، وليس المؤمنين المخلصين ٠ الذين وعدهم الله بالجنة ، ووعد الله حق ٠

ثم يثبت أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أن الشفاعة لأهل الكبائر وأن المذنبين يخرجون من النار(٤٤٧) ٠

---

٤٤٦ ـ أنظر الكلام فى الشفاعة ـ الباب الحادى عشر من النص الذى بين أيدينا ٥

٤٤٧ ـ نفس المرجع السابق ٠

وبهذا نتبين أن الأشعرى ، بعد اثبات هذه النصوص لا يقبل أى قول مخالف • خاصة وأن ما يدعيه الخصم لا يتفق وما ورد عن وعد المؤمنين بالجنة •

وأما الباب الثانى عشر : وهو فى الكلام فى الحوض(٤٤٨) •

فهو يعتمد فى اثباته على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم • من وجوه كثيرة رواه أصحابه رضى الله عنهم ، بلا خلاف •

ويثبت حديثه صلى الله عليه وسلم : (ما بين طرفيه ـ يعنى الحوض ، ما بين ايلة ومكة ، أو ما بين صفاء ومكة ، وأن آنيته أكثر من نجوم السماء) • [للحديث صيغ أخرى : رواه البخارى رقاق ٥٤] •

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

(أنا فرطكم على الحوض) [رواه البخارى رقاق ٥٣ أنظر هامش ١٥ من صفحة ٣٦١ من النص] •

وبهذا لا يناقش الأشعرى ما أثبته النص قرآنا كان أم سنة • فالنص المنزل مكانته عنده ، فهو له مكان الصدارة • كما نتبين •

وأما الباب الثالث عشر : وهو فى عذاب القبر(٤٤٩) •

فقد أثبته اعتمادا على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، باجماع الصحابه وهو هنا يأخذ بالإجماع • يقول : (وما روى عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده(٤٥٠) وأثبت حديثه صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

قال : (تعوذوا بالله من عذاب القبر) [للحديث صيغ أخرى رواه ابن حنبل ٥ : ١٢٣ ، ١٢٤] •

وقد قال أيضا :

(لولا أن تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعنى) • [للحديث صيغ أخرى رواه مسلم : جنه ٦٧ ، ٦٨] كما

---

٤٤٨ ـ أنظر باب الكلام فى الحوض الوارد فى النص الذى بين أيدينا •
٤٤٩ ـ أنظر باب الكلام فى عذاب القبر فى النص الذى بين أيدينا •
٤٥٠ ـ نفس المرجع السابق •

أثبت بعد ذلك ، الآيات الكريمة الواردة فى ذلك ، مثل قوله تعالى :

(سنعذبهم مرتين) ٠٠ الى آخر الآية [من الآية : ١٠٦ / ٩] ٠

واما الباب الرابع عشر : وهو فى الكلام فى امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه(٤٥١) فيستهله بالآية الكريمة :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ٠٠) الى آخر الآية [من الآية : ٥٥ / ٢٤] ٠

وقوله تعالى :

(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) [من الآية : ١٨/ ٤٨] مبينا بهذا ما كان عليه أبو بكر الصديق من الصفات التى تشيد بها هذه الآيات على أنها صفات المؤمن الصالح ـ وبالتالى فامامه أبى بكر ثابته ٠

وذكر الأشعرى عدة أدلة نصية أخرى ، كما أشار الى دليل من الاجماع على امامة أبى بكر : هو أن قيل له وقت البيعة : (يا خليفة رسول الله) صلى الله عليه وسلم) وبهذا نفى القول بالنص على الإمامة(٤٥٢) ٠

وهو فى كل ما يقدم يعتمد على النصوص المنزلة دون العقليات أو الهوى ٠ هذا فيها يتعلق بكتابه (الإبانة عن أصول الديانة) حيث تبنا أنه يعتمد فى تناول مسائل العقائد على النص قرآنا كان أم سنة ٠

واذا أردنا الآن أن ننظر فى كتابه (اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع) نجد أن هذا الكتاب به عشرة أبواب ٠

يتعرض فى الأول : لله وصفاته(٤٥٣) ٠ فيثبت وجوده من واقع ما توحى به الآيات الكريمة من معنى ، فيما يتعلق باثبات الحدوث : (النطفة) ، ثم (العلقة) ٠٠٠ الخ

ويستعين بالآيات الكريمة مثل قوله تعالى : (أفرأيتم ما تمنون ، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) [٥٨ ، ٥٩ / ٥٦] ٠

---

٤٥١ ـ أنظر الباب الرابع عشر الوارد فى النص الذى بين أيدينا ٠

٤٥٢ ـ نفس المرجع اسابق ٠

٤٥٣ ـ أنظر كتاب (اللمع فى الرد" على أهل الزيغ والبدع) تحقيق د ٠ غرابة ص ١٧ ـ ٣١

اما الباب الثانى : وهو فى الكلام فى القرآن والإرادة(٤٥٤) ٠

فهو يستهله ، لإثبات أن كلام الله غير مخلوق ، بقوله تعالى : (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) [١٦/٤٠] ٠

بهذه الآية الكريمة يبين الأشعرى أنه مستحيل أن يكون القرآن مخلوقا لأنه لم يقل له : كن ٠٠ الخ

وأما الباب الثالث : فهو فى الكلام فى الإرادة وأنها تعم سائر المحدثات(٤٥٥) ففيه يستعين بما انتهى اليه فيما يتعلق بالإرادة الإلهية ثم يلجأ أيضا الى النص المنزل فى قوله تعال : (فعّال لما يريد)(٤٥٦) [١٦ / ٨٥] ٠

ثم يواصل الكلام فى الباب داحضا مختلف ادعاءات الخصوم ٠

أما الباب الرابع : وهو فى الكلام فى الرؤية(٤٥٧) :

فيبدأ الأشعرى هذا الباب بما انتهى اليه معانى مستقاة من تفسير النصوص المنزلة وهو جواز الرؤية وعدم استحالتها ٠ ونجده سرعان ما يستعين بنفس الآيات التى استعان بها لإثبات الرؤية فى كتابه الإبانة ٠ وهى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) [٢٢ ، ٢٣ / ٧٥] ويلاحظ أن العرض فى اللمع يماثل العرض فى الإبانة من ناحية تسلسل المسائل ودحض آراء الخصم بالنص المنزل ٠ الذى له مكان الصدارة فعلا عند الأشعرى فى مواقفه عى اختلافها ٠

أما الباب الخامس : فهو فى الكلام فى القدر(٤٥٨) ٠

فان الأشعرى يستهله بقوله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) [٩٦ / ٣٧] الى غير ذلك من الأدلة التى تبين أن الله تعالى فاعل كل شىء ٠ وعالم بكل شىء والنص وما يؤدى اليه من معنى هو الذى له مكان الصدارة فى كل ما يصدر عن الأشعرى ٠

---

٤٥٤ ـ نفس المرجع السابق ص ٣٣
٤٥٥ ـ نفس المرجع السابق ص ٤٧
٤٥٦ ـ نفس المرجع السابق ٠
٤٥٧ ـ نفس المرجع السابق ص ٦١
٤٥٨ ـ نفس المرجع السابق ص ٦٩

وأما الباب السادس : وهو فى الكلام فى الاستطاعة(٤٥٩) ٠

فالكلام فيه يعتمد على النص المنزل وان كانت النصوص المنزلة تجىء بعد توكيد معانيها مثل قوله تعالى : (انك لن تستطيع معى صبرا) [٦٧ / ١٨] وقوله تعالى : (وما كانوا يستطيعون السمع) [٢٠ / ١١] وقوله : (وكانوا لا يستطيعون سمعا) [١٨/١٠١] فمفهوم السمعيات هو المسيطر على كل معنى يرد فى هذا الباب بفضل التفسير الصحيح للنصوص ٠

وأما الباب السابع : وهو فى الكلام فى التعديل والتجوير(٤٦٠) ٠

فان الأشعرى يستهله بقوله تعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض [٤٢/٢٧] وقوله تعالى : (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) ٠ [٤٣/٣٢] ٠

وبهذا يواصل الكلام فى المسألة حتى يؤكد ماورد فى الآيات الكريمة من معانى فى المساله التى يتناولها ٠

وأما الباب الثامن : وهو فى الكلام فى الإيمان ٠

فالأشعرى يستهله بقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه [٤ / ١٤] وقوله تعالى : (بلسان عربى مبين) [٩٥ / ٢٦] وقوله : (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) آ ١٧ / ١٢] ومعانى هذه الآيات الكريمة هى التى يعتمد عليها فى بيان مضمون الباب ٠

أما الباب التاسع : وهو فى الخاص والعام والوعد والوعيد(٤٦٢) ٠

فيبدأ الأشعرى الكلام فيه بتوجيه ذهن القارىء الى الاستفسار عن تفسير بعض النصوص المنزلة ٠ ويثبت قوله تعالى :

(وان الفجّار لفى جحيم) [٨٢/١٤] وقوله تعالى : (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا) [٣٠ / ٤] وقوله تعالى : (ان الذين

---

٤٥٩ ــ نفس المرجع السابق ص ٩٣

٤٦٠ ــ أنظر : (اللمع فى الردّ على أهل الزيغ والبدع) تحقيق د ٠ حمودة غرابة ص ١١٥

٤٦١ ــ نفس المرجع السابق ص ١٢٣

٤٦٢ ــ نفس المرجع السابق ص ١٢٧

يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) [١٠ / ٤] ٠

ويجيب عن كل نص منزل ويفسره تفسيرا يتفق وأصول التفسير الصحيح للسلف الصالح ٠

وأما الباب العاشر : والأخير : وهو فى الكلام فى الإمامة(٤٦٣) ٠

فانه يعتمد فيه على الاجماع ، كما يشير بعد ذلك الى عدة نصوص منزلة من أجل توضيح ما غفل عنه الخصوم ، وهو فى كل هذا يعطى الأولوية للنص المنزل :

ويجب أن نلاحظ أن المقصود باعطاء الأولوية للنص المنزل ، ليس مجرد تقديمه فى العرض ولكن اعطاء النص قياد الفكرة لتوكيد دلالته التى هى الحقيقة وليس لمجرد الاستدلال لتوكيد فكرة مسبقة على نحو ما كان عليه الخصوم من جهمية ومعتزلة وقدرية وكرامية ٠٠ الخ ٠

— أما كتابة (مقالات الاسلاميين)(٤٦٤) فهو فى سرد آراء الفرق الناوئة للوقفة الصحيحة من الدين وهى وقفة السلف الصالح (وعندما يرد ذكر العقائد على أصول السلف ، نجد الأشعرى يعرض أصولهم وهو ملتزم بالتمسك بالنص المنزل قرأنا وسنة مع التزام بأصول التفسير الصحيح ٠

— ـ أما رسالته فى الإيمان(٤٦٥) فيعتمد الكلام فيها على الفهم الصحيح للنص المنزل ٠ ونراه يستهل الكلام فى الإيمان ببيان ايمان المؤمن من العباد والإيمان كصفة من صفات الله ويثبت قوله تعالى : (هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار فالله تعالى قد سمى نفسه مؤمنا فى جملة اسمائه التى سمى نفسه بها ،

---

٤٦٣ ـ نفس المرجع السابق ص ١٣٣

٤٦٤ ـ أنظر : (مقالات الإسلاميين) نشره فضيلة الأستاذ محيى الدين عبد الحميد جـ ١ ، جـ ٢ بمجلد واحد ـ القاهرة سنة ١٣٦٩ هـ و سنة ١٩٥٠ م ٠

٤٦٥ ـ من النسخة المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية ٢٦ مجاميع ميكروفيلم ٤٥٤٢ ضمن مجموعة وتبدأ فى ل ٦ و تنتهى فى ل ٧ ظ [أنظر لمزيد من التفاصيل مصنفات الأشعرى الوارد الكلام عنها فى التقديم] ٠

ويواصل شرحه للإيمان منطلقا من النص المنزل ومعناه الذى يستخلصه بالتفسير الصحيح ٠

٨ — وأما رسالته الى أهل الثغر بباب الأبواب(٤٦٦) فهى فى الرد على علماء أهل الثغر لبيان ما كان عليه (سلفنا ومن اتبعهم من صالح خلفنا)(٤٦٧) وهو (أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر العالمين وهم أحزاب ، وفرق : منهم كتابى ، ومنهم فلسفى ٠ ثم يسترسل فى بيان أصول السلف الصالح ، بعيدا عن أباطيل الفلسفة) وأنسقتها الذهنية المضللة فى كثير من الأحيان ، وبالتالى فهو يعطى مكان الصدارة للنص المنزل ٠

٩ — أما حكاية قول جملة أصحاب الحديث(٤٦٨) فهى مبنية على اثبات أصول العقيدة مركزة ، لابراز ضرورة الأخذ بما ورد به النص قرآنا كان أم سنة ٠

فاذا كان الأمر كذلك ، فيكون الأصل الأول الذى أثبتناه باستقراء مختلف مصنفات الأشعرى التى صحت(٤٦٩) نسبتها اليه واضحا فى كل ما كتبه الأشعرى وهذا الأصل هو الذى يمثل حقيقة وقفة السلف من العقائد وهو ما سبق أن تبيناه عند الامام أحمد بن حنبل ٠

أما الأصل الثانى وهو تفسير القرآن بالقرآن

فهذا ما يتبين فى مختلف المسائل ٠ فلننظر مثلا باب (رؤية الله سبحانه بالإبصار فى الآخرة) ٠

---

٤٦٦ — رسالة الى أهل الثغر بباب الأبواب — نسخة مصورة عن مخطوطه بجامعة الدول العربية ١٠٥ توحيد عدد أوراقها ١٤ مقاس ٢ × ٣٠ [أنظر لمزيد من التفاصيل : مصنفات الأشعرى فى هذا التقديم] ٠ التقديم] ٠

٤٦٧ — نفس المرجع السابق ل ١ ش سطر ١

٤٦٨ — أنظر ٧٧ مجاميع بدار الكتب المصرية ٠ [أنظر لمزيد من التفاصيل مصنفات الأشعرى فى هذا التقديم] ٠

٤٦٩ — سبق أن أشرنا الى أن الرسالة المسماة (استحسان الخوض فى علم الكلام) وهى منسوبة اليه ، ليست له أو على الأقل لم يكتبها بعد تحوله عن الاعتزال [أنظر لمزيد من التفاصيل كتاب (كتب منسوبة للأشعرى) بقلم دكتورة فوقية حسين محمود (تحت الطبع) ٠

نجده يستعين فى تفسير قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) [٢٢ ، ٢٣ / ٧٥] بآيات أخرى مثل :

(رب أرنى أنظر اليك) [من الآية ١٤٣ / ٧] ٠

وقوله تعالى :

(فان استقر مكانه فسوف ترانى) [من الآية ١٤٣ / ٧] ٠

وقوله تعالى :

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [٢٦ / ١٠] ٠

وقوله سبحانه :

(ولدينا مزيد) [من الآية ٣٥ / ٥٠] ٠

وقوله :

(تحيتهم يوم يلقونه سلام) [من الآية ٤٤ / ٣٣] ٠

وقوله :

(كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [١٥ / ٨٣] ٠

فكل آية من هذه الآيات تؤكد (الرؤية بالأبصار) على نحو ما بينه الأشعرى ٠

فالآية الأولى : وهى (رب أرنى أنظر اليك) [من الآية ١٤٣ / ٧] فقد استعان بها الأشعرى من أجل بيان أنه لا يجوز أن يكون موسى وهو من الأنبياء قد سأل ربه ما يستحيل عليه ٠ وانتهى من هذا الى أن الرؤية جائزة ٠

أما الآيه الثانية : وهى (فان استقر مكانه فسوف ترانى) [من الآية ٧/١٤٣] فهى أيضا دليل آخر على جواز الرؤية بالأبصار ٠ على اعتبار أن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا ، قادر على الأمر الذى لو فعله لرآه موسى عليه السلام ٠ فدل هذا على أنه سبحانه قادر على أن يرى عياده نفسه ٠ ثم يضيف الأشعرى انه لو أراد الله جعل الرؤية مستحيلة لقرنها بمستحيل ٠

أما الآية الثالثة ٠ وهى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ٠ [١٠/٢٦] فهى لبيان أن أهل التفسير قد رأوا أنه ليس أفضل من رؤية الله لمن يرغب أن ينعم عليهم الله بنعمة كبرى فى الآخرة ٠ وهؤلاء من أهل الجنة ٠

والأمر بالمثل بالنسبة للآية الرابعة وهى (ولدينا المزيد) [من الآية ٥٠/٣٥] اذ قيل انه النظر الى الله عز وجل ٠

كما أن الآية الخامسة تؤكد نفس المعنى بالنسبة لنعمة الرؤية(٤٧٠) ، والسادسة تشير الى حجب الرؤية ، التى لا تكون بالنسبة للمؤمنين لأن المؤمن يرى ربه • وبهذا يقدم الأشعرى مختلف الأدلة النصية التى تؤكد المسألة العقائدية المطروحة للنقاش •

والأمر بالمثل بالنسبة لمشكلة أن القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يستهل الكلام بدليل نصى منزل وهو قوله تعالى :

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) • [من الآية ٢٥/٣٠] ليبين أن الأمر (غير الخلق) •

ثم يستعين الأشعرى بقوله تعالى :

(ألا له الخلق والأمر) [من الآية ٥٤/٧] •

ليبين أن (الأمر) غير (الخلق) •

ويحرص الأشعرى على ألا يزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان كما أنه يثبت من آى الذكر الحكيم ما يبين أسلوب القرآن الكريم فى ابراز الفصل أو اثبات عدم الفصل • ويستعين بقوله تعالى :

(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائل) [من الآية ٢/٩٨] من أجل بيان صيغة الفصل فهو كأنه قد قال سبحانه :

الملائكة الا جبريل وميكائيل(٤٧١) • أى أن هناك فصل بين ما سبق ذكره فى الآية ، جبريل وميكائيل • وهو يهدف من اثبات هذا كله الى بيان أن (الخلق) ليس هو (الأمر) فالأمر غير مخلوق وبالتالى فكلام الله وهو القرآن غير مخلوق •• الخ فالاستعانة هنا من أجل توضيح الصيغ لبيان المطلوب •

ثم قوله تعالى :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى [من الآية ١٨/١٠٩] •

هذه الآية تعين على اثبات أن كلام الله غير مخلوق لأنها تؤكد أن الفناء لا يلحق (كلمات ربى) •

---

٤٧٠ ـ أنظر ما ورد عن هذا فى النص الذى بين أيدينا ص ٤١ ـ ٤٧

٤٧١ ـ أنظر ما ورد عن هذا فى النص الذى بين أيدينا ص ٦٥

بهذا يتبين كيف أن الأشعرى يحرص على تطبيق أصول التفسير الصحيح التى تبعد كل مروق عن الفهم الصحيح للنص المنزل خاصة فيما يتعلق بالعقائد ٠

أما فيما يتعلق بتفسير القرآن بالحديث وهو الأصل الثالث ٠

فاننا نجد الأشعرى يحرص على الاستعانة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلما تيسر ذلك ، عملا بأصول التفسير الصحيح ، لتوضيح وتوكيد معانى آى الذكر الحكيم ٠

ففيما يتعلق بالرؤية نجده يثبت الحديث الشريف الذى يؤكدها قال صلى الله عليه وسلم :

(ترون ربكم كما ترون ليلة البدر لا تضارون فى رؤيته) [رواه الدارمى : وصايا ٢٨ والبخارى : وصايا ٦ وله صيغ مختلفة ـ أنظر هامش رقم ٧ من صفحة ٤٩ من النص الذى بين أيدينا] ٠ ويبين الأشعرى أنه اذا مثلت الرؤية برؤية العيان لم يكن معناها الا رؤية العيان ٠

أما فيما يتعلق (بالاستواء) ؛ فاننا نجده يثبت قوله صلى الله عليه وسلم توكيدا للاستواء على العرش : قال عليه الصلاة والسلام ٠

(ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل ؛ فأعطيه هل من مستغفر ؛ فأغفر له حتى يطلع الفجر) [ورد الحديث بصيغ مختلفة أنظر تخريجه صفحة ٢٩ من رقم ٤] ٠

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

(اذ بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول : من ذا الذى يدعونى أستجيب له ، من ذا الذى يسترزقنى ، فأرزقه حتى ينفجر الفجر) ٠ [أخرجه ابن حنبل ٣ : ٢٥٨ ـ أنظر هامش رقم ١٠ من صفحة ١١١ من هذا النص] ٠

وهو بهذه الأحاديث يؤكد النزول نزولا يليق بذاته من غير حركة وانتقال(٤٧٢) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٠

والأمر بالمثل بالنسبة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأمة السوداء التى جاء بها رجل اليه أراد أن يعتقها فى كفارة مستفسرا من النبى صلى الله عليه وسلم عن جواز ذلك ٠

---

٤٧٢ ـ أنظر صفحتى ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ من النص الذى بين أيدينا ٠

قال لهـا النبى صلى الله عليه وسلم ٠

(أين الله) ؟ قالت : (فى السماء) قال : فمن أنا ؟ قالت (أنت رسول الله) فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أعتقها فانها مؤمنة ؟ [رواه مسلم : مساجد ٣٣ وأبو داود : صلاة ١٦٧ ، وايمان ١٦ ــ أنظر أيضا ما ورد بصفحة ١٢٤ من النص الذى بين أيدينا] ٠

ويصرح الأشعرى بأن هـذا يدل على أن الله على عرشه فوق السـماء فوقية لا تزيده قربا من العرش)(٤٧٣) وهو يفسر بهـذه الأحاديث الآية الكريمة (الرحمن على العرش استوى) [٢٠/٥] عملا بأصل من أهم أصول التفسير وهو : تفسير القرآن بالحديث ٠

والأمر بالمثل بالنسبة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم(٤٧٤) ٠

(ان القدرية مجوس هـذه الأمة) فقد أثبته لبيان ما كان عليه الجهمية والمعتزلة من ضلال ، فيما يتعلق بصفة (القدرة) لله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا) ٠

والأمر بالمثل فيمـا يتعلق بالأحاديث التى أوردها تثبيتا (لعـذاب القبر) ، الذى وردت بصدده آيات ، يعين الحديث النبوى على تفسيرها(٤٧٥)

وأما الآيات فمثل قوله تعالى :

(النـار يعرضون عليهـا غدوا وعشيا ، ويدم تقوم الساعة ادخـلوا آل فرعون أشد العذاب) [٤٠/٤٦] ٠

وقوله تعالى :

(سنعذبهم مرتين) [من الآية ٩/١٠١] ٠

وأما الأحاديث التى تبين أن الآيات الكريمة تشير الى (عذاب القبور)

قوله صلى الله عليه وسلم :

(تعوّذوا بالله من عذاب القبر) ٠ رواه ابن حنبل ٥ : ١٢٣ ، ١٢٤ وغيره وللحديث صيغ كثيرة ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم :

---

٤٧٣ ــ أنظر صفحة ٨٢ من نفس النص ٠
٤٧٤ ــ أنظر صفحة ١٣٠ من النص الذى بين أيدينا ٠
٤٧٥ ــ أنظر صفحة ١٦٢ من النص الذى بين أيدينا ٠

(لولا أن تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر(٤٧٦) ما أسمعنى) . رواه مسلم : جنة ٦٧ ، ٦٨ ، النسائى : جنائز : ١٤ ، ابن حنبل : ٣ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٤

أما فيما يتعلق بأخذه بالإجماع وهو الأصل الرابع :

فانا نجده يأخذ به فى أكثر من موضع حيث يتيسر له ذلك .

فهو مثلا فيما يتعلق بقوله تعالى :

(وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه) [من الآية ٤/١٥٨] يقول : (وأجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى الى السماء)(٤٧٧) .

كما يثبت اجماع(٤٧٨) المسلمين على أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم (شفاعة) ثم تبين أن هذه الشفاعة للمذنبين مرتكبى الكبائر .

وذلك بيانا للآية الكريمة :

(ولا يشفعون الا لمن ارتضى) [من الآية ٢١/٢٨] .

أما الأصل الخامس وهو أن القرآن العزيز على ظاهره ، وليس لنا أن نزيلة عن ظاهره الا بحجة ، والا فهو على ظاهره .

يظهر هذا الأصل عند تناوله للرأى القائل بأن المقصود من (الى ربها ناظرة) [٧٥/٢٣] أى الى ثواب ربها ناظرة .

فبين أن ثواب الله غيره ، وأنه ليس للمفسر أن يزيله عن ظاهرة(٤٧٩) .

ويؤكد هذا المبدأ أيضا عند مناقشته لرأى الخصوم(٤٨٠) حول قوله تعالى :

(لا تدركه الأبصار) [من الآية ٦/١٠٣] .

ثم نراه فى تناوله لقول من أقوال الخصوم عن اثبات (ايدى) لله تعالى يبين وجوب الرجوع عن قوله أيدى الى يدين ، خاصة وأن هناك اجماع على

---

٤٧٦ ـ نفس المرجع السابق .
٤٧٧ ـ أنظر صفحة ١١٥ من النص الذى بين أيدينا .
٤٧٨ ـ أنظر صفحة ١٥٩ من النص الذى بين أيدينا .
٤٧٩ ـ أنظر صفحة ٤٠ من النص الذى بين أيدينا .
٤٨٠ ـ أنظر صفحة ٦١ من النص الذى بين أيدينا .

خلك ، ثم يذكر : والقرآن على ظاهره ، ولا يزول الى ظاهر آخر الا بحجة(٤٨١)

ويتمسك الأشعرى بنفس الأصل عند مناقشة قولهم بأن الله أراد يدا واحدة فيبين أن الله تعالى قد ذكر (أيدى) ، وأراد (يدين) لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال : (أيدى كثيرة) وقول من قال : (يدا واحدة) ثم يثبت : (وقلنا يدان لأن القرآن على ظاهره ، والى أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر)(٤٨٢) ٠

وبهذا يؤكد أهم أصل من أصول التفسير الصحيح وهو : عدم ازالة القرآن عن ظاهره الا بحجة) ٠

أما عن الأصل السادس وهو (أن الله تعالى انما خاطب العرب بلغتها

فانا نجد الأشعرى يراعى أصول اللغة ومعانى الألفاظ طبقا لما ترد فيه من استعمالات ٠

وأول ما يقابلنا من مواقف تحليل لمعانى الألفاظ بحسب استعملها ما يثبته الأشعرى فى مسألة (الرؤية) للفظ (ناظرة ٠ حيث يعرض مختلف استعمالات اللفظ فى القرآن الكريم ، وما يؤدى كل استعمال من معنى فاللفظ يعنى تارة الأنتظار وتارة ، التعطف وتارة ثالثة : التفكر والاعتبار ٠٠٠ الخ ، وهذا العرض يبين الى أى حدٍّ يراعى الأشعرى الدقة فى أداء المعانى والمفاهيم اعتمادا على فهم حميق لدلالة الألفاظ فى اللغة ، ثم استشهاده بأبيات شعر لأمروء القيس(٤٨٣) والخنساء(٤٨٤) لإبراز معنى الألفاظ ، أمر يؤكد مدى تقدير الأشعرى لتلك الحقيقة وهى (انما خاطب الله تعالى ، العرب بلغتها) وبالتالى فعليهم أن يثعنوها لإحكام التفسير ٠

كما نراه يثبت موقفا يعرض فيه رأى أهل اللغة فيما يتعلق باستعمال بعض الألفاظ مثل لفظ : (يصير) بقول :

(فلان يصير بصناعة ، يريدون — [أى أهل اللغة] — يصير العلم ، ويواصل فيقول :) ٠٠ ويقولون قد أبصرته بقلبى ، كما يقولون قد أبصرته بعينى(٤٨٥) ٠٠٠) الخ الى آخر هذا العرض ٠

---

٤٨١ — أنظر صفحة ٩٣ من النص الذى بين أيدينا ٠
٤٨٢ — نفس المرجع السابق ٠
٤٨٣ — أنظر صفحة ٣٩ من النص ٠
٤٨٤ — أنظر صفحة ٤٥ من النص ٠
٤٨٥ — أنظر صفحة ٥٥ ، ٥٦ من النص ٠

كما نجده يرجع الى آراء أهل اللغة فى معانى الألفاظ واستعمالاتها عندما يؤكد بعض الخصوم أن البصر الحقيقى هو بصر القلب لا بصر العين ، فيبين لهؤلاء أن أهل اللغة قد سموا بصر القلب بصرا كما سموا بصر العين بصرا(٤٨٦) وبالتالى فيجب اجازه المعنيين ٠

ثم يظهر تمسكه بهذا المبدأ أيضا عند مناقشته لصفة (يد) وبيان أنه لا يصح لغة ٠ أن يقال ٠ أن : (عملت بيدى ويفنى بها نعمته يقول فى ذلك : (وليس يجوز فى لسان العرب ولا فى عادة أصل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا بيدى ، ويعنى بها) النعمة(٤٨٧) ٠

ويؤكد هذا المبدأ أيضا عند اثبات اليدين ٠ وذلك عندما يقول :

(لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم) : فقلت بيدى وهو يعنى(٤٨٨) ٠ الى آخر الكلام فى هذه النقطة ٠

ثم يؤكد فى موضع بعد ذلك أن الله قد خاطب العرب بلغتهم(٤٨٩) فقال تعالى : (بلسان عربى مبين) [من الآية ١٩٥/٢٦] ٠

وقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) [من الآية ١٤/٤] ويلاحظ الباحث أن الأشعرى يلتزم بهذا المبدأ وهو ما يبين عندما يصرح (بأن جائز لغة ٠٠) الخ فى مواضع متعددة من كتاباته(٤٩٠) ٠

أما الأصل السابع وهو : مراعاة مناسبة النزول :

يطبق الأشعرى هذا الأصل من أصول التفسير عند تناوله لقوله تعالى : (أرنا الله جهرة) [من الآية ١٥٣/٤] وقول البعض بأن الله تعالى قد استكثر سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار فبين الأشعرى أن بنى اسرائيل عند توجيه هذا السؤال كانوا يذكرون نبوة موسى عليه السلام ٠ فاستعظم الله سؤالهم مما يبين أنه تعالى لم يجعل الرؤية مستحيلة ، وبهذا تكون مراعاته لمناسبة النزول هى الأصل فى توضيح جواز الرؤية ٠

---

٤٨٦ ـ أنظر صفحة ٦٠ من النص ٠
٤٨٧ ـ أنظر صفحتى ٨٥ ، ٨٦ من النص ٠
٤٨٨ ـ أنظر صفحة ٩٤ من النص ٠
٤٨٩ ـ أنظر صفحة ١٤٢ من النص ٠
٤٩٠ ـ أنظر أيضا صفحة ١٤٩ من النص ٠

وكذلك نقع على توكيد لهذا الأصل عند معالجة الأشعرى لجواز الرؤية من خلال بعض الأحاديث النبوية الشريفة ٠

ونرى الأشعرى يشير الى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أكد (الرؤية) على سبيل البشارة للمؤمنين ٠

فالأشعرى الى جانب مراعاته لمبدأ (مناسبة النزول) يلتفت الى الظروف التى نطق فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بأحاديثه التى تفهم أكثر من خلال الظروف المحيطة به وقت نطقه بها ٠

الأصل الثامن الخصوص والعموم :

يراعى الأشعرى فى تفسيره للآيات الكريمة مبدأ العموم والخصوص فنراه يصرح وهو بصدد شرح الرؤية وتوكيدها فى الآخرة : (وكان قوله (وهو يدرك الأبصار) على العموم أنه يدركها فى الدنيا والآخرة)(٤٩١) كما يقول بعد قليل :

وكان فى العموم(٤٩٢) كقوله : (وهو يدرك الأبصار) [الآية ٦/١٠٣] لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر ٠٠٠ الخ ٠

ويبين كذلك أن هناك ما هو أخص وذلك فى قوله : (فقد وجب أن يكون قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) أخص(٤٩٣) من قوله : وهو يدرك الأبصار) الخ ٠

ويراعى نفس المبدأ وهو العموم والخصوص فى مسائل أخرى منها ما يتعلق أيضا بنفس المشكلة وهى مشكلة الرؤية(٤٩٤) ودلالة الآية التى استدل بها المعتزلة على نفى الرؤية ٠

هذا هو أسلوب الأشعرى فى مواجهة النصوص المنزلة وهو أسلوب السلف الصالح واقتدى فيه بالإمام أحمد بن حنبل ٠

غير أن الأشعرى ، مثل ابن حنبل ، قد تبين أن الدفاع عن العقيدة يقتضى بعض أساليب ذهنية تعتمد فى أساسها على معانى دينية أى معانى مستقاة

---

٤٩١ ـ أنظر صفحة ٥٥ من النص الذى بين أيدينا ٠
٤٩٢ ـ نفس المرجع السابق ٠
٤٩٣ ـ أنظر صفحة ٥٧ من النص الذى بين أيدينا ٠
٤٩٤ ـ أنظر صفحة ٥٩ ، ٦٠ من النص الذى بين أيدينا ٠

من النص المنزل · وتعرض مع حجاج عقلى يؤكد أبعادها · دون أن يكون فى ذلك خروج عن الدين ، لأن المنطلق فى الأصل هو النص المنزل · ونقول : مثل ابن حنبل لأنه هو أيضا قد مارس الأساليب الذهنية ، حيث اقتضى الأمر ذلك ، عند مواجهته للجهمية فى مستهل أقواله معهم كما بينا ·

وهذه الوقفات الذهنية لا تخرج عن أن تكون قائمة على الدليل النصى فى منطلقها · كل ما هنالك أنها لا تمثل مرحلة استقراء معانى النص ، وهذه مرحلة تفسير وهى الأساس ولكن تمثل مرحلة تالية ، تعتمد على الأولى ولكنها من طبيعة أخرى لأنها تهدف الى توكيد معانى النص المنزل ازاء معانى الخصوم المتخيلة التى يتطلب القضاء عليها ، بعض المواقف الذهنيين ، التى تؤكد المعنى النصى المنزّل ؛ فكأن هذه الوقفات الذهنية ، وقفات نصية ولكن غير مباشرة ·

فاذا أردنا أن نتبين موقف الأشعرى حيث لا ينطلق من نصٍ منزّل ولكن من معنى استقاه أصلا من نصٍ منزّل ، ليؤكد صحته باعمال فكره معتمدا على المعانى الدينية وعلى ذهنه الذى حباه الله به كقوة لإبراز الحقائق نقدم على سبيل المثال ما يلى :

ساله على الجهمية :

ويقال لهم أليس لم يزل الله عالما بأوليائه وأعدائه ؟

فلا بد من : نعم ·

قيل لهم : فهل تقولون انه لم يزل مريدا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه ؟

فان قالوا : نعم ·

قيل لهم : فاذا كانت ارادة الله لم تزل ، فهى غير مخلوقة ، واذا كانت ارادته غير مخلوقة ، فلم لا قلتم ان كلامه غير مخلوق ؟

فان قالوا لا تقول : لم يزل مريدا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه ، زعموا أن الله لا يريد التفرقة بين أوليائه وأعدائه نسبوه سبحانه الى النقص تعالى عن قول القدرية علوا كبيرا(٤٩٥) ·

هذه المسألة يصدر فيها الأشعرى عن معنى دينى استقاه من النص المنزل أصلا وهو اثبات ارادة لله فيما لم يزل · أى أن ارادة الله كعلمه

---

٤٩٥ ـ أنظر صفحة ٨٢ ، ٨٣ من النص الذى بين أيدينا ·

غير مخلوقه · وهـذا معنى نفاه المعتزلة ومن قبلهم الجهمية بمـا صـدروا عنـه من أفكار غير مستمدة من النص ومنعوها فى المقدمة بصـفة مسـبقة فأراد الأشعرى أن يثبت هذا المعنى الذى ورد فى النص المنزل باقامة بعض مقارنات للكشـف عن الحقائق التى غفل عنهـا الخصـوم ، رغم أنهـا اذا ما تبينوها وجدوا أنهم لا يملكون رفضها على نحو ما بين لهم الأشعرى ·

وقد لجأ الأشعرى الى هذه الأدلة الذهنية المعتمدة على معانى مستقاة من النص المنزل أصلا فى عدة مواضع منها المسألة التالية على هذه من نفس الصفحة(٤٩٦) والتالية عليها(٤٩٧) ، ثم مسألة وردت بعـد ذلك فى الرد على الجهمية من اثبات أن الله مريد(٤٩٨؟ وغير هذه وتلك من المسائل(٤٩٩) التى تتناول نقاط أخرى وكلها فى الرد على الخصوم لدحض معانيهم وأقوالهم واثبات أقوال السلف ومفاهيمهم ومن الملاحظ أنه يصدر فيهـا جميعا من المعنى الذى يدل عليه النص المنزل · كل ما هنالك أنه فى هذه الأدلة لا يعالج اسـتخرج المعنى من النص الذى يكون قد اهتـدى اليـه فى مرحـلة سابقة ولكن يؤكد هـذا المعنى بمـا يظهره أكثر جلاء للخصوم وهذه هى الفائدة المرجوة ، وهـذا ما لجأ اليه ابن حنبل فى مواقف على نحو ما بينا ·

فالأشعرى اذاً فى جميـع الحالات يصـدر عن النص المنزل فهو عنـده له مكان الصدارة والأولوية ، خلافا لمـا كان عليه المعتزلة ، واتباعه لوقفـة السلف أنفسهم وهو ما فعله على العموم ابن حنبل فاذا كان الأمر كذلك ، وكان الأشعرى ليس فقط من الذين أثبتوا هذه الأصول المتبعة فى التفسير عند السلف الصالح ، بل طبقها والتزم بهـا فى كتاباته على اختلافهـا منـذ خروجه عن الاعتزال واعلان انتمائه الى الإمام أحمد بن حنبل ؛ فمعنى هـذا أنه لم يكن صاحب طريقة وسط بين الاعتزال وموقف أهل السـنة ، وانمـا كان من أهل (الاتبـاع) كمـا يقال · أى من الذين احترموا أصـول التفسـير الصحيح ، ولم يؤولوا القرآن على غير تأويله ·

ويبدو لى أنه قد أصبح من الواضح أنه يتعذر تماما الجمع بين وقفتى المعتزلة والسلف فى مواجهة المتشابهة من القرآن الكريم · ذلك أن المعتزلة

---

٤٩٦ ـ نفس المرجع السابق ·
٤٩٧ ـ نفس المرجع السابق ص ٤٨ ، ٨٥
٤٩٨ ـ نفس المرجع السابق ص ٩٧
٤٩٩ ـ نفس المرجع السابق ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٣ وطوبة

ينطلقون من مجموعة أفكار فلسفية مسبقة ، كما أشرنا ، تبينا جذورها عند عرضنا لآرائهم وهى آراء الجهم بن صفوان ، الذى التبست عليه الأمور عند مواجهة السمنى له ، فتفيق ذهنه عن مفهوم (الروح) الذى على أساسه انتهى الى القول بنفى الصفات · هذه المفاهيم المسبقة غريبة عن الإسلام ، بل هى تتعارض مع حقيقة ما تكشف عنه النصوص لذلك اضطر المعتزلة الى الالتجاء الى النصوص مؤخرا ، وبقوا فى منطلقهم مع العقليات أى الأنسقة الذهنية ، أو كما يقال (العقل) : وأرجأوا الأخذ بالنص ·

فالمحك أو المعيار هو فى نقطة الانطلاق · أى فى بداية طريق كل منهما : فمن ينتمى الى السلف يضع فى المقدمة النص المنزل ومعانيه ، ومن يدين بالاعتزال يقدم الأنسقه الذهنية ودلالاتها ·

فلا الأول يمكن أن يكون الثانى ، ولا الثانى يمكن أن يكون الأول ، لأن انطلاق كل منهما أصلا من وقفته التى تخصه ·

ومن هنا قلنا فى البداية ان المسألة عبارة عن علاقة (اما ··· أو) حيث لا وسط بين طرفى العلاقة · فهى علاقة انفصال لا اتصال ·

هذا فيما يتعلق بحقيقة كل من الوقفتين : وقفة السلف ووقفة المعتزلة وحقيقة موقف الأشعرى منهما · الأمر الذى يترتب عليه استبعاد الحكم الذى كان سائدا عن الأشعرى ، وهو (أنه صاحب موقف وسط) · فهذا الحكم خاطىء من أساسه كما تبينا ويسقط ليحل محله الحكم التالى وهو أن الأشعرى من (أهل الاتباع) أى يدين بديانة السلف الصالح · وهو مالا يتعارض مع مختلف مواقفه الفكرية طالما أن هذه المواقف تستند الى معانى مستقاة من النص المنزل أصلا ، وقامت بهدف دفع الضرر عن العقيدة ·

وهذا المعيار الجديد الذى تبين بالنسبة للأشعرى يسوق الى اعادة النظر فى آرائه على اختلافها ، وهو ما يجب أن يتم فى دراسات مقبلة — باذن الله تعالى ·

كما أنه يجب اخضاع المنتمين الى مدرسة الأشعرى ، لنفس المعيار لتبين صحة صدق انتمائهم الى هذا الإمام ، والفرق بينهم وبين من لم ينتم اليه من أمثال الماتريدية وغيرهم ·· فهذه دراسات سيكون لها قيمتها فى ضبط معالم تاريخ علم الكلام ·

تحليل

عنوان الكتاب هو (الإبانة عن أصول الديانة) ، وهذا يعنى أن مصنف الكتاب يهدف الى بيان الأسس التى يبنى عليها دفاعه عن الديانة ٠

وهو ما نقع عليه فعلا بين دفتى هـذا الكتاب ٠

اذ نجد أن الإمام أبا الحسن الأشـعرى يقدم للـكتاب بمقدمة يثبت فيهـا أسس التوحيد ويهاجم مواقف خصـومه ، ثم يعرض أقوال هـؤلاء الخصوم وهم (أهل الزيغ والبدع) ثم يثبت أصول وقفته ٠ وهى وقفة أهل السلف الصـالح ، ثم يفصـل القول فى كل أصل من أصول هـذه الوقفـة فى أبواب وفصـول ، داحضـا آراء الخصـوم فى مواقفهم الأصـلية لتنـاول العقيدة(٥٠٠) ٠

وكأنه بهـذا يرى أن بيان (أصول الديانة) لا يكون بعـرض هـذه الأصول وانما وبالذات بدحض أقوال الخصوم فيهـا ، لإبطال الباطل واظهار الحق ٠

ويتبين الباحث أن أبا الحسـن بعرضه ٠ بعد المقدمة ، (قـول أهل الزيغ والبدع) قبل (قول أهل السنة والجماعة) يكشف عن وعى لحقيقـة منهجه ، وهى أن طرق البحث تختلف باختلاف الوقفة الأولى من الباحث تجـاه مواد بحثه ، اذ يتضح من واقع عرضه لقول الخصـوم أنهم ينطلقون من منطلق مخالف لمـا صدر عنه فى الدفاع عن مسائل الديانة ؛ فبينمـا نتبين أنهم لا يعطون لدلاله الخبر المنزل أولوية فى التعرف على الحقائق وأنهـم ينطلقون من مجـرد تقسيمات ذهنية بشرية لفهـم حقيقة الذات العلية ٠ فيحيدون عن الحق ويزلون الى هاوية البدع والأباطيل ، نجده عنـد عرضه

---

٥٠٠ ـ يرى بعض الباحثين المحدثين أن الأشعرى اذا كان قد وفى بمـا وعد من تفصيل القول فى بيان آراء السلف (بابا بابا وشيئا شيئا) فانه لم يفعـل ذلك بالنسـبة لآراء الخصوم حيث قدم نفس الوعـد ولكنه لم يف به ٠

وقد رددنا على هذا الرأى بأن الأشعرى لم يخلف وعده لأنه تعرض لأصول وقفة الخصوم فى ثنايا ردوده عليهم ٠ وهو المطلوب ٠

لآراء أهل السنة والجماعة ، يثبت منطلقه وهو النص المنزل على نحو ما كان عليه السلف عامة وأحمد ابن حنبل رجل المحنه خاصة ولقد سبق أن بينا ، فى حديثنا عن منهج أبى الحسن الأشعرى القيمة العلمية لاستجلاء معنى الخبر المنزل أو عملا بأساليب السلف ، وكيف أن اعطاؤه مكان الصدارة لاستيعاب معانيه أولى من أجل فهم العقائد والإيمان بها ايمانا عن وعى على نحو ما كان من أمر الإمام أحمد بن حنبل فالإمام أبو الحسن اذن يصدر فى هذا المصنف عن ايمانه بأساليب القرآن ويبينها ويدحض ما يخالفها ٠

وبهذا يكون مضمون الكتاب متفقا مع دلالة عنوانه وهى أنه فى بيان أصول العقيدة ، أو أصول الديانة ٠

ويشتمل الكتاب على مقدمة وعدة أبواب وفصول ، تنقسم الى مسائل وردود ، فيما عدا الباب الأول والثانى ٠ الذى يمثل كل منهما عرضا مكثفا لآراء أهل (الزيغ والبدع) من جهة ومن جهة أخرى آراء أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بأصول الديانة ٠

ويبدو أن أبا الحسن قد حرص على حصر أقاويل أهل الزيغ والبدع ، والتنديد بها فى الباب الذى يلى المقدمة مباشرة من أجل أن تمحو الأبواب التالية ما يمكن أن يكون لها من أثر سيء على من تعلق بذهنه ٠

فالأبواب التالية بعد ابانة قول أهل الحق والسنة تتناول تفصيلا ما سبق وعرضه مجملا ٠

وسنقف على التوالى عند كل باب من هذه الأبواب لإبراز ما يشتمل عليه من مسائل ٠ وكلها تمثل بيان أصول الديانة الصحيحة ودحض أقاويل المناوئين الباطلة ٠ وكأن أبا الحسن يذكر أقاويل الخصوم مكثفة فى البداية أراد بيان الداعى الى الخوض فيها لدحضها والكلام فى البرهنة على بطلانها ٠

أما مقدمة الكتاب :

فان أبا الحسن يستهل كلامه فى هذا المصنف بمقدمة يؤكد فيها وحدانية الله تعالى ٠ وقدرته على الخلق والإعادة ، وأنه منزه سبحانه عن أقوال أهل الزيغ ، ويثبت له ما ورد فى الكتاب الكريم عن ذاته تعالى : فهو أول ، قدير ، عالم ، خبير ، (خلق الأشياء بقدرته ودبرها بمشيئته ، وقهرها بجبروته ،

وذللها بعزته ...) [صفحة ١ من النص] ثم يبين معنى الحمد ، وأنه يحمده (كما حمد الحامدون من جميع خلقه) [صفحة ٢ من النص] ٠

وأنه العالم (بما تظن الضمائر وتنطوى عليه السرائر) ٠ [ص ٢] ويطلب منه تعالى الهدى ويسأله التوفيق لمجانبه الردى ٠

ويشهد بأن محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وأمينه ، وأنه بلغ رسالة ربه ، ونصح أمته ، وأظهر الحق بما حمل من آيات باهرة ، وبراهين قاهرة ، وأنه هو الذى جاء بـ [كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٠ (من الآية ٤١ ، ٤١/٤٢)] ٠

ويذكر الأشعرى فى هذا الموضع آيات متعددة لإثبات وجوب طاعة الله وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

وما أن ينتهى من اثبات أسس الموقف السليم للمؤمن نجده يشير الى حال من خرج عليها فنبذ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومال الى أسلاف له قلدهم ودان بديانتهم ، وكيف أنه بذلك يصبح من الضالين ٠ ثم يختم هذه المقدمة بالتذكرة بالآخرة ، وبأن الناس يرجعون بعد موتهم الى ربهم ، لتجزى كل نفس بما عملت مثبتا الآية الكريمة :

[(ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) من الآية ٥٣/٣١] وبهذا يؤكد أبو الحسن الأشعرى المنطلق الذى ينطلق منه وهو الاعتراف بأصول العقيدة الإسلامية من واقع مصدريها : (الكتاب) و (السنة) ٠ هذه الأصول التى وضعها الله سبحانه لعبده ، لهدايته ، فهى ليست من وضع العبد لنفسه ٠

هذه نقطة مهمة جدا وهى موضع الإختلاف بين أهل السنة وغيرهم من أهل الزيغ والبدع ٠ كما سبق وبينا ذلك فى منهجه(٥٠١) ٠

فصل فى قول اهل الزيغ والبدع :

يتضمن هذا الفصل أقوال أهل الزيغ والبدع ، ويلاحظ أن الأشعرى يستهل الفصل بأن يخص بالذكر فرقتين وهما : (المعتزلة) و (أهل القدر) ونجد أنه يرد موقفهم الى سلف لهم سبقوهم هم : الجهمية أصحاب جهم بن صفوان كما يتبين من تصريحه فى نهاية الفصل ، فهم الذين تأولوا

---

٥٠١ ـ أنظر منهجه فى هذا التقديم ٠

القرآن على غير تأويله ، ويبين الأشعرى أن المعتزلة وأهل القدر فى موقفهم هذا الذى قلدوا فيه رؤساء لهم قد (تأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين)(٥٠٢) .

ثم يذكر بعض المسائل التى خرجوا فيها عن رأى السلف ، أو كما يقول : عن (روايات الصحابة رضى الله عنهم عن نبى الله صلى الله عليهم وسلم(٥٠٣) وهى :

١ — (رؤية الله عز وجل بالأبصار) .

٢ — (وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين) (والجحود بعذاب القبر ، وأن الكفار فى قبورهم يعذبون)(٥٠٤) (والقول بخلق القرآن) .

٥ — (وأن العباد يخلقون الشر) .

٦ — (وأن الله يشاء مالا يكون ، ويكون ما يشاء)(٥٠٥) وأن الرسول صلوات الله عليه قد سماهم (مجوس هذه الأمة) .

كما يذكر أنهم قالوا انه (يكون من الشرور مالا يشاء الله) ، وأنهم منفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم فانتهوا الى (الغنى عن الله عز وجل(٥٠٦) .

(وقنطوا الناس من رحمة الله ، وأيسوهم من روحه) اذ حكموا على العصاة بالنار والخلود فيها خلافا لقول الله تعالى :

(ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . [من الآية ٤٨/٤] كما زعموا أن من يدخل النار لا يخرج منها .

٨ — ودفعوا أن يكون لله تعالى يد ووجه وعينان ..

٩ — وأنكروا أن يكون له علم وقوة(٥٠٧) . كما نفوا النزول .

وفى نهاية الفصل ينسب هذه الأقوال كما أشرنا الى الجهمية والمرجئة

---

٥٠٢ — أنظر صفحة ١٤ ، ١٥ من النص الذى بين أيدينا .
٥٠٣ — نفس المرجع السابق .
٥٠٤ — نفس المرجع السابق .
٥٠٥ — أنظر صفحة ١٥ من النص الذى بين أيدينا .
٥٠٦ — أنظر صفحة ١٦ من النص الذى بين أيدينا .
٥٠٧ — نفس المرجع السابق .

والحرورية مما يرجح ما سبق وأثبتناه فى البداية وهو أن هؤلاء (الرؤساء) وهؤلاء (الأسلاف منهم الجهمية وغيرهم من أهل البدع ، الخارجين على موقف السلف .

بهذا الفصل يبين لنا الأشعرى الخلفية الفكرية التى كانت سائدة فى ذلك الحين حول العقائد والتى لم تكن صادرة عن الكتاب والسنة وانما استقاها اصحابها من مختلف الحضارات التى كانت سائدة فى ذلك الحين والتى كانت نتاج جهود ذهنية لبعض المنتمين اليها ، الذين حاولوا دعم هذه الأصول بعد ذلك بالنصوص المنزلة ، مؤولة على غير تأويلها كما بينا فى فصل (المنهج) .

فصل فى ابانة قول أهل الحق والسنة :

يذكر أبو الحسن فى هذا الفصل بأسلوب مركز عقيدته التى يدين بها . ويحرص قبل بيان مضمون هذه العقيدة على اعادة القول بأنه من المنكرين لقول المعتزلة ، والقدرية والجهمية والحرورية ، والرافضة والمرجئة ثم يبدأ فى عرض أصول ديانته فيبين أن الأصل الأول الذى يأخذ به هو : (التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم(٥٠٨) .

ثم يضيف أنه يأخذ أيضا بـ (ما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث)(٥٠٩) .

ويصرح بعد ذلك بعبارة لها أهميتها من ناحية توكيد اتجاهه وهى : (ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، قائلون)(٥١٠) مع اثبات أنه يخالف أيضا ما يخالفه ، لأنه الإمام الذى وضح الله به الحق ، وقمع به زيغ الزائغين .

فهو اذا يعلن انتماءه للإمام ابن حنبل على اعتبار أنه قد أصبح يسير وفق خطاه ويقتدى به فى ديانته .

ومما يستحق الذكر أن الحنابلة فى عصره قد رفضوا الاعتراف بهذا الانتماء ، وهاجموا أبا الحسن الى حد أنهم كانوا يودون نبش قبره فمنعهم

---

٥٠٨ ـ أنظر صفحة ١٩ ، ٢٠ من هذا النص .
٥٠٩ ـ أنظر صفحة ٢١ من هذا النص .
٥١٠ ـ نفس المرجع السابق .

السلطان ، والحقيقة أن الأشعرى لم يحد عن الصواب عندما صرح بهذا الانتماء اذ أن موقفه من العقائد مع موقف ابن حنبل من ناحية أنه يعطى مكان الصدارة للنص المنزل الذى يؤوله طبقا لأصول التأويل أو التفسير ولم يؤله أبدا على غير تأويله ٠

أما أصول هذه الديانة فهى :

١ ـ أنه يقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ٠ وبما جاءوا به من عند الله وما رواه الثقات عن الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ الوحدانية لله سبحانه فهو (اله واحد لا اله الا هو ، فرد ، صمد ٠٠ لم يتخذ صاحبة ولا ولد) ٠

٣ ـ أن محمدا عبده ورسوله ٠

٤ ـ أن الجنة والنار حق [أى الله سبحانه وتعالى] ٠

٥ ـ الايمان بالاستواء على العرش ٠ يقول فى ذلك (على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ـ استواء منزها عن المماسة ، والاستقرار ، والتمكن ، والحلول والانتقال)(٥١١) ٠

ونراه يحرص ، على توكيد الاستواء على العرش بلا كيفية ، كما قال السلف بالضبط ويعبر عن ذلك بقوله :

(لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، مقهورون فى قبضته ، وهو فوق العرش وفوق كل شىء ٠٠٠)(٥١٢) الى آخر ما ذكره بحيث يتبين الباحث أنه يعين بكلماته ابعاد (الفوقية) عن أى مفهوم يماثل ما عليه المخلوقات ٠ اذ يقول :

(فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبد من حبل الوريد)(٥١٣) ٠

٦ ـ أن له وجه ويدين ، وعينين ٠٠ بلا كيف ٠

٧ ـ أن الأسماء الحسنى ليست غيره ٠

---

٥١١ ـ أنظر صفحتى ٢١ ، ٢٢ من النص ٠
٥١٢ ـ أنظر صفحة ٢٢ من النص الذى بين أيدينا ٠
٥١٣ ـ نفس المرجع السابق ٠

٨ ـ أن له علم وسمع وبصر ، وقوة أى أنه يثبت له تعالى الصفات ٠

٩ ـ أن كلام الله غير مخلوق ٠

١٠ ـ كل ما فى الأرض بمشيئته ، خيره وشره ٠

١١ ـ أن أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل ٠

١٢ ـ يدين بأن الله يرى فى الآخرة بالأبصار ٠

١٣ ـ لا يكفر مرتكب الكبيرة : كالزنا والسرقة وشرب الخمر الا اذا كان غير معتقد تحريمها ٠

١٤ ـ أن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل الإيمان اسلاما ٠

١٥ ـ القول بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ٠

١٦ ـ الإيمان بعذاب القبر ٠

١٧ ـ كما يؤكد أنه يدين بحب السلف ٠

١٨ ـ أن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان الذى قتل قتلا ظلما ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا ٠

١٩ ـ ويشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ٠

٢٠ ـ يصدق بالروايات الخاصة بالنزول ٠

٢١ ـ أن الله سبحانه يجىء يوم القيامة ٠

٢٢ ـ كما يضيف أن من ديننا أننا نصلى الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات ، خلف كل بر وفاجر ٠

٢٣ ـ وأن المسح على الخفين سنة فى الحضر والسفر ٠

٢٤ ـ ويرى الدعاء لأئمة المسلمين ٠

٢٥ ـ ويصدق بحديث المعراج والصدقة على أموات المسلمين وأن فى الدنيا سحرة وسحرا ، وأن الجنة والنار مخلوقتان الى آخر ما ذكر من تفاصيل(٥١٤) ٠

وبدراسة هذه النقاط يتبين الباحث أن الأشعرى يحرص على اثبات

---

٥١٤ ـ أنظر من صفحة ٢٢ الى ٣٢

أصول العقيدة التى وردت وهى : الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله ، وما رواه الثقات عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الله واحد لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله كما يحرص على اثبات مختلف النقاط الإيمانيـة التى حاد عنها الخصـوم بسبب قولهم بأصولهم العقلية ، مثل الإيمان بالاستواء على نحو ما ورد دون تفسيره على غير تأويله ، كما فعل الخصوم ، والفوقية ، واثبات الصفات له تعالى ، والقول بالجنـة والنار ، والإيمان بعذاب القبر ، ورؤية الله تعالى فى الآخرة بالأبصار ، وأن القرآن غـير مخلوق ، غير هـذه وتلك من المسائل التى ما كان يثيرها أهـل السنة لولا اضطرارهم الى بيان فساد أسلوب الخصوم ، اذ أن مثل هـذه المسائل كانت مفهومة وقت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقرب الناس منه ، ولأن القرآن قد نزل بلغة العرب ٠

١ ـ باب الكلام فى اثبات رؤية الله بالأبصار فى الآخرة :

يستهل الأشعرى باب الرؤية باثبات النص المنزل الذى يؤكدها وهو (وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة) [٢٢ ، ٢٣/٧٥] مبينا أن المقصود بـ (ناظرة) رائية)(٥١٥) ٠

وهو بهذا يعطى الأولوية للنص المنزل على النظر العقلى ٠

غير أنه لا يكتفى بمجرد اثبات النص ، وانما نجده يناقش التفسـير الذى أعطاه للفظ (ناظرة) أو التـويل الذى أوله عليه ٠ وذلك بعرض ومناقشة وجوه استعمال اللفظ فى القرآن الكريم ، فيأتى بالمعانى الأربعة لاستعمال اللفظ فى آى الذكر الحكيم :

الأول : نظر الاعتبار ٠

والثانى : نظر الانتظار ٠

والثالث : نظر التعطف ٠

والرابع : نظر الرؤية(٥١٦) ٠

ويبطل المعنى الأول على أساس أن الآخرة (ليست بدار اعتبار) ٠

ويبطل الثانى : لأن النظر اذا ذكر مع ذكر (الوجه) عنى نظر العينين

---

٥١٥ ـ انظر صفحة ٣٥ من النص ٠

٥١٦ ـ نفس المرجع السابق ٠

وليس نظر الانتظار خاصة ، وأن نظر الانتظار يصاحبه (تكدير ، وتنغيص) وهو مالا يكون فى الجنة ٠

ويبطل المعنى الثالث : لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم(٥١٧) ٠

وبعد اثبات بطلان المعانى الثلاثة بالنسبة لتأويل (النظر)(٥١٨) ٠

فى هذه الآية ، يؤكد صحة المعنى الرابع وهو ، كما سبق وأثبته : (الرؤية) ويلاحظ أن موقفه هذا بالنسبة لإثبات الرؤية يماثل موقف (ابن حنبل من التأويل فى هذه المسألة وان كان ابن حنبل لم يفصل القول فى بيان وجوه معانى (النظر) فى كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية)

ثم نراه بعد ذلك يواصل هذا الموقف بالنسبة لبعض أدلة المعتزلة النصية فى نفى الرؤية ٠ فيبين لهم أن نظر الانتظار لا يكون مقرونا بـ (الى)(٥١٩) ٠

ويقدم أمثلة أخرى من آى الذكر الحكيم ، كما يستعين ببيت شعر لأمرىء القيس ويكرر ما سبق وذكره من أن النظر بالوجه يعنى العينين أى نظر الرؤية ٠

ويرد الأشعرى على رأى آخر من آراء المعتزلة فيما يتعلق بنفس الآية وهو ذلك الذى يفسر (النظر) بأنه النظر الى الثواب(٥٢٠) ٠

مبينا أن (الثواب) غير الله ٠ وأنه لا يعنى (الى غيره ناظرة) ، ثم يذكر مبدأ من المبادىء التى يعتمدها وهو :

(والقرآن العزيز على ظاهره ، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره الا بحجة والا فهو على ظاهره)(٥٢١) ٠

وبالتالى ، فانه لو أزيل عن ظاهره بالنسبة لهذه الآية ، فلم لا يزيلوه ـ بقصد المعتزلة ـ كذلك عن ظاهره بالنسبة للآية التى يتمسكون بها وهى (لا تدركه الأبصار) [٦/١٠٣] ٠

---

٥١٧ ـ أنظر صفحة ٣٧ من النص ٠
٥١٨ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥١٩ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥٢٠ ـ أنظر صفحة ٤٠ ، ٤١ من النص ٠
٥٢١ ـ نفس المرجع السابق ٠

وبعد أن ينتهى من الرد على أقوال المعتزلة حول تأويلهم للفظ (نظر) يرجع الى تقديم الأدلة على اثبات الرؤية وهى أدلة سمعية يتناولها أيضا بالدراسة على نحو ما فعل فى الدليل الأول ٠

الدليل الثانى(٥٢٢) : قوله تعالى : (رب أرنى أنظر اليك) [من الآية ٧/١٤٣] ويبين الأشعرى أنه لو كانت الرؤية مستحيلة لما سأل ربه الرؤية فكيف يثبتون بعد ذلك ـ يقصد المعتزلة ـ الرؤية مستحيلة ؟ ثم ينبه الى أن الله سبحانه وتعالى يعلم أولا الأنبياء قبل العباد ولو كانت الرؤية مستحيلة لعلم موسى صلوات الله عليه ٠ ويذكر مثال (الظهار)(٥٢٣) بالنسبة لعلم الأنبياء الذى يسبق علم العباد ٠

الدليل الثالث(٥٢٤) : قوله تعالى لموسى أيضا : (فان استقر مكانه فسوف ترانى) [من الآية ٧/١٤٣] ٠

وهنا نرى الأشعرى ينبه الى الشرط الوارد فى الآية ، وأن هذا الشرط يجعل مفهوم استقرار الجبل ممكن ٠ وبالتالى رؤية الله تعالى ممكنة أو على حد تعبير جائزة ـ مما يستبعد فكرة الاستحالة لأن الله سبحانه وتعالى ، قرن الكلام بالجواز وليس بالاستحالة ٠

اذ أن استقرار الجبل أمر جائز الوقوع لأنه مقدور لله سبحانه وتعالى اعتمادا على استعمال الألفاظ عند العرب ٠

ولما كان دليله لغويا أى يعتمد على استعمال العرب للغتهم فنجده يستشهد بكلام الخنساء التى عندما (أرادت تبعيد صلحها لمن كان حربا لأخيها ، قرنت الكلام بأمر مستحيل)(٥٢٥) ويصرح : (والله تعالى انما خاطب العرب بلغتها)(٥٢٦) ٠

وهذا مبدأ من أهم المبادىء التى يعتمد عليها موقف الأشعرى فى التأويل وهو أصل من أصول اللغة ٠

---

٥٢٢ ـ أنظر صفحة ٤١ ، ٤٢ من النص ٠
٥٢٣ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥٢٤ ـ أنظر صفحة ٤٣ من النص ٠
٥٢٥ ـ أنظر صفحة ٤٤ ، ٤٥ من النص ٠
٥٢٦ ـ نفس المرجع السابق ٠

الدليل الرابع : قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ٠ [١٠/٢٦] ٠

ذكر الأشعرى هـذه الآية وغيرها من أجل التذكرة بمـا قاله أهل التأويل أى التفسير من أن أفضل نعمة ينعم الله بها على أهل الجنة هى رويته تعالى :

ولهذا يبين بأدلة أربعة مستقاة من النصوص المنزلة أن رؤية الله غير مستحيلة وكلها أدلة تؤكد الرؤية الأول : يعتمد على توكيد معنى الرؤية للفظ (النظر) ، والثانى : يرجع فيه الى علم موسى بعدم الاستحالة والا لمـا سأل ربه الرؤية ، والثالث : اقتران الرؤية بأمر جائز ، وبالتالى فهى جائزة ٠

وليست مستحيلة ـ والرابع : يذكر بنعمة الله على أهل الجنة وهى الرؤية ٠

فصـل : ثم يخصص بعد ذلك فصلا لمناقشة ما قيل حول تأويل الآية الـكريمة(٥٢٧) وخاصـة من قبل المعتزلة (لا تدركه الأبصـار [من الآية ٦/١٠٣] ٠

فيقدم أولا احتمالين :

(أ) أن يكون لا تدركه فى الدنيا ، وتدركه فى الآخرة ٠

(ب) أن يكون الله أراد بالآية ألا تدركه أبصار الكافرين المكذبين اعتمادا على أن (كتاب الله يصدق بعضه بعضا) ٠

ثم يناقش بعد ذلك بعض ما ظهر من أقوال حول هـذه الآية فيبـدأ باثبات الرأى القائل أن صيغة النفى قد وردت لأن الله تعالى قد استكثر سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار(٥٢٨) ٠

ويرد عليهم الأشعرى بآية أخرى ورد فيها هـذا المعنى مبينا مناسـبة نزولها ويذكر بنعمة الالتفات الى الأخذ بمناسبات النزول(٥٢٩) وفى هـذا ما يثبت أنه يأخذ بأصول التفسير ٠

أما الآية فهى : (أرنا الله جهرة) [من الآية ٤/١٥٣] ٠

---

٥٢٧ ـ أنظر صفحة ٤٧ من النص ٠
٥٢٨ ـ أنظر صفحة ٤٨ من النص ٠
٥٢٩ ـ نفس المرجع السابق ٠

وأما المناسبة فهى : أن بنى اسرائيل سألوا الرؤية لا عن ايمان وتقدير لذاته تعالى ولكن عن انكار لنبوة موسى صلى الله عليه وسلم · لذلك استعظم الله سؤالهم ـ وهذا لا يعنى أن الرؤية مستحيلة ·

ثم يقدم دليلا اعتمادا على نص حديث شريف هو(٥٣٠) :

(ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضارون فى رؤيته) ·

وبين الأشعرى أن الرؤية هنا قد أطلقت اطلاقا ، ومثلت برؤية عيان ، فهى رؤية عيان ·

ويضيف بأن روايات هذا الحديث متعددة بما يزيد من صحته · كما يذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم عند ما سأله سائل هل رأى ربه ؟ فقال : (نورانيا أراه ···) ·

ويبين أن العين لا تقدر على النظر الى الشمس فما بالها لو كانت تنظر الى نورانية الله ، ومن هنا لم تكن الرؤية فى الدنيا وانما فى الآخرة ويؤكد أنه لم يرد أن رؤية الله فى الدنيا · وان كان هناك من يرى غير ذلك أى أنه يسجل بالنسبة لحصول الرؤية فى الدنيا اختلافا فى الرأى(٥٣١) ولا يقف عند هذا الاختلاف لأنه مهتم ببيان أن المعتزلة ينكرون أن الله نور فوق الحقيقة ·

ثم يقدم دليلا آخر (٥٣٢) :

يذكر فيه ارتباط معنى (الموجود) بـ (الرؤية) لأن المعدوم هو الذى لا يرى ، والله موجود فهو يرى ، ويشير الى أن وراء نفس الرؤية اتجاه نحو التعطيل ·

وهذا الدليل لايستند الى سند منزّل ، ويقوم على بيان ما يؤدى اليه موقف الخصم من (تعطيل) ·

وهناك دليل آخر(٥٣٣) :

يلى السابق مباشرة ويعتمد أيضا على الاستنتاج الذهنى المترتب على ما تتضمنه المقدمة الأولى · والدليل هو :

---

٥٣٠ ـ أنظر صفحة ٤٩ ، ٥٠ من النص ·

٥٣١ ـ أنظر صفحة ٥١ من النص ·

٥٣٢ ـ أنظر صفحة ٥٢ من النص ·

٥٣٣ ـ نفس المرجع السابق ·

الله يرى الأشياء ، وبالتالى يرى نفسه ، فجائز أن يرينا نفسه ٠

وبعد أن سرد الدليل على هـذا النحو استعان بمفهوم العلم (علم الله بالأشياء ٠٠٠) وقاس عليه ، ثم استعان بنص منزل :

(اننى معكما ، أسمع وأرى) [٤٦/٢٠] ٠

ثم يقول : فالعالم القادر ، الرائى جائز أن يرى ٠

ثم يعرض لقول القائل : أن النبى صلى الله عليه وسلم يعنى بـ (ترون ربكم) تعلمون ربكم اضطرارا ٠ فيذكر أن قول النبى صلى الله عليه وسلم كان على سبيل البشارة للمؤمنين تفرقة لهم عن الكفار ٠ فقوله حق ، ويمكن أن يعنى الرؤية بالعين والقلب(٥٣٤) ٠

دليـل آخر :

ثم نراه فى دليل آخر يعتمد على معانى ايمانية(٥٣٥) تتعلق بما اتفق عليه المسلمون من أن (الجنة فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) ، وأفضل ما فى الجنة رؤية الله ، ثم رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ٠ وأن الله تعالى لم يحرم أنبياءه المرسلين ، وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصديقين ، النظر الى وجهه الكريم ٠

ثم يعرض(٥٣٦) أربع مسائل يتعرض فى كل منها لدحض قول من أقوال المعتزلة حول رؤية الله تعالى بالأبصار ٠

المسـألة الأولى :

حول قول للمعتزلة عن الآية الكريمة (لا تدركه الأبصار ٠ وهو يدرك الأبصار) [من الآية ٦/١٠٣] اذ رأوا (٥٣٧) أن قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) يقوم على العموم ، ولما كان معطوفا على قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) انتهوا الى هـذا القول أيضا يقوم على العموم ؛ فالعموم متحقق فى هذا القول الثانى بـ (العطف) فقط ، وهـذا ما تبينه الأشعرى وحاول فى ردّه أن يسقط حجتهم هـذه اعتمادا على عدة اعتبارات مستقاة من دلالة آى الذكر الحكيم الذى يكمل بعضه بعضا ٠

---

٥٣٤ ـ أنظر صفحة ٥٣ من النص ٠
٥٣٥ ـ ص ٥٤ ، ٥٥
٥٣٦ ـ ص ٥٤ ـ ٥٩
٥٣٧ ـ ص ٥٦

أما الاعتبار الأول : فهو ما يمكن أن يشمله (العموم)(٥٣٨) :

فالمعتزلة ترى أن العموم ينصب على نفى (الرؤية بالابصار فى الدنيا والآخرة) والأشعرى يخرج هـذا الفهم ويقول انه لو كان هناك معنى (عموم) فى قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) فلم لا يكون منصبا على الرؤية بالعين والقلب وعندئذ يكون المعتزلة من منكرى رؤية الله بالقلب وهو مالا يرونه • لأنهم يؤكدون الرؤية بالقلب • وبالتـالى تهتز حجتهـم القائمة على القول بالعموم بالعطف • لأن قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار خرج الى التخصص) •

وأما الاعتبار الثـانى : فيقوم على ما يدعيـه المعتزلة من أن الرؤية بالأبصار فى الآخرة (٥٣٩) فقط قول يعنى أنها فى وقت دون وقت وهذا يسمح – طبقا لرأيهم ، بأن يكون ما تدل عليه آيات أخرى مثل : (لا تأخذه سـنة ولا نوم) [من الآية ٢/٢٥٥] أو (لا يظلم الناس شيئا) [من الآية ٤٤/ ١٠] يكون فى وقت دون وقت وأنه اذا لم يكن كذلك فلم ينصب التخصيص • فى الدنيا لا الآخرة •

ويرى الأشعرى بأن قوله تعالى يراد به أيضا بعض الأبصار دون بعض ويرفض تخصيص الآيات الأخرى التى عارضوه بها •

وأما الاعتبار الثالث : فيقوم على قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) يوجب أن لا يدرك(٥٤٠) بهـا فى الدارين ولا ينفى أن نراه بقلوبنـا ونبصره بها • (ولا ندركه بها) ، أى مع عدم ادراكنا له بها ، وهو ما لا يسرى على ابصار العينين لأن (رؤية البصر هى ادراك البصر) •

ويرد عليهم الأشعرى بأن ما يحكمون به على ادراك القلوب يؤدى الى عدم احاطة وعدم ادراك • واذا كانوا يرون ذلك بالنسبة لإبصار العينين فهو كذلك بالنسبة لابصار القلب •

وبهذا يهدم الأشعرى فكرة العموم التى قال بها المعتزلة ويتجه بالتخصيص الى أن يكون البعض دون البعض أى لا تدركه أبصار الكفار •

---

٥٣٨ ـ نفس المرجس السابق •
٥٣٩ ـ ص ٥٧
٥٤٠ ـ ص ٥٨ ، ٥٩

المسألة الثانية :

تنقض المسألة الثانية(٥٤١) أيضا أن يكون قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) فى العموم كقوله • (وهو يدرك الأبصار) •

غير أن الأشعرى يثير هنا أن رؤية الله بأبصارنا تخالف ابصار الله تعالى لمخلوقاته من ناحية أن ابصاره ليس كمثله شىء • أى يعتمد على اختلاف نوعية الإبصار وبالتالى لا يضح توكيد نوعية العموم لمجرد العطف كما قال المعتزلة •

المسألة الثالثة :

أما المسألة الثالثة وهى(٥٤٢) فى نفس الموضوع وتقوم على أنه لو قصروا نفى البصر على أنه بصر العين فى الآية الكريمة (لا تدركه الأبصار) لخالفوا أهل اللغة ولجاز أن يقتصر البصر على القلب أيضا •

المسألة الرابعة :

تتناول الرد على أن يكون الإدارك(٥٤٣) معناه (العلم) • فاذا كان الأمر كذلك فيصير النفى الوارد فى الآية منصبا على العلم وليس على الرؤية •

وبهذا ينتهى الأشعرى الى دحض كل ما قاله المعتزلة فيما يتعلق بمسألة الرؤية من أجل اثبات أن (المبصرين يرونه) على ظاهر الآية الشريفة •

ولهذا يتبين أن الأشعرى فى (مسألة رؤية الله بالأبصار) قد بدأ بشرح موقفه العقائدى الذى على اثبات الرؤية لله فى الآخرة مدعما قوله بالأدلة السمعية من نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة التى لا يؤولها على غير تأويلها وانما نراه يتمسك بأصول التفسير ويؤكد مبدأ : أن الله تعالى يخاطب العرب بلغتها ، وأنه ليس لنا أن نزيل القرآن العزيز عن ظاهرة الا بحجة ، ويلفت نظر المعتزلة الى مناسبة النزول — وضرورة حسن تطبيق القول بعموم الآيات وخصوصها حتى لا تخرج عن معناها •

---

٥٤١ — ص ٥٩ ٥٤٢ — ص ٤٠

٥٤٣ — ص ٦٢

كمـا يتبين أنه يفصل بين عرض أصـول موقفه العقائدى والرد على المعتزلة ٠حيث يتناول ما اعتمدوا عليـه من نصوص منزلة ليحسن كيفية تناولهم لهـا ونلاحظ أن جل أدلته تقوم على نصوص منزلة فى الردّ عليهم الا أنه فى دليلين من هـذه الأدلة يربط فى أولهما معنى (الوجود) بـ (الرؤية) ويعتمد فى ثانيهما على أن الله يرى الأشياء ، وبالتالى يرى نفسه فجائز أن يرينا نفسه(٥٤٤) ٠

فى هذين الدليلين نراه يعتمـد على معانى ذهنيـة واستنتاجات قـد تبدو بعيـدة عن النصوص المنزلة ولكنهـا فى حقيقتها ترجـع الى معانى ايمانية مسـتقاة من النصوص المنزلة : فالأول يرجع الى معنى اثبـات الوجود الخارجى أى المنفصل عن الذات العارفة ٠ أى الى يقين الوجود بشقيه : الخالق والمخلوق وهذا معنى اسـلامى صرف ٠

والثانى ينطلق من معنى اسـلامى آخر يتعلق بذات الله وهو أنه يرى الأشـياء ونحن نرى أن الأشـعرى بحـكم مواجهته للمعتـزلة الذين عرف خبـايا آرائهم يضطر من وقت لآخر الى أن يخرج عن مجرد الاسـتعانة بأساليب القـرآن حرصا منه على القضـاء بصفة تامة على كل ما يمكن أن يثيره المعتزلة من أسـاليب ذهنيـة تروق السامعين ولكنها تخالف ما ينص عليه الدين والأشعرى فى كل ما يقـوم يبقى ملتزما بأسس موقف السلف كمـا بينا فى منهجه ٠

٢ ـ باب الكلام فى أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق :

يتناول أبو الحسن الأشعرى مسـألة (خلق القرآن) فى مدخل يضـمنه مجموعة الأدلة النصية المدعمة بالتأويل الصحيح ، وفصلين يحتوى كل منهمـا على عدة أدلة ومسـائل وكل يختص بمزاعم معينـة ٠ ويختلف كل منهما طولا حسـب المسائل التى ترد حول ما يناقش من قضـايا ٠

أما ما سميناه بمدخل للباب (٥٤٥) فهـو يتضمن ، كما أشرنا ، الأدلة النصـية التى تؤكد عقيدة الأشـعرى ٠

لذلك فهو يسـتهل كلامه باثبات الدليل على أن القـرآن كلام الله غير مخلوق ٠ وهو قوله تعالى :

---

٥٤٤ ـ ص ٥٢

٥٤٥ ـ أنظر صفحة ٦٣ من النص ٠

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، وأمر الله هو كلامه) [من ٣/٢٥] ٠

وقوله : (فلما أمرهما بالقيام فقامتا ، لا يهويان ، كان قيامهما بأمره) [من ٣/٢٥] ٠

وقوله : (ألا له الخلق والأمر) [من الآية ٧/٥٤] ٠

ويبين أن (الخلق) لفظ عام وبالتالى فحقيقته أنه عام ٠

وهنا يذكر بالأصول التى يتبعها ٠ فيثبت أحدها وهو : (ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان)(٥٤٦) ٠

ثم يظهر أن (الأمر) غير جميع الخلق أى لا يدخل فيه ٠ لأنه قال تعالى (والأمر) فأمر الله غير مخلوق ٠

وزاد فى البيان بنفس الأسلوب الذى يقوم على تأويل النصوص المنزلة بأن ردّ على من يستفسر عن قوله تعالى : (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل) [من الآية ٢/٩٨] مبينا أنه تعالى قد عنى هنا أيضا : الملائكة الا جبريل وميكائيل ، رغم أنهما من الملائكة ، وذلك لذكرهما على حدة ٠

وبالتالى فذكره (الأمر) بعد الخلق ، يجعل (الأمر) مباينا (للخلق) و (أمر الله كلامه) وهو غير مخلوق ٠

دليل آخر ٠ يقوم الدليل الثانى على الآية الكريمة(٥٤٧) ٠

(انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له ٠ كن فيكون) ٠ [١٦/٤٠] ٠

ويبين الأشعرى أنه لو كان القرآن مقولا لكان مخلوقا ، وهذا يوجب أن يكون كل قول واقع بقول لا الى غاية ، وهذا محال ، فقوله تعالى غير مخلوق ٠

ثم يلحق بهذا الدليل **مسألة** من المسائل التى أثارها الخصوم وهى : أن معنى قول الله تعالى (كن فيكون) ٠ انما يكون فيكون ٠

وهنا يرد الى ظاهر النص مذكرا دائما بنفس القاعدة التى تعطى الأولوية للنص ٠ فيبين أن (الظاهر أن يقول له ، ولا يجوز أن يكون

---

٥٤٦ ـ نفس المرجع السابق ٠

٥٤٧ ـ أنظر صفحة ٦٤ من النص ٠

قول الله للأشياء كلها كونى · هو الأشياء)(٥٤٨) · لأن هذا يجعل الأشياء كلها كلامه وهذا محال ·

وبالتالى فكلامه قد خرج عن المخلوقات فهوا غير مخلوق ·

وينهى الدليل باثبات أنه لو كان كلامه تعالى مخلوقا لكان فى وقت ما ساكتا والسكون آفة ؛ ولذلك وجب أن يكون لم يزل متكلما كما وجب أن يكون لم يزل عالما ·

الدليل الثالث :

يقوم هذا الدليل على معنى أزليه كلام الله(٥٤٩) · اعتمادا على الآية الكريمة (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى) [١٨/١٠٩] معنى الاستشهاد بهذه الآية أن كلمات الله تعالى لا يلحقها الفناء وهو مالا يثبته الجهمية تعالى الله عن قولهم ·

فصـــل :

يتناول الأشعرى فى الفصل ادعاء الجهمية والنصارى(٥٥٠) حول كلمة الله التى قالت النصارى أنه (حواها بطن مريم) رضى الله عنها ، وأضافت الجهمية الى ذلك أن كلام الله مخلوق حل فى شجرة ويلزم من قولهم هذا أن الشجرة قالت : (يا موسى اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدونى)

ويرد الأشعرى على هذا الادعاء بأن كلام الله من الله · وبالتالى لا يجوز أن يكون الذى منه تعالى مخلوقا ·

مسـألة :

ويقف ابو الحسن عند بعض مسائل حول هذا الادعاء(٥٥١) مبينا أنه كما لا يجوز أن يخلق الله ارادته فى بعض المخلوقات ، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه فى بعض المخلوقات · لأن ذلك يوجب أن يكون الكلام مخلوقا وهذا محال ·

---

٥٤٨ ـ أنظر صفحة ٦٦ من النص ·
٥٤٩ ـ أنظر ص ٦٧ من النص ·
٥٥٠ ـ أنظر ص ٦٩ من النص ·
٥٥١ ـ نفس المرجع السابق ·

دليـــل :

ثم يختم الفصـــل بدليل يقوم على المعانى الإيمـانية وذلك عندما يرد على(٥٥٢) من يدعى بأن القرآن ما هو الا قول البشر ، فيبين أنه (لو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق ، ثم تكلم بعـد ذلك ، لكانت الأشـياء قد كانت لا عن أمـره ، ولا عن قوله)(٥٥٢) • فالأشـعرى هنـا يعتمـد على ما ورد فى الذكر الحكيم عن قوله للأشياء (كونى) فكانت •

فصـــــل :

الدليل الأول : ثم ينتقل الى فصل آخر حيث يبدأ بتناول قول الجهمية بأن القـرآن مخلوق وما يترتب عليه من معان • فيشير الى أنه يلزمهم بحكم اثباتهم لهذا القول أنه كان (كالأصنام التى لا تنطق)(٥٥٤) وما يستحيل عليه الكلام فى قومه لا يكون لها ، وينتهى الى أنه ما زال متكلما • هذا هو الدليل الأول فى هـذا الفصل •

الدليل الثانى : يعتمـد أيضـا على معنى ايمانى آخر مسـتقى من قوله تعالى (لمن الملك اليـوم) [من الآية ١٦/ ٤٠] ثم قوله : (لله الواحـد القهـار) [من الآية ١٦/ ٤٠] •

اذا كان الله تعالى قائلا متكلما حين لم يكن مخلوق موجود ؛ فهـذا اذا خارج عن الخلق(٥٥٥) •

الدليل الثالث : يعتمد على قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما)(٥٥٦) الذى فسره ابو الحسن على أن التـكليم هو المشافهة بالـكلام • ولـما كان كلام المتـكلم لا يجوز أن • يحل فى غيره ـ فكلام الله لا يحل فى شىء وبالتالى فهـو غير مخلوق •

الدليل الرابع : يعتمد على تلك الحقيقة الإيمانية(٥٥٧) أيضا وهى : كيف يكون القرآن مخلوقا وأسماء الله فيه •

---

٥٥٢ ـ أنظر ص ٦٩ من النص •
٥٥٣ ـ نفس المرجع السابق •
٥٥٤ ـ نفس المرجع السابق •
٥٥٥ ـ أنظر ص ٧٢ من النص •
٥٥٦ ـ نفس المرجع السابق •
٥٥٧ ـ أنظر صفحة ٧٣ من النص •

فلو كان مخلوقا لكانت أسماء الله مخلوقة ، ولكانت وحدانيته تعالى مخلوقة ، وكذلك علمه وقدرته ... الخ . وهو ما يتعارض أسس العقيدة الإسلامية ، وقد بدأ الدليل بسورة الإخلاص (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [الاخلاص ورقمها ١١٢] .

دليل خامس : يستهله ابو الحسن بقوله تعالى : (تبارك اسم(٥٥٨) ربك) [من الآية ٥٥/٧٨] ويبين أنه لا يقال لمخلوق (تبارك) فأسماؤه غير مخلوقه .

ويذكر قوله تعالى : (ويبقى وجه ربك) [من الآية ٢٧ / ٥٥] ليبين أنه كما لا يجوز أن يكون وجهه مخلوقا فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه ﷻ مخلوقة وهو المطلوب لأن أسماءه تعالى واردة فى القرآن ، فالقرآن غير مخلوق .

دليل سادس : يذكر(٥٥٩) أبو الحسن قوله تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) . [٣/١٨] من أجل الانتهاء الى أن الشهادة بالوحدانية كانت قبل الخلق ، فيبطل أن يكون كلامه تعالى مخلوقا ، لأن كلام الله شهادته .

دليل سابع : يهاجم فيه الجهمية على وجه الخصوص اعتمادا على قوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى)(٥٦٠) .ولا يجوز أن يكون اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى مخلوقا وبالتالى لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا . وقد اعتمد ابو الحسن أيضا على قوله تعالى : (وأنه تعالى جد ربنا) [من الآية ٧٢/٣] لإثبات أنه لايجوز أن يكون (جد ربنا) مخلوقا .

دليل ثامن : يذكر الأشعرى فى مستهله(٥٦١) الآية الكريمة : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) . [من الآية ٥١ / ٤٢] ويبين أنه لو كان كلام الله مخلوقا لا يوجد الا فى مخلوق . لم يكن لما ورد فى الآية الكريمة من شروط أى معنى .

---

٥٥٨ ـ نفس المرجع السابق .
٥٥٩ ـ أنظر صفحة ٧٤ من النص .
٥٦٠ ـ أنظر صفحة ٧٥ من النص .
٥٦١ ـ أنظر صفحة ٧٦ من النص .

كمـا يبين أن فى ادعائهم يقصد ادعاء الجهمية اهدار لمرتبة النبيين لأن موسى مثلا عليه السلام قد سمع الكلام من شجرة حسب زعمهم فيكون أقل ممن سمع الكلام من ملك أو نبى ، وبهـذا يدحض مزاعمهم ويؤكد أن كلام الله غير مخلوق ٠

مسـأله : ثم يتناول فى مسألة هذا الزعم من جديد(٥٦٢) مستعينا بمـا ورد فى حديثه الرسـول صلى الله عليه وسـلم حين قـال ان الذراع قالت له (لا تأكلنى فانى مسمومة) فيكون قياسيا على رأيهم أن الكلام حل فى الذراع ويـكون الله قال : (لا تأكلنى فانى مسمومة) فاذا نفـوا ذلك فيجب أن ينفوا أيضا أن يكون كلام الله قد حل فى شجرة وبالتالى ينتهى الى أن كلام الله غير مخلوق ٠

مسألة ثانية : يعتمد فى هذه المسألة(٥٦٣) على ما ذكر من أن الله تعالى أنطق الذئب لمـا أخبر عن نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ٠ **وأنه اذا** كان يتكلم بكلام يخلقه فى غيره .كما كان فى الشجرة أيضا ـ طبقا لرأيهما وكلام الذئب معجز ٠ فيكون المخلوق فيه قـد قال (يا موسى انى أنا الله) وهو مرفوض من العقيدة ، وبالتالى فكلام الله قديم غير مخلوق ٠ وهو فى هـذه المسألة يعتمد على ما سبق وقدمه فى بعض أدلته ٠

مسألة ثالثة :يواجه ابو الحسن الخصوم فى هذه المسألة(٥٦٤) على اعتبار أنه لمـا قالوا بأن كلام الله مخلوق فمما يدريهم أن كل كلام مخلوق ليس كلام الله ، ثم يثبت ما يمكن أن يردوا به وهو ، أنهم تحدثوا عن الشجرة التى لا تتكلم أصلا ، فيجيبهم يجـوز أن يتكلم من ليس بحى اعتمادا على الآية الـكريمة) (قالتا : أتينـا طائعين) [ومن الآية ٤١/١١] يقصـد السموات والأرض ، وذلك لدحض رأيهم بأن الشجرة التى لم تكن حية قـد تكلمت بكلام مخلوق فيهـا ـ لأنه لو كان الأمر كذلك لمنع أن يخلق فيهـا لأن من يخلق فيه الكلام لا بد وأن يكون حيا ٠ فشرط الحياة غير ضرورى ليكون الكلام مخلوقا ـ وها هى السموات والأرض كالشجرة تتكلم لا بكلام مخلوق ٠ ولكن بكلام الله القديم غير المخلوق ٠

---

٥٦٢ ـ أنظر صفحة ٧٦ ، ٧٧ من النص ٠
٥٦٣ ـ أنظر صفحتى ٧٨ ، ٧٩ من النص ٠
٥٦٤ ـ أنظر صفحة ٨٠ من النص ٠

مسألة رابعة : فى هذه المسألة(٥٦٥) يقف عند الآية الكريمة : (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) · [(٣٨/٧٨] ليبين أنه لو كان الكلام مخلوقا لما كان لهذه الآية الكريمة معنى ، لأنه سيغنى كلام الله عن ابليس ويصير ابليس غير ملعون · وهو ما يخالف العقيدة وبالتالى فكلام الله غير مخلوق ·

مسألة خامسة : يتعرض(٥٦٦) فيها الأشعرى الى رأى الجهمية فى (غضب الله) و (رضاه) و (سخطه) وأنهم لم يقولوا عن هذا كله انه (مخلوق) بل أثبتوه غير مخلوق · فلم أثبتوا كلامه مخلوقا ؟ ؟

ويهدم بذلك قولهم أن كلام الله (مخلوق) ببيان عدم اتساق موقفهم من المفاهيم المنزلة ·

مسألة سادسة : يعتمد(٥٦٧) فيها على قول الله للأشياء (كن ؟ وأنهم يعترفون بعد مانقشة معهم ، أنه غير مخلوق ويطالبهم بأن يحكموا نفس الحكم على كلام الله كله بأنه غير مخلوق ·

مسألة سابعة : نقدم هذه المسألة على اعتراف(٥٦٨) الجهمية بأن ارادة الله لم تزل وبالتالى يكون كلامه أيضا لم يزل أى غير مخلوق ويعتمد هنا على مفهوم التفرقة بين أعدائه وأوليائه ·

مسألة ثامنة : فى هذه المسألة(٥٦٩) ينأى عن المفاهيم الايمانية المباشرة من أجل أن يبين أن الشيء المخلوق اما أن يكون بدنا أو شخصا أو نعتا · وكلام الله ليس واحدا من هذه ؛ فهو اذن غير مخلوق وان كان يعتمد على معانى ايمانية بالنسبة للكلام والعلم ·

مسألة تاسعة : وهذه هى المسألةالأخيرة فى الفصل وبها يختتم الكلام فى الباب وتقوم على ابراز ما يمكن أن يترتب من نتائج على قولهم (بخلق القرآن ؟ من أن يكون جسما أو نعتا لجسم وأن يجوزوا قلب القرآن انسانا أو جنيا أو شيطانا ـ مبينا بهذا بشاعة ما يمكن أن يترتب على ادعائهم بأن القرآن مخلوق · وبالتالى فهو ينبه الأذهان الى قيمة الأخذ بأن القرآن غير مخلوق) ·

---

٥٦٥ ـ نفس المرجع السابق ·
٥٦٦ ـ أنظر صفحة ٨٠ ، ٨١ من النص ·
٥٦٧ ـ أنظر صفحة ٨١ من النص ·
٥٦٨ ـ أنظر صفحة ٨٢ ، ٨٣ من النص ·
٥٦٩ ـ نفس المرجع السابق ·

٣ ـ باب فى ذكر الرواية فى القرآن :

يعرض الأشعرى فى هذا الباب(٥٧٠) ما دار بين ابى بكر والعباسى ابن عبد العظيم العنبرى وبين أحمد بن حنبل حول من يقول : القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق وكيف أنهم رأوا أن هؤلاء أضر من الجهمية على الناس · ووصفوا بأنهم أهل سوء ·

وقد حدث ابن حنبل عن رأيه مصرحا فى البداية أن القرآن غير مخلوق لا شك فى هذا ، وسرد بعض النصوص المنزلة مثل قوله تعالى : (ألا له الخلق والأمر) [من الآية ٥٤/٧] ·

وقوله : (الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان) [١ ، ٢ ، ٥٥/٣] من أجل بيان التفرقة بين الإنسان وبين القرآن ·

وأشار الى ما يترتب على القول بخلق القرآن بالنسبة لأسماء الله الحسنى وعلمه وقدرته ·

وأن من يقول بخلق القرآن : كافر ·

ثم يذكر الأشعرى رأى وكيع وهو أن من يقول بخلق القرآن (مرتد يستتاب وان تاب والا فقتل)(٥٧١) ·

وأورد الأشعرى أقوال من اتهموا أبا حنيفة رضى الله عنه بأنه قال بخلق القرآن ، وبرأ الإمام من هذه الفرية · ذاكرا أن (هذا كذب محض على أبى حنيفة رضى الله عنه) ·

ويذكر ابو الحسن ما استشهد به من اتهم أبا حنيفة ، من نصوص القرآن الكريم مثل قوله تعالى : لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) · [من الاية ٣/٧٧] ·

وقوله : (حتى يسمع كلام الله ؟ · [من الآية ٩/٦] ·

كما أورد حديثا للنبى صلى الله عليه وسلم · وهو ·

(ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان) وأثبت فضل القرآن ، وكثير من الآثار فى فضله ·

كما استشهد برأى كل من رأى أن القرآن غير مخلوق وصرح برأى من يرى أن من قال بأن القرآن مخلوق هم رعاع الناس ·

---

٥٧٠ ـ أنظر صفحة ٨٧ من النص ·
٥٧١ ـ أنظر صفحة ٩٠ من النص ·

ويختم الباب باثبات أن ما قدمه من حجاج يأتى على ما ادعاه الجهمية من باطل ويقول : (الحمد لله على قوة الحق حمدا كثيرا)(٥٧٢) ٠

٤ ـ باب الكلام على من توقف فى القرآن وقال لا أقول انه مخلوق ولا انه غير مخلوق :

ويثبت أنهم اعتمدوا فى هذا على أن الله لم يقل فى كتابه انه مخلوق أو غير مخلوق ولا قاله الرسول عليه الصلاة والسلام وأجمع المسلمون عليه(٥٧٣) ٠

ويرد عليهم بأنه لم يرد أيضا أن عليهم أن يتوقفوا ٠

ثم يقول : أنه ما كان يجب أن تزعموا أنه اذا لم تجدوه فيه أى فى القرآن أنه ليس بموجود فيه ٠

ثم يستدل بكل ما أورده من آيات وأحاديث ثم يقف عند مسائل خمس هى :

المسألة الأولى : عما ورد عن (اللوح المحفوظ(٥٧٤) ونجد أبا الحسن الأشعرى يؤكد ذلك لأنه ورد فى قوله تعالى : (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) [٢٢/٨٥] ٠

ويبين أن القرآن فى اللوح المحفوظ ، وفى صدور الذين أوتوا العلم ؛ فهو محفوظ فى مصاحفنا فى الحقيقة ، محفوظ فى صدورنا فى الحقيقة ، متلو بالسنتنا فى الحقيقة ، مسموع لنا فى الحقيقة ٠

المسألة الثانية : عن اللفظ بالقرآن ٠ فيبين أبو الحسن(٥٧٥؟ أن القرآن يقرأ فى الحقيقة ، ويتلى ولا يجوز أن يقال يلفظ به ، وعلى اعتبار أن العرب يستعملون لفظ (لفظت) بمعنى رميت ٠ وكلام الله لا يقال له ذلك وانما يقال : يقرأ ، ويتلى ، ويكتب ، ويحفظ ٠

كما اثبت أن بعض من يقول : يلفظ بالقرآن ، يعنى أنه مخلوق ٠ وبالتالى لا يجوز أن يقال ذلك ٠

---

٥٧٢ ـ أنظر صفحة ٩٥ من النص ٠
٥٧٣ ـ أنظر صفحة ٩٦ من النص ٠
٥٧٤ ـ أنظر صفحة ١٠٠ من النص ٠
٥٧٥ ـ أنظر صفحة ١٠١ من النص ٠

المسألة الثالثة : فى (الذكر) وما ورد عنه من أنه (محدث)(٥٧٦) وذلك من واقع قوله تعالى : (ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) [من الآية ٢١/٢]فبين الأشعرى أن المعنى هنا هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وليس كلام الله ويثبت عدة آيات يرد فيها لفظ (الذكر) للدلالة على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله تعالى : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) [٥١/٥٥] ويحرص على بيان أن الله تعالى لم يقل (انه لا يأتيهم ذكر الا كان محدثا ٠٠ وانما قال تعالى : انه (لا يأتيهم ذكر محدث الا استمعوه وهم يلعبون) ٠

وحديث الرسول ، منه ما هو منزل ومنه ، ما هو من كلامه العادى الذى لا يكون عن وحى ٠

المسألة الرابعة : يتعرض فى هذه المسألة الى من يقيس قوله تعالى : (وأنزلنا الحديد(٥٧٧) فيه بأس شديد) [من الآية ٥٧/٢٥] بنزول القرآن وأن الحديد مخلوق وبالتالى يكون القرآن مخلوقا فيثبت الأشعرى أن الله أنزل القرآن ، وهو ليس بمخلوق ٠ ثم يرد فيبين أن الحديد (جسم موات) والقرآن ليس كذلك ، وبالتالى الحديد مخلوق والقرآن ليس كذلك ٠

المسألة الخامسة : يثبت فيها (الاستعاذة(٥٧٨) وأن الله تعالى أمرنا بالاستعاذة ٠ (بكلمات الله التامات) ولم يأمرنا بالاستعاذة بمخلوق من من المخلوقات ـ فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق :

٥ ـ باب ذكر الاستواء على العرش :

نلاحظ أنه بالنسبة لمسألة الاستواء يبدأ بتخصيص مقدمة(٥٧٩) الباب لمجموعة النصوص المنزلة التى تؤكد أن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق به بلا كيف ٠ والنص الأول هو الآية الكريمة : (الرحمن على العرش استوى) [٢٠/٥] ٠

ثم يثبت (اليه يصعد الكلم الطيب) [من الآية ٣٥/١٠] وقوله تعالى : (بل رفعه الله اليه) [من الآية ٤/١٥٨] وغير هذه وتلك من الآيات الكريمة ٠

---

٥٧٦ ـ أنظر صفحة ١٠٢ من النص ٠
٥٧٧ ـ أنظر صفحة ١٠٣ من النص ٠
٥٨٧ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥٧٩ ـ أنظر صفحة ١٠٥ من النص ٠

التى بها أن السموات فوقها العرش • وأشار الى قوله تعالى وهو : (وجعل القمر فيهن نورا) [من الآية ٧١/١٦] لبيان أن القمر فيهن ولا يملؤهن جميعا • كما أشار الى أن الناس يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لأن الله تعالى مستو على العرش الذى هو فوق السموات •

ثم يبدأ فى الرد على المعتزلة وغيرهم من الخصوم •

فصـــل :

يبدأ هـذا الفصل باثبات رأى المعتزلة والجهمية والحرورية(٥٨٠) بالنسبة لمعنى الآية الكريمة (الرحمن على العرش استوى) [٥/٢٠] وهو أن (استوى) هنـا بمعنى (استولى) و (ملك) و (قهر) وأن الله تعالى فى كل مكان • وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه ، كمـا قال أهل الحق •

كما ذهبوا فى (الاستواء) الى (القدرة) •

ويرد عليهم الأشعرى بأنه لو كان الأمر كذلك لمـا كان هناك فرق بين العرش (والأرض السابعة) لأن الله قادر على كل شىء • وكذلك الأمر بالنسبة (للاستيلاء) فهو تعالى مستول على الأشياء كلها ، ولكان مستويا على الأرض والحشوش ••• الخ •

وهـذا المعنى الذى يؤدى اليه فهمهم للاستيلاء بجعله عاما فى الأشـياء كلها • وهو مالا يليق ولا يجوز أن يكون بالنسبة لله تعالى •

فالأشعرى يهاجم ما يؤدى اليه قول الخصوم من أن الله فى كل مكان • لأن هـذا خلاف الدين وأوجب أن يكون الاستواء مختصا بالعرش دون الأشياء كلهـــا •

ثم يخصص وقفة لمفهوم الكيف الذى ينتهى اليه الخصوم فى مسألة على حدة •

مسألة : يشرح فيها سوء تقدير الخصوم لمعنى (الاستواء) ويبين أن فهمهم هـذا لابد أن ينتهى بهم الى أن الله مثلا (تحت التحت ، والأشياء فوقه ، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته)(٥٨١) أى أنه تحت ما هو فوقه ، وفوق ما هو تحته ، (وهـذا هو المحـــال المتناقض ، تعـــالى الله عن ذلك علوا كبيرا)(٥٨٢) •

---

٥٨٠ ـ أنظر صفحة ١٠٨ من النص •
٥٨١ ـ أنظر صفحة ١٠٩ من النص •
٥٨٢ ـ نفسر المرجع السابق •

ثم ينتقل الى دليل آخر :

دليل آخر : يعتمد الأشعرى فى هذا الدليل على أحاديث(٥٨٣؟ للرسول صلى الله عليه وسلم ـ مثل (ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له حتى يطلع الفجر) ٠

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (اذا بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول : من ذا الذى يدعونى أستجيب له ؟ من ذا الذى يستكشف الضر فأكشفه عنه ؟ من ذا الذى يسترزقنى فأرزقه ، حتى ينفجر الفجر ؟ ٠

ويذكر أحاديث أخرى ٠ ثم يبين أن نزوله تعالى هو نزول يليق به من غير حركة وانتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٠

دليل ثان : يثبت فيه الأشعرى(٥٨٤) دلائل نصية من القرآن الكريم من أجل بيان أن الله فوق العرش فى السماء وليس فى الأرض ، ويشير الى أن الناس يجمعون على أن السماء غير الأرض مثل قوله تعالى :

(يخافون ربهم من فوقهم) [من الآية ١٦/٥٠] وهذا من أجل بيان أن الله تعالى منفرد بوحدانيته ، مستو على عرشه ٠

دليل ثالث : به آيات(٥٨٥) كريمة أنه تعالى فى السماء مثل :

(وجاء ربك والملك صفا صفا) [٨٩/٢٢] وقوله تعالى : (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ٠٠٠) الى قوله تعالى : (٠٠٠ لقد رأى من آيات ربه الكبرى) [٨ ـ ٥٣/١٨] والآيات التى بها أن الله تعالى رفع عيسى الى السماء ، واجماع أهل الإسلام على قول : (يا ساكن السماء) ومن خلفهم (لا والذى احتجب بسبع سموات) ٠

دليل رابع : فى هذا الدليل(٥٨٦) يشير الى الآية الكريمة : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، فيوحى

---

٥٨٣ ـ أنظر صفحة ١١١ من النص ٠
٥٨٤ ـ أنظر صفحة ١١٢ من النص ٠
٥٨٥ ـ أنظر صفحتى ٧٨ ، ٧٩ ، ١١٣ ٠
٥٨٦ ـ أنظر صفحة ٧٩ ، ١١٤ ٠

باذنه ما يشاء) [من الآية ٥١/٤٢] من أجل بيان أن الآية تخص البشر دون غيرهم من المخلوقات • توكيدا للوحى المنزل على البشر • وأن الله تعالى ليس فيهم ، أو هم فيه ابعاد لمعنى الحلول •

دليل خامس : فى هذا الدليل(٥٨٧) يؤكد الأشعرى أيضا ابعاد ما يمكن أن يتجه اليه العقل اذا ما اعتمد أقوال الخصوم من معنى الحلول • وذلك باثبات الدلائل النصية المنزلة التى منها قوله تعالى : (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) [من الآية ٦/٦٢] وقوله تعالى : (وعرضوا على ربك صفا) [١٨/٤٨] ويقول : (كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس فى خلقه ، ولا خلقه فيه ، وأنه مستو على عرشه سبحانه بلا كيف ولا استقرار ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا)(٥٨٨) •

ويبين بعد ذلك أن الخصوم بأقوالهم لم يثبتوا له حقيقة فى وصفهم له ، ولا أوجبوا له وحدانية ، وذلك لأن كلامهم ينتهى بهم الى التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفى ، ويقول : (يريدون بذلك التنزيه)(٥٨٩) ثم يستعيد من تنزيه يوجب النفى والتعطيل •

دليل سادس : يستهل الأشعرى هذا الدليل(٥٩٠) باثبات الآية الكريمة : (الله نور السموات والأرض) [٢٤/٣٥] لبيان أن الله نور يسمع ويرى ولكنه فوق أن يتصور بالعقل البشرى ، وساق الحديث الشريف) (تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى الله ، فان بين كرسيّه الى السماء ألف عام ، والله عز وجل فوق ذلك)(٥٩١) مؤكدا بذلك فوقيته •

دليل سابع : هو الدليل المبسط الذى يشرح فيه(٥٩٢) معنى الإيمان عن طريق ايراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأمة السوداء التى قالت عند سؤالها أن الله فى السماء وأن محمدا عبده ورسوله • فقال لسيدها : (أعتقها فانها مؤمنة) •

---

٥٨٧ ـ أنظر صفحة ١١٦ من النص •
٥٨٨ ـ نفس المرجع السابق •
٥٨٩ ـ نفس المرجع السابق •
٥٩٠ ـ نفس المرجع السابق •
٥٩١ ـ أنظر صفحة ١١٨ من النص •
٥٩٢ ـ أنظر صفحتى ١١٨ ، ١١٩ من النص •

ويثبت الأشعرى بهذا الدليل على أن الله على عرشه فوق السماء ٠

ونلاحظ أن الأشعرى فى باب الاستواء يقدم أدلة نصية من مصدرى العقيدة القرآن والسنة ٠ ويعتمد أيضا على الاجماع ٠

كما نلاحظ أنه ينهى الباب بمثال مبسط للفوقية وهو ما لم نلاحظه فى البابين السابقين خاصة الأول الخاص بالرؤية الذى ينتهى بأدلة تقوم على لطائف أمور التفسير ٠

٦ ـ باب الكلام فى الوجه والعينين والبصر واليدين :

يستهل الأشعرى على عادته فى هذا الباب باثبات الأدلة النصية القرآنية على ما يرد اثباته ، وهو الوجه والعينين والبصر ٠ أما اليدين فلم يثبت فى هذا المدخل نصوصا تؤكدهما ٠ وهو على العموم ما أثبته فيما بعد ٠

ومما أثبته قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) [من الآية ٨٨ / ٢٨] ٠

وقوله : (واصنع الفلك بأعيننا ووجهنا) [١١/٣٧] وقوله تعالى : (وكان الله سميعا بصيرا) [من الآية ٤/١٣٤] ، ثم يقول : فأخبر تعالى أن له وجها لا يفنى وعينا لا تكيف ولا تحد ، وسمعا وبصرا ورؤيته لكل شىء (٥٩٣) ٠

ثم يتعرض لقول الجهمية التى تبطل أن يكون له سمع وبصر وعين ٠ فى فصل تال لهذه المقدمة ٠

فصل :

يثبت الأشعرى أولا رأى الجهمية(٥٩٤) ، فى الوجه والسمع والبصر والعين الذى يقوم على نفيها جميعا ، ويقول انهم متأثرون فى موقفهم هذا بالنصارى التى لم تثبت الله سميعا بصيرا الا على سبيل أنه عالم ٠

فصل ثان :

ثم يخصص فصلا آخرا قصيرا لمواصلة بيان رأى الجهمية فى العلم

---

٥٩٣ ـ أنظر صفحة ١٢٠ ـ ١٢٢ من النص ٠
٥٩٤ ـ أنظر صفحة ١٢٢ من النص ٠

وغيره من الصفات ، ذلك الرأى الذى يتجه الى (تعطيل التوحيد ، والتكذيب بأسماء الله تعالى)(٥٩٥) ٠

ثم يقول : انهم (أعطوا ذلك لفظا ولم يحصلوا قولهم فى المعنى)(٥٩٦؟ وأنه لولا خوفهم لأفصحوا بأن الله غير سميع ، ولا بصير ، ولا عالم ، وأظهروا بذلك زندقتهم وهـذه من الفضائح التى يبينها الأشعرى عن المعتزلة ٠

فصـل ثالث :

يثبت الأشعرى ما انتهى اليه قول الجهمية من الحاد(٥٩٧) وذلك بالاشارة الى من يرى أن الله علم مثـلا أى أن العلم هو الله ويبدو قولهم أنه يهـدف الى التنزيه ، ولكن يعارض حقيقـة النصوص المنزلة فى اثبات الصفات ٠

ويبدو أن هذا الفصل قد تصرفت فيه يد الناسخ اذ نراه يثبت قول الشيخ الأشعرى الذى يستنكر قول الجهمية ويستهدى الله فى ابعاد هـذا الشر عن الناس ، والمفروض أن يستمر الكلام دون ذكر اسم الشيخ أبى الحسن ٠ وهذه كما أشرنا زلة ناسخ ٠ ثم يتعرض بعد ذلك الى مسائل أربعة :

المسألة الأولى : يؤكد فيها(٥٩٨) رأيه العقائدى فى الوجه وهو أنه يثبته لله سبحانه الوجه اعتمادا على نصه المنزل : (ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والإكرام) [٥٥/٢٧] ٠

المسألة الثانية : يؤكد فيها قوله بـ (اليدين) بلا كيف(٥٩٩) مستندا الى قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) [من الآية ٤٨/١٠] وقوله تعـالى : (ولـما خلقت بيدى) [من الآية ٣٨/٧٥] كمـا يستند فى اثبات اليد لله ا لىحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله مسح ظهر آدم بيده ٠٠٠)

ويستشهد ببعض الأخبار المـأثورة عن النبى صـلى الله عليه وسـلم (كمـا يعتمد على المشهور فى لسان العرب من أن اليـد ليست النعمـة) فى تركيبات اللغة طبقا لمـا ورد فيه النص فى آى الذكر الحكيم ٠

المسـألة الثالثة : يناقش فى هذه المسألة تفسـير أهل البـدع للفـظ (يدى) بـ (نعمتى) فقط ، فيبين أن هذا التفسير لا يقع عليه الباحث لا اجماعا

---

٥٩٥ ـ أنظر صفحة ١٢٣ من النص ٠
٥٩٦ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥٩٧ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥٩٨ ـ نفس المرجع السابق ٠
٥٩٩ ـ أنظر صفحة ١٢٥ من النص ٠

ولا لغـة ولم يتعرض الأشعرى الى ما يمكن أن يكون قـد وقعوا عليـه من (قياس) يسمح بأن يثبتوا أن لفظ (يدى) تعنى فقط (نعمتى) ٠

ثم يؤكد مبدأه فى التأويل الذى يحترم لسان العرب مستشهدا بالآيات الكريمة (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) [من الآية ١٤/٤] وقوله تعالى : (لسـان الذى يلحدون اليـه أعجمى ، وهـذا لسـان عربى مبين) [١٦/١٠٣] ، ثم قوله : (أفلا يتدبرون القرآن ([يشير الى أنه لو لم يكن بلسان العرب لـما أمكن أن يتدبروه ، ففهم العرب أساسا من من الأسس التى يجب أن تراعى عنـد التفسير ٠

المسألة الرابعة : يبين فى هـذه المسألة فساد(٦٠١) وتأويل (بيدى ؟ أى (بقدرتى) اعتمادا على تأويل (بأيد) فى قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) [من الآية ٥١/٤٧] على أنها (القوة) ذلك لأن (الأيد ؟ ليس (بجمع لليـد) ، لأن جمـع (يد) (أيدى) وجمـع (اليـد) التى هى النعمـة (أيادى) وأن المعنى هنـا (اليدين) فعلا لأن المناسبة هى بيان تفضيل الله آدم (على) (أبليس) بأنه خلقه بيديه ٠ وهو ما خصه به ، ولو كان المقصود (القدرة) لـما ظهر فضل آدم على (ابليس) لأن كل موجود قد وجـد بقدرته تعـالى ٠

فصـــل :

يتعرض الأشعرى فى هـذا الفصل(٦٠٢) الى ما فسر به الخصوم كلمـة (اليدين) من أجل اثبات (يدين) ليسـتا (جارحتين) ولا (قدرتين) ، ولا (نعمتين) ٠

ثم ينتهى ويقول : (انهمـا) : (يدان ليستا كالأيدى) ٠ خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التى سلفت)(٦٠٣) ٠

ثم يقف عنـد خمس مسائل :

المسألة الأولى : فى بيان أن (بيـدى) ليست بـ (نعمتى(٦٠٤) اعتمادا على نقطة فى مذاهب مخالفيه وهى أنه لو كان المقصود (نعمـة) لأمكن تفسير (نعمته) على أن تكون فى (الأبدان) أو فى عرض خلق فى بدن آدم ـ والأبدان

---

٦٠٠ ـ أنظر صفحتى ١٢٨ ، ١٢٩ من النص ٠
٦٠١ ـ أنظر صفحة ١٣٠ من النص ٠
٦٠٢ ـ أنظر صفحة ١٣٣ من النص ٠

عندهم جنس واحد ، الأمر الذى يجعل ما يحدث من نعمة فى جسم آدم يحصل فى جسم ابليس وبالتالى لا تعنى (يدى) ، (نعمتى) ٠

المسألة الثانية : لدحض اصرار الخصوم(٦٠٥) على أن تكون (بيدى) (بنعمتى) ويرجع فى هـذا الى الشاهد الذى يستدل به هؤلاء الخصـوم على أن المقصود اما نعمة أو جارحة٠فيبين لهم أنه لو كان الأمر كذلك ، لكان صاحب (اليدين) من دم ولحم وكان جسـما ، والله ليس كذلك تعالى سبحانه عن قولهم ٠

المسألة الثالثة : تدور حول بيان أن (الأيدى) ليست فى دلالتهـا (كاليدين) لأن هناك اجماع على أن الرجوع من قول (أيدى)(٦٠٦) الى (يدين) والقرآن لا يزول عن ظاهرة الا بحجة ووجدنا حجة أزلنا بها الأيدى عن الظاهر الى ظاهر آخر ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزول عنها الا بحجة ٠

المسألة الرابعة : يناقش فى هـذه المسألة قول من قال : لم تـكون (الأيدى ؟ (يدين) وليس (يدا) واحدة ٠

ويرد الأشعرى بأنه يركن هنـا الى الإجماع الذى يبطل القول (بأيدى) كثيرة ، كما يبطل القول بيد (واحدة) ٠

ثم يقول : (يدان لأن القرآن على ظاهره الا أن تقوم حجة بأن يـكون على خلاف الظاهر ٠

المسألة الخامسة : ينفى فيها الأخذ بالمجاز ٠ ويقول :

(حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته ولا يخرج الشىء عن ظاهره الى المجاز الا بحجة) ٠

ويشرح المطلوب وهو مثلا اذا كان الكلام على العموم فلا يزال عنـه والا جاز أن يدعى مدع أن ما ظاهره العموم ، فهو على الخصوص وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة ٠

---

٦٠٣ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٠٤ ـ أنظر صفحة ١٣٤ من النص ٠
٦٠٥ ـ أنظر صفحة ١٣٧ من النص ٠
٦٠٦ ـ نفس المرجع السابق ٠

وبهذا نرى الأشعرى قد دحض كل ادعاءات الخصوم فى فهمهم الخاص لصفات الله · وأثبت حقيقة العقيدة وهى على مذهب السلف الصالحين ·

٧ – باب على الجهمية فى نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته :

استهل الأشعرى الباب باثبات النصوص المنزلة فى العلم والقدرة ، وذكر أن (العلم) ورد فى خمسة مواضع من كتابه العزيز(٦٠٧) من قوله تعالى : (أنزله بعلمه) [من الآية ٤/١٦٦] وقوله : (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) [٢/٢٢٥] وفى القدرة ذكر : (ذو القوة المتين) [من الآية ٥١/٥٨] وغير هذه الآية وتلك مما يثبت (القوة) لله تعالى ·

ثم يتعرض فى فصلين وعدة مسائل الى ما دار حول هذه المسألة ·

فصل :

أثبت فى هذا الفصل مزاعم الجهمية من أن الله تعالى : لا علم له(٦٠٨) ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا سمع ، ولا بصر له · ثم يقول : وأرادو أن ينفوا أن الله عالم ، قادر ، حى ، سميع ، بصير ، لولا خوفهم من أظهار ذلك · فأتوا فقط بمعناه ·

وبهذا يكشف الأشعرى عن خفايا اتجاهات المعتزلة وأسلافهم الجهمية · ويقول أنهم أخذوا هذا عن أهل الزندقة والتعطيل · ولذلك نراهم يقولون انه تعالى : عالم ، قادر ··· من طريق التسمية ، من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع ··· الخ ·

ثم يقف عند بعض المسائل :

المسألة الأولى : تقوم على ابراز ما فى قولهم من أن الله عالم(٦٠٩) لا بعلم ، متكلم لا بكلام يناقض جملة قول المسلمين ويخرج عنها مبينا أن المسلمين أجمعوا قبل ظهور الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علما لم يزل ، ومن جحد ذلك فهو خارج عن اتفاقهم وأثبت أن علم الله لم يزل وهو سابق فى الأشياء · ثم أضاف ، ولا يمتنعون أن يقولوا (فى كل حادثة تحدث ، ونازلة تنزل)(٦١٠) فعلم الله عنده بالجزئيات وليس بالكليات فقط ·

---

٦٠٧ – أنظر صفحة ١٤١ من النص ·
٦٠٨ – أنظر صفحة ١٤٣ من النص ·
٦٠٩ – أنظر صفحة ١٤٤ من النص ·
٦١٠ – نفس المرجع السابق ·

المسألة الثانية : يثبت فيها الأشعرى العلم لله(٦١١) على أساس أنه اذا اعترف الخصم بأن الله مريد بلا ارادة ، وأنه لا مريد بلا ارادة فكذلك لا عالم بلا علم ٠

المسألة الثالثة : يرد فيها الأشعرى على تفرقتهم بين العلم(٦١٢) والكلام على أساس أن الله تعالى علم موسى وفرعون وكلم موسى ولم يكلم فرعون ٠ فيقول لهم اذا وجب أن يكون لله كلام كلم به موسى فلم لا يكون له علم ؟ وبهذا يثبت صفة العلم لمن يرى هذا الرأى ٠

المسألة الرابعة : تقوم على افحامهم برأيهم فى العلم الذى ينفونه(٦١٣) لأنه أعم من الكلام وقياسا على ذلك يقول الأشعرى بوجوب اثبات القدرة عندهم على أساس أن القدرة أخص أيضا من العلم ، لأنهم يقولون ان الله لا يخلق الكفر فهى أخص وبالتالى فلله القدرة ٠

المسألة الخامسة : تتناول هذه المسألة(٦١٤) تعبير المعتزلة ومن قبلهم الجهمية هو (عالم بلا علم) والقول بأن الكلام أخص من العلم ٠ وبالتالى فالكلام ثبت فلم لا يثبت العلم أيضا ٠

والأشعرى هنا يضيع الدليل بحيث يفحم الخصم افحاما ٠

المسألة السادسة : تقوم على نفس التعبير وهو (عالم بلا علم) ولكن هذه المرة يركن الى نصوص منزلة ؛ فاذا كان الخصم قد أثبت الله عالما لقوله تعالى : (انه بكل شىء عليم) [من الآية ٤٢/١٢] فلم لا يثبت له علما لقوله : (أنزله بعلمه) [من الآية ٤/١٦٦] ٠

ثم ازاء ردودهم القائمة على العقليات مثل :

(ان الله عالم ، لأنه صنع العالم على ما فيه من أثار الحكمة واتساق التدبير)(٦١٥) يقول لهم : فلم لا تثبتون لله علما بما ظهر فى العالم من حكمة وحسن تدبير أو كما يقول لهم (وآثار تدبير)(٦١٦) ٠ ثم يضيف :

---

٦١١ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦١٢ ـ أنظر صفحة ١٤٦ من النص ٠
٦١٣ ـ أنظر صفحة ١٤٧ من النص ٠
٦١٤ ـ أنظر صفحة ١٤٧ ، ١٤٨ من النص ٠
٦١٥ ـ أنظر صفحة ١٤٨ من النص ٠
٦١٦ ـ أنظر صفحة ١٤٩ من النص ٠

(لأن الصنائع الحكيمة لا تظهر الا من ذى علم ، كما لا تظهر الا من عالم) ٠ وكذلك بالمثل بالنسبة للقوة والقدرة ٠

المسألة السابعة : يبدأ فى هذه المسألة(٦١٧) أمر يثبتونه لله وهو أسماءه الحسنى ، من أجل أن يتدرج منه الى ما يبغى أن يعترفوا باثباته له سبحانه وهو العلم والقدرة ٠٠ الخ التى ينفونها رغم قولهم بأنه عالم ، قادر ٠٠ الخ اعتمادا على أن اسماء الله الحسنى والعلم والقدرة ٠٠ الخ كلها واردة فى كتابه تعالى ٠

المسألة الثامنة : يعتمد فيها على أنه لا يجوز أن(٦١٨) يعلم الله سبحانه نبيه (ص) مالا علم له به ٠ وبهذا يثبت العلم لله ٠ لأن الله تعالى علم نبيه الشرائع وغيرها ٠٠

المسألة التاسعة : يبدأ أيضا من مسألة يعترفون بها وهى : أن لعن الله للكافرين ولعن النبى للكافرين معنى (وبالتالى اذا علم الله للنبى) شيئا وكان للنبى علم ، (فلله تعالى علم)(٦١٩) ٠

والأمر بالمثل بالنسبة لغضبه ورضاه ٠٠ الخ ٠

المسألة العاشرة : يعتمد فيها الأشعرى على ما لمفهوم الاشتقاق(٦٢٠) اللغوى من أبعاد بالنسبة للأسماء الحسنى التى هى اما لإفادة معنى أو هى اللغوى من أبعاد بالنسبة للأسماء الحسنى ، التى هى اما لإفادة معنى أو هى على طريق التلقيب ، وأنه لا يصح أن يسمى الله تعالى على طريق التلقيب باسم ليس فيه افادة معنى أو ليس مشتقا من صفة ٠ وقد أجمع المسلمون على أنه ليس تلقيبا كزيد وعمرو ٠ وبالتالى وجب أن يكون مشتقا من (علم) وبهذا يثبت (العلم) ٠

المسألة الحادية عشر : يرجع الأشعرى فى هذه المسألة الى الأدلة(٦٢١) النصية المنزلة ليثبت للجهمية والمعتزلة والحرورية (أن لله علم) ٠ من خلال قوله تعالى عن علمه بالأشياء ، وعلمه بوضع كل حامل ، وحمل كل أنثى ٠ وبانزال كل ما أنزله ٠ وينهى المسألة بأن هذه الآيات توجب أن الله علما بالأشياء كما توجب حمده ٠

---

٦١٧ ــ نفس المرجع السابق ٠
٦١٨ ــ نفس المرجع السابق ٠
٦١٩ ــ أنظر صفحة ١٥٠ من النص ٠
٦٢٠ ــ أنظر صفحة ١٥١ من النص ٠
٦٢١ ــ أنظر صفحة ١٥٢ من النص ٠

المسألة الثانية عشر : يتخذ فى هذه المسألة مثلا مبسطا لعلم الله بالأشياء وهو (التفرقة بين أوليائه وأعدائه(٦٢٢) · وأنه مريد للايمان · من أجل ألا يملك الخصوم الرفض والا يكونوا من الجاحدين · للحق والحقيقة ، ويتدرج من اعترافهم بذلك الى اثبات علم الله وقدرته ·· الخ ، لأن التفرقة بين الأولياء والأعداء أمر فى مقدور الانسان أن يعلمه · فاذا لم يعترفوا لله به كان الانسان أعلى مرتبة ··· وبالتالى يثبت لله تعالى العلم والقدرة ··· الخ ·

المسألة الثالثة عشر : يعتمد فى هذه المسألة على حقيقة مبسطة أيضا وهى أن من لا علم له فهو جاهل(٦٢٣) ونفى العلم لله ينتهى الى أنه جاهل وهذا ما يتنافى مع العقيدة ، لأن الله تعالى ليس به جهل ولا نقصان وبالتالى يثبت لله سبحانه العلم ·

المسألة الرابعة عشر : يرجع هنا الى مفهوم ما تقتضيه(٦٢٤) الصنائع الحكمية من حنكة وعلم وأن الله سبحانه خلق العالم على نظام وترتيب ، وبالتالى فهو عالم وله علم ، والأمر بالمثل بالنسبة للقدرة والحياة السمع والبصر ·

المسألة الخامسة عشر : يرد فى هذه المسألة على من يزعم من المعتزلة أن قوله تعالى : (سميع بصير) أى عليم وذلك بأدلة سمعية(٦٢٥) مثل قوله تعالى : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) [من الآية ٥٨/١] وينتهى الى أنه لو كان الأمر على نحو ما يزعمون لكان قوله تعالى : (اننى معكما أسمع وأرى) [من الآية ٢٠/٤٦] تعنى اننى معكما أعلم وأعلم ·

وبهذا يؤكد الأشعرى الصفات ويثبتها مفندا أقاويل الخصوم بكل دقة وترتيب مع تمسك بأصول السلف من أهل السنة ·

فصل :

فى هذا الفصل الأخير ينقد الأشعرى موقف المعتزلة من صفات السمع(٦٢٦) وابصر على اعتبار أن (سميع) (بصير) ليست الا (عليم) ·

---

٦٢٢ ـ أنظر صفحة ١٥٤ من النص ·
٦٢٣ ـ أنظر صفحة ١٥٥ من النص ·
٦٢٤ ـ نفس المرجع السابق ·
٦٢٥ ـ أنظر صفحة ١٥٦ من النص ·
٦٢٦ ـ أنظر صفحة ١٥٧ من النص ·

ويبرز لهم فى نقده ما يؤدى اليه قولهم هذا من خلط بحيث يصير معنى سميع ، قادر ، ومعنى بصير قاهر ٠٠٠ الخ ٠

ومن هنا أوجب اثبات السمع والبصر والقدرة والعلم ، كل على حدة كما وردت بها نصوصه تعالى ٠

٨ ـ باب الكلام فى الإرادة

يتناول الأشعرى مسألة (الإرادة)(٦٢٧) للرد على من ينكرونها قديمة لله تعالى وهم المعتزلة وذلك من خلال اثنين وعشرين مسألة ٠

المسألة الأولى : وقد قال فى مستهلها انها على المعتزلة ٠ وأنه اذا كان المعتزلة ، خلافا للجهمية يعتقدون فى أن الله تعالى لم يزل عالما ، فلم لا يعترفون أيضا بأنه لم يزل قادرا ؟ والا تنفى أزلية العلم والقدرة أو تثبتان معا ٠ ثم يرد عليهم بنفس الحجة التى يستعملونها فى قبول أن العلم ما يزال ، وهى أنه لا يجوز أن تكون ارادة الله محدثة مخلوقة ، (لأن ذلك يقضى أن تكون حدثت عن ارادة أخرى)(٦٢٨) ٠ تماما كما رأوا ذلك فى العلم ، ويعتمد على نفس حجتهم أيضا وهى أنه لا يجوز ذلك لأنه لو كانت الإرادة مخلوقة للحق الله النقصان والأمر بالمثل بالنسبة للكلام أيضا ٠

المسألة الثانية : يرفض زعمهم بأن أكثر ما شاء الله(٦٢٩) لم يكن وأكثر ما لم يشاؤه كان مثل (الكفر والعصيان) لأن فى قبوله حجد لما أجمع عليه المسلمون ٠ من أن (ما شاء الله أن يكون كان ، وما لم يشاء لا يكون)(٦٣٠) ٠

المسألة الثالثة : تقوم على زعمهم أن ابليس شاء ، وكان ما شاءه ، لأن الكفر اكثر من الإيمان ، ويرفض الأشعرى هذا الزعم ، لأن ما شاءه الله كان ولأنه لو قبل زعمهم لصارت مشيئة ابليس أنفذ من مشيئة الله تعالى سبحانه عن (قول الظالمين علوا كبيرا)(٦٣١) ٠

المسألة الرابعة : تهاجم المعتزلة فى بقائهم على الاعتراف بالقدرة لإبليس على مذهبهم اذ قالوا : (أكثر ما شاء كان ، وأكثر ما كان فقد شاءه)

---

٦٢٧ ـ أنظر ص ١٥٨ ، ١٥٩ من النص ٠
٦٢٨ ـ أنظر ص ١٦١ من النص ٠
٦٢٩ ـ أنظر ص ١٦٢ من النص ٠
٦٣٠ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٣١ ـ أنظر صفحتى ١٦٣ ، ١٦٤ من النص ٠

ويؤكد الأشعرى أن هذه العبارة أليق بالله تعالى فهو القادر القهار ٠

المسألة الخامسة : يبرز فيها الأشعرى الأساس الذى يجب أن يكون له الأولوية للاعتراف بالالهية والسلطان : وهو (ألا يكون الا(٦٣٢) ما يعلم ، ولا يعـزب عن علمه شيء) من أجل افحامهم ، ويترك قولهـم عن أبليس ، ويؤكد الاعتراف بعلو شأن الله تعالى ٠

المسألة السادسة : يتناول فيها الأشعرى بيان ما وقع فيه المعتزلة من تناقض(٦٣٣) عندما يثبتون أن الله تعالى لا يريد المعاصى بالنسبة لأفعال العباد ٠ فى الوقت الذى يقولون فيه أنه يكون فى سلطانه تعالى مالا يريد ، لأن هذا يؤدى الى أنه كان فى سلطانه ما كرهه وهذه مهارة من الأشـعرى تدل على امتلاكه لنواصى الموقف المعتزلى أصلا ٠

المسألة السابعة : تتعلق هذه المسألة بأفعال العباد أيضـا لبيان فساد الأساس الذى أقام المعتزلة رأيهم عليه فيمـا يتعلق بأفعال العباد وهـو أنه : (لو فعلوا مالا يريد تعالى لكان فيه اكراه لله)(٦٣٤) تعالى سبحانه عن قولهم ٠

المسألة الثامنة : يعتمد فى هذه المسألة على نص منزل هو قوله تعالى : (فعال لمـا يريد)(٦٣٥) [ ] مبينا أن ما ذكره من أنه تعـالى يفعل ما لا يريد ، ويريد ما لا يكون لا يكون الا عن نقصان أو سهو وغفلة ، وهو مالا يجوز فى حق الله طالما أنهم قبلوا مضمون هذه الآية ٠

المسألة التاسعة : يواصل الأشعرى الهجوم على قول المعتزلة(٦٣٦) أن العباد تفعـل ما تريد مبينا متدرجا من مفهـوم اعترفوا به وهو : أنه لا يليق بالله تعالى أن يفعل مالا يعلم من أجل بيان أنه لا يليق به أيضا أن يكون من غيره مالا يريده ٠

المسألة العاشرة : ثم ينفى فى هذه المسألة ما ادعوه من أن (فى سلطانه تعالى(٦٣٧) مالا يريده)ولا يلحقـه التقصير اعتمـادا على فكرة ممـاثلة

---

٦٣٢ ـ أنظر ص ١٦٤ من النص ٠
٦٣٣ ـ أنظر صفحة ١٦٥ من النص ٠
٦٣٤ ـ أنظر صفحة ١٦٦ من النص ٠
٦٣٥ ـ أنظر صفحة ١٦٧ من النص ٠
٦٣٦ ـ أنظر صفحة ١٦٨ من النص ٠
٦٣٧ ـ أنظر صفحة ١٦٩ من النص ٠

ومقبولة منهم وهى : أن يكون (فى سلطانه مالا يعلم ، ولا يلحقه النقصان) • فيهدم بذلك ادعاءهم الخاسر •

المسألة الحادية عشر : يتعرض فيها الأشعرى ، بعد أن هدم ادعاءات الخصم ، الى توكيد رأيه أو رأى أهل السنة فى الإرادة وهو : ان الله مريد لكل كائن أن يكون ولكل مالا يكون ألا يكون)(٦٣٨) • اعتمادا على أنه لا يجوز أن يخلق مالا يريده •

المسألة الثانية عشر : يبين فيها الأشعرى أنه لا يجوز أن يكون فى (سلطان الله من اكتساب العباد مالا يريده)(٦٣٩) اعتمادا على أنه لا يجوز أن يقع من فعله ما لا يعلمه • (وأيضا) أن يكون ما لا يريده • (موضحا فى نهاية المسألة أنه) ، اذا كان الكفر مما يكون ، وقد علم ذلك ، فقد أراد أن يكون) •

المسألة الثالثة عشر : يبين فى هذه المسألة ، ارتباط العلم بالإرادة • من أجل رفض(٦٤٠) أن يريد ما هو على خلاف ما علم ، واثبات : أنه قد (أراد أن يكون ما علم كما علم) •

المسألة الرابعة عشر : يتعرض الأشعرى فى هذه المسألة الى بيان أن الله يريد ما يبدو قبيحا فاسدا(٦٤١) دون أن يكون سفيها ، اعتمادا على نص منزل وهو ما ورد فى قوله تعالى عندما أخبر عن ابن آدم وأخيه ، حيث يتبين أن من الأفعال ما قد يبدو قبيحا وهو فى حقيقته ليس كذلك وانما هو لحكمة يعلمها الله •

المسألة الخامسة عشر : تهدف الى نفس ما تهدف اليه المسألة السابقة ، وهو بيان أن ما يبدو قبيحا هو لحكمه ، معتمدا فى هذا على نص منزل آخر وهو قوله تعالى الذى(٦٤٢) يخبر فيه عن تفضيل يوسف عليه السلام ، السجن على ما يدعونه اليه النساء • فالسجن يبدو قبيحا وما يدعونه اليه قد يبدو حسنا ومع كل فيوسف بفضله وهو ليس على سفه فيما طلب •

المسألة السادسة عشر : يدافع فيها الأشعرى أيضا عن ابعاد القول

---

٦٣٨ ـ نفس المرجع السابق •
٦٣٩ ـ أنظر صفحة ١٧٠ من النص •
٦٤٠ ـ أنظر صفحة ١٧١ من النص •
٦٤١ ـ أنظر صفحتى ١٧١ ، ١٧٢ من النص •
٦٤٢ ـ أنظر صفحة ١٧٧ من النص •

بأن الله تعالى سفيه ، لمجرد الحكم عليه بعقولنا · معتمدا فى ذلك على مواقف ايمانية لحقيقة فهم النص المنزل مثل : أن الله تعالى (يرى منا حرم المسلمين)(٦٤٣) ولا يكون سفيها · والأشعرى يلجأ لمثل هذه الأمثلة للتبسيط ·

المسألة السابعة عشر : يبعد الأشعرى السفه عن الله لإثباته أنه مريد للكفر اعتمادا على حقائق من الشريعة وهى حد السفية ، الذى هو كذلك لأنه لم ينته عما عنه والله سبحانه وتعالى (ليس تحت شريعة ، ولا فوقه من يحد له الحدود ، ويرسم له الرسوم)(٦٤٤) · وبالتالى فلا يجوز أن ينسب الى السفه ·

المسألة الثامنة عشر : تعتمد ، من أجل ابعاد السفه عن الله ، على مثل من حياتنا وهو امكان التفريق بين العبيد(٦٤٥) والايماء ومع كل يتركوا فيزنوا ، وسيدهم ليس على سفه ، ثم يثبت أن الله كذلك ليس على سفه وهو مريد للسفه ·

المسألة التاسعة عشر : هذه المسألة مكملة للسابقة على اعتبار أن الأشعرى يبين نفس المثل بالنسبة للطاعة · فيقول : ان الله تعالى يريد الطاعة وليس مطيعا وكذلك يريد السفه وليس سفيها(٦٤٦) ·

المسألة العشرون : يرجع الأشعرى فى هذه المسألة الى نصوص(٦٤٧) منزلة · فهو يبين مدلول قوله تعالى : (ولو شاء الله ما اقتتلوا) [من الآية ٢/٢٥٣] لابراز أن الله يعلم بعلم ويشاء ما يقع وما لا يقع ، وبالمثل قوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) [من الآية ٦/٢٨] ·

المسألة الحادية والعشرون : فى هذه المسألة يتناول الأشعرى مفهوما دقيقا بالنسبة لحرية الانسان وهو أنه لو ثم الهدى عن طريق الإيحاء(٦٤٨) لما كان نافعا لهم ، وهو فيما يقدم يتدرج مع الخصم مما قبله الى ما ثم يقبله بعد ليضطره الى قبوله ·

---

٦٤٣ ـ نفس المرجع السابق ·
٦٤٤ ـ أنظر صفحة ١٧٣ من النص ·
٦٤٥ ـ نفس المرجع السابق ·
٦٤٦ ـ أنظر صفحة ١٧٤ من النص ·
٦٤٧ ـ نفس المرجع السابق ·
٦٤٨ ـ أنظر صفحات ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ من النص ·

المسألة الثانية والعشرون : يبين الأشعرى فى هذه المسألة أن الله قد أراد ألا يكون الناسَ على حال واحدة معتمدا على بعض النصوص المنزلة مثل قوله تعالى : (لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض)(٦٤٩) [من الآية ٢٧/٤٢] وقوله : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجلعنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) ٠ [من الآية ٣٣/٤٣] ولهذا يؤكد الأشعرى الإرادة لله تعالى ٠ ارادة قديمة غير مخلوقة ، والله سبحانه يعلم ما يريده جميعا(٦٥٠) ٠

٩ ـ باب الكلام فى تقدير أعمال العباد والاستطاعة (والتعديل والتجويز)

يبدأ هذا الباب بمدخل موجه للقدرية(٦٥١) يعرض فيه المشكلة ٠ وهو اذا قبلوا أن الله لا يعلم عباده شيئا لا يعلمه ، فكذلك ، لا يقدرهم على شىء الا وهو عليه قادر ولذلك فهو قادر على أن يخلق لهم الكفر فاسدا متناقضا أو باطلا ٠ واستشهد بالآية الكريمة : (فعال لما يريد) [من الآية ١١/١٠٧] ثم يعرض ردوده على الخصوم فى أربعين مسألة ٠

المسألة الأولى : يستهلها الأشعرى باثبات أنها عليهم ، أى على القدرية فى اللطف)(٦٥٢)يبين فيها أنه تعالى قادر على أن يخلق لطفا لو فعله لآمن الناس اجمعين اعتمادا على ما سبق وبينه من أنه تعالى قادر على أن يخلق فيهم الكفر عندما استشهد بنصين منزلين وهما قوله تعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) [من الآية ٢٧/٤٢] وقوله : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) [من الآية ٣٣/٤٣] ٠

المسألة الثانية : فى بيان أن الله تعالى فضل المؤمنين على(٦٥٣) الكافرين واختصهم بالنعم والتوفيق والتسديد معتمدا على قوله تعالى : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) [من الآية ٤/٨٣] وقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) [من الآية ٢١/ ٢٤] وذكر نصوصا منزلة أخرى ٠ من أجل تنبيه ذهن الخصم لفضل الله على

---

٦٤٩ ـ أنظر صفحة ١٧٧ من النص ٠
٦٥٠ ـ أنظر صفحة ١٧٨ من النص ٠
٦٥١ ـ أنظر صفحة ١٧٩ من النص ٠
٦٥٢ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٥٣ ـ أنظر صفحة ١٨٠ من النص ٠

المؤمنين فيمـا يبين أن الله يريد ما يكون . بالنسبة لمـا يحدث للؤمن بالنسبة لمـا يحدث للكافر ..

المسألة الثالثة : وهى فى الاستطاعة ويبين الأشعرى أن (الإيمان) نعمة من الله وفضل واحسان ، ويراجعهم أى الخصوم فى أنهم أنكروا أن (يكون توفيقا وتسديدا)(٦٥٤) ويشير الى أن الكافرين لو كانوا قادرين على الإيمان لكانوا ممدوحين ، من هنا يكون الله قد اختص بالقدرة على الإيمان المؤمنين) .

المسألة الرابعة : يشرح فيها الأشعرى أن هناك رغبة من قبل الفرد فى أن يقدره الله على الإيمان أو يقدره على الـكفر والمؤمنون يرغبون الى الله تعـالى فى قدرة الإيمان ، ويزهدون فى قدرة الكفر ثم يقول : (... فعلمنا أن الذى رغبوا فيه غير الذى زهدوا فيه)(٦٥٥) .

المسألة الخامسة : يثبت فيها الأشعرى أن قوة الإيمان فضـل من الله وبالتالى فللمتفضل أن ينعم أو يمسك ذاكرا أن هـذا (هو الفرق بين الفضل والاستحقاق)(٦٥٦) .

ثم يصرح بأن هذا هو قولنا ومذهبنا)(٦٥٧) .

المسألة السادسة : يبين الأشعرى فى هذه المسـألة أن الله قادر على أن يوفق الكافرين حتى يكونوا مؤمنين ويقول : (ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا وتركوا قولهم وقالوا بالحق)(٦٥٨) .

المسألة السابعة : يفسر فى هذه المسألة معنى قوله تعالى : (وما الله يريد ظلما للعباد)(٦٥٩) [من الآية ٣١/٤٠] .

ويبين أن المقصود هو أنه تعالى لا يريد ظلما للعباد ، وان كان أراد ظلم بعضهم بعضا .

المسألة الثامنة : يتعرض فى هذه المسألة الى ما اثاره الخصوم من أن الكفر(٦٦٠) متفاوت وذلك من واقع قوله تعالى : (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت [من الآية ٣/٦٧] فيتبين الأشعرى أن التفاوت فى هـذه الآية لا يتعلق بالكفر

---

٦٥٤ ـ أنظر صفحة ١٨١ من النص .
٦٥٥ ـ أنظر صفحة ١٨٢ من النص .
٦٥٦ ـ أنظر صفحة ١٨٣ من النص .
٦٥٧ ـ نفس المرجع السابق .

ولكن بالسموات ، وتلا الآيات التالية لقوله تعالى حيث ورد لفظ التفاوت ٠

ولهـذا يذكر بضرورة الاهتمام بحسن تدبر المعنى المقصود فى النصوص المنزلة ٠

المسألة التاسعة : يواصل الأشعرى فى هـذا المسـألة بيان فساد قول الخصوم فيما يتعلق بتخصيص الله للمؤمنين بالنعمة(٦٦١) وذلك بمثال مبسط يقوم على المقارنة بين (أبى بكر الصديق) وبين (أبى جهل) ابتداء ٠ مبينا أنه لو قالوا بأن الله خص أبا بكر لكانوا على مذهبه ولو قالوا انه لم يخصـه ابتداء لبقوا متسقين مع قولهم ٠ وهو ما لا يقبله ٠

المسألة العاشرة : يرد فى هـذه المسألة على كيفية فهم الخصوم للآية الكريمة :

(وما خلقنا السموات والأرض ، وما بينهما باطلا) [من الآية ٣٨/٢٧] على أن الله لم يخلق الباطل(٦٦٢) ٠ فبين لهم الأشعرى معنى أن الله تعالى لا يسوى بين المؤمنين والكفار ٠ ولا يود أن يكون سبيلهم سبيلا واحدا ٠ وذلك ردا على الكفار الذين أنكروا الحشر والنشور والاعادة ٠

المسألة الحادية عشر : وفيما يصحح(٦٦٣) الأشعرى فهم الخصوم للآية الكريمة (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) [٤/٧٩] باثبات آية أخرى وهى : (قل كل من عنـد الله ٠ فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) [من الآية ٤/٧٨] ٠

المسألة الثانية عشر : يشرح فى هـذه المسألة قوله تعالى : (ما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون) [٥١/٥٦] فيبين أنه عنى هنا المؤمنين دون الكافرين لأنه أخبرنا ذرأ لجهنم كثيرين من خلقه ، وهم الكفار ، وينهى المسألة باثبات (أن الذين خلقهم لجهنم ٠٠٠ غير الذين خلقهم لعبادته)(٦٦٤) ٠

المسألة الثالثة عشر : وهى فى التكليف يبين الأشعرى أن الله كلف(٦٦٥)

---

٦٥٨ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٥٩ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٦٠ ـ أنظر صفحة ١٨٤ من النص ٠
٦٦١ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٦٢ ـ أنظر صفحة ١٨٥ من النص ٠
٦٦٣ ـ أنظر صفحة ١٨٦ من النص ٠
٦٦٤ ـ أنظر صفحة ١٨٧ من النص ٠

الكافرين أن يسمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا به ولكنهم : (ما كانوا يستطيعون السمع) [من الآية ١١/٢٠] وقال أيضا : (وكانوا لا يستطيعون سمعا) [من الآية ١٨/١٠١] ٠

المسألة الرابعة عشر : يبطل الأشعرى فى هـذه المسألة قول القدرية(٦٦٦) وهو أنه يجب على الله تعالى اذا أمر أن يقدر(٦٦٧) الكل على التنفيذ ٠ معتمدا فى ذلك على الآية الـكريمة : (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السـجود فلا يسـتطيعون) [٦٨/٤٢] وعلى ما ورد من خبـر : أن المنافقين تـكون أصلابهم كالصياصى ٠٠٠ الخ ٠

المسألة الخامسة عشر : وهى فى ايلام الأطفال(٦٦٨) : يبين فى هذه المسألة أن ايلام الأطفال واقع فى الدنيا ـ وبالتالى فليس هنـاك ما يمنع من وقوعه فى الآخرة ، على اعتبار أن فى هـذا عبرة للآباء ٠ ثم يستشهد بقوله صلى الله عليه وسلم : (ان شئت أسمعتك ضغاءهم فى النار ٠

المسألة السادسة عشر : يبين فى هذه المسألة نفس ما بينه بنصوص منزلة أخرى وهو أن الله يأمر بالإيمـان(٦٦٩) ، ثم هو صادق فى أن يخبر عمن لا يؤمن ٠ ويذكر قوله تعالى : (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنـه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب ٠٠٠) الى آخر السورة ويثبت أن الله مع ذلك أمره بالإيمان ٠

المسألة السابعة عشر : يذكر الأشعرى ما انتهى اليه فى المسألة السابقة وغيرها من أن الله أمر بالإيمان من علم أنه لا يؤمن ، ثم يتخذ الخصم كمثال ويطلق عليه ما انتهى اليه معهم ٠ فان قالوا : لا (٦٧٠) فهم قد عرفوا مذهبـه وان قالوا : نعم زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله ٠ تعالى الله عن قولهم ٠

المسألة الثامنة عشر : يبين فيهـا الأشعرى لمـاذا قيل عن القدرية(٦٧١)

---

٦٦٥ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٦٦ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٦٧ ـ أنظر صفحة ١٨٧ من النص ٠
٦٦٨ ـ أنظر صفحة ١٨٨ من النص ٠
٦٦٩ ـ أنظر صفحة ١٨٩ من النص ٠
٦٧٠ ـ نفس المرجع السابق ٠
٦٧١ ـ أنظر صفحة ١٩٠ من النص ٠

انهم (مجوس هـذه الأمة) . وهو قول الرسول عليـه الصلاة والسلام عنهم . ذلك أن المجوس أثبتوا أن الشـيطان يقدر على الشر الذى لا يقـدر عليـه الله عز وجل فكانوا بهـذا كافرين ، والقدرية زعموا أن الكافرين يقدرون على الكفر والله لا يقدر عليه وهـذا قول وجهه الأشعرى الى المعتزلة .

المسألة التاسعة عشر : يتنـاول فيهـا توضـيح مضمون تسـميه القدرية(٦٧٢) .

فيذكر الأشعرى أن القدرى هو الذى يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل بمعنى أنه هو الذى يقدر أفعاله دون خالقه ويدعم قوله هـذا بأدلة من اللغـة فيقول : (لأن الصائغ من زعم أنه يصوغ دون من يزعم أنه يصاغ له . والنجار هو من يضيف النجارة الى نفسه دون من يزعم أنه ينجر له) .

المسألة العشرون : يدافع فى هذه المسألة عمـا بينه فى المسألة السابقة عن تسمية (القدرية) ذاكرا أنه اذا كان من أثبت(٦٧٣) التقدير لله هو القدرى كانوا هم قدرية بمعنى أنهم يعترفون بأن الله قدر السـموات والأرض وقدر الطاعات .. وهم ليسوا كذلك وهم قدرية بالمعنى الذى بينه أعلاه .

المسألة الحادية والعشرون : وهى فى الختم(٦٧٤) ويبين فيها الأشعرى . معنى قوله تعالى : (وختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم . وعلى أبصـارهم غشاوة) [من الآية ٢/٧] وهو أن هؤلاء هم الذين أضلهم وأن الذين هداهم ليسوا هم الذين ختم الله على قلوبهم . مبينا من جهة أخرى أنه لا يجوز أن يجتمع الهدى والضلال وقد استشهدوا بعـدة نصـوص منزلة من أقواله عز وجل .

المسألة الثانية والعشرون : يستشهد فى هـذه المسألة بعـدة نصوص منزلة من أجل توكيد موقفه من الاستطاعة ودحض مختلف مزاعم الخصوم . لكى يتركوا القول بالقدر لأنفسهم(٦٧٥) . ومما أثبته قوله تعالى : ولقد همت به وهمّ بهـا لولا أن رأى برهان ربه) [من الآية ١٢/٢٤] وقوله تعـالى : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) [١٧/٧٤] .

المسألة الثالثة والعشرون : وهى فى الاستثناء : يبين الأشعرى فى هذه

---

٦٧٢ ـ نفس المرجع السابق .
٦٧٣ ـ أنظر صفحة ١٩١ من النص .
٦٧٤ ـ نفس المرجع السابق .
٦٧٥ ـ أنظر صفحة ١٩٣ من النص .

المسألة(٦٧٦) أن الله يشاء أن يكون فى مقدور الإنسان أن يحنث مثلا ولم ينفذ .

المسألة الرابعة والعشرون : وهى فى الآجال(٦٧٧) : يبين فيها أن الإنسان اذا ما قتل ظلما فقد قتل بأجله وليس فى أجله ، وأن من يرى غير ذلك فهو قائل بالقدر ، وقد استهل المسألة بقوله تعالى : (واذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [من الآية ١٦/٦١] .

المسألة الخامسة والعشرون : يوضح الأشعرى فى هذه المسألة أن أهل القدر لو بقوا على رأيهم وهو المقدرة على قطع الآجال(٦٧٨) وتقديمها وتأخيرها فان ذلك يؤدى الى أنه يكون فى مقدور الإنسان أيضا أن يبقى الأرواح ويخرجها وهذا الحاد .

المسألة السادسة والعشرون : وهى فى الأرزاق (٦٧٩) : وتقوم المسألة على أن كل ما يأتى الناس فهو من الله واتخذ الأشعرى مثل ما هو حرام من أجل أن يبين أنه لو قيل انه ليس من الله فمعنى هذا أن هناك اقرار بأن للخلق رازقين وأن الناس تشتد أجسامهم بغير الله ، وهذا أيضا كفر عظيم فالله رازق كل شىء أما كونه حرام فهذا ما سيحاسب عليه مرتكب الحرام .

المسألة السابعة والعشرون : يواصل فيها الأشعرى ما يمكن أن يعترض(٦٨٠) به معترض على أن الله يرزق الحرام على اعتبار أنه لا يملك الحرام وفى تقديرى أن المقصود هنا أن الحرام لا يدوم مهما طال أمد بقائه . وأن الله يرزق الحرام ويتغذى به الإنسان ويشتد به جسده وكيانه لأنه من ناحية أنه رزق فهو من عند الله ويعتمد على أمثلة متعددة مثل لبن الأم ولبن البهيمة الذى هو رزق وليس من الضرورى أن يكون عن ملك .

المسألة الثامنة والعشرون : يبين فيها الأشعرى رأيه فى أنه من تاركى(٦٨١) القول بالقدر فيعرض لمسألة توفيق المؤمنين وكفر أو عصيان الكافرين بقدرة الله تعالى ويقف عند من يرى أن الله لم يخلق الخذلان فى الكافرين

---

٦٧٦ ـ أنظر صفحة ١٩٤ من النص .
٦٧٧ ـ أنظر صفحة ١٩٥ من النص .
٦٧٨ ـ نفس المرجع السابق .
٦٧٩ ـ أنظر صفحة ١٩٦ من النص .
٦٨٠ ـ أنظر صفحة ١٩٧ من النص .
٦٨١ ـ نفس المرجع السابق .

ليبين أنه لابد أن يكون الأمر كذلك والا يلزمهم أيضا أن يكون قد خذل المؤمنين وهـذا خروج عن الدين ٠

المسألة التاسعة والعشرون : تقوم هـذه المسألة على بيان ادعاء المعتزلة أن من الخير منه ، فهو خير ، ومن الشر منه فهـو شر من الشر ٠ وبالتالى لا يجوز أن يقال ان الشر من الله ، ويرد الأشعرى فيبين أن الله ليس شرا لأنه يكون منه الشر خلقا وهو عادل)(٦٨٢) وأن (ابليس) الذى هو شر من الشر هو من خلق الله تعالى ٠

المسألة الثلاثون : وهى فى الهدى : يبين فى هـذه المسألة أنه لو ادعى الخصـم أن عمى(٦٨٣) الكافرين ليس من خلق الله كان يجب أيضا أن هدى المتقين ليس من خلق الله لأن الهـدى) و (العمى) مثبت فى النص المنزل فى قوله تعالى : (الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هـدى للمتقين) [٢/٢] وقوله تعالى : (والذين لا يؤمنون بالآخرة فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) [من الآية ٤٤/٤١] ٠

المسألة الواحدة والثلاثون : يتبين الأشـعرى فى هذه المسـألة خطأ ما يجوزه الخصوم وهو أن دعاء الله هدى لمن قبل ولمن(٦٨٤) لم يقبـل ٠ ذلك لأنه لو كان الأمر كذلك ، لكان دعاء ابليس الى الكفر لمن قبـل ولمن لم يقبل أى للكافر والمؤمن ٠ فاذا اقتنعوا بذلك كان لا بد وأن يقبلوا أن دعاء الله الى الايمان هدى لمن قبل أى للمؤمن ، ويكونوا بذلك تركوا القبول بالقدر ٠

المسألة الثانية والثلاثون : يعتمد الأشعرى فى هـذه المسألة على قوله تعالى : (يضل به كثيرا ، ويهدى به كثيرا) [من الآية ٢/٢٦] فلو كان يعنى سبحانه أنه(٦٨٥) يضل الكل ، أو يهدى الكل ، لقال ذلك ٠ وأخبر عنه ؛ وهذا يبطل أن الله يهدى الخلق أجمعين ٠

المسألة الثالثة والثلاثون : يقف فيها الأشـعرى عند نفس المسـألة ويبين أنهم لو قالوا بأن دعاء الله الى الإيمان هدى للكافرين لكان هذا معناه (أن الله سدد الكافرين ، وأصلحهم ، وعصمهم ووفقهم للإيمان ، وان كانوا

---

٦٨٢ ـ أنظر صفحة ١٩٨ من النص ٠
٦٨٣ ـ أنظر صفحة ١٩٩ من النص ٠
٦٨٤ ـ أنظر صفحة ٢٠٠ من النص ٠
٦٨٥ ـ نفس المرجع السابق ٠

كافرين)(٦٨٦) أى مخذولين • فكيف يكونون مخذولين وموفقين للإيمان فى نفس الوقت •

المسألة الرابعة والثلاثون : يواصل فى هذه المسألة دحض نفس الفكرة المعتزلية عن (أن دعاء الله هدى للضالين) • فيبين أنه تعالى أضلهم عن الإيمان ، وليس عن الكفر ، ثم يتعرض لما يمكن أن يعترضوا به تهربا من هجومه وهو أن الله أضلهم ولم يضلهم عن شىء فيقول : ان هذا يماثل أن يقال : ان الله يهدى المؤمنين لا الى الإيمان(٦٨٧) •

المسألة الخامسة والثلاثون : يثبت فيها الأشعرى أن الله يضل الظالمين(٦٨٨) وليس فقط أنه سمى الظالمين بأنهم ضالين • ويلاحظ أنه لو كان فقط سماهم كان معنى هذا أن ضلالهم من فعلهم وهو ما يود أن ينفيه ويعتمد على قوله تعالى : (ويضل الله الظالمين) [من الآية ١٤/٢٧] وينبه الى مدلول اللفظ (يضل) فى العربية وأن الله خاطب العرب بلسانهم •

المسألة السادسة والثلاثون : يتناول فى هذه المسألة نفس الإدعاء(٦٨٩) وهو أن (أضلهم) أى (سماهم ضالين) فيبين أنه اذا كان كذلك طبقا لرأى الخصم فمعنى هذا أن اللفظ اسم وحكم وأن النبى صلى الله عليه وسلم اذا اطلق اللفظ على قوم فهو قد أفسدهم وأضلهم بأن سماهم كذلك •

المسألة السابعة والثلاثون : يدرج الأشعرى فى هذه المسألة النصوص المنزلة التى تؤكد خطأ ادعاء الخصم عندما يثبت هدى الكافرين مع(٦٩٠) اخباره أنه لا يهديهم • ومن النصوص التى ذكرها قوله تعالى : (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) [من الآية ١٨/١٧] وقوله تعالى : (لا يهدى القوم الكافرين) [من الأية ٢/٢٦٤] وقوله (انك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء) [من الآية ٢٨/٥٦] وغير هذه وتلك من الآيات التى ألزمهم الأشعرى بها •

المسألة الثامنة والثلاثون : يبدأ هذه المسألة بقوله تعالى : (أفرأيت

---

٦٨٦ ـ أنظر صفحة ٢٠١ من النص •
٦٨٧ ـ أنظر صفحة ٢٠٢ من النص •
٦٨٨ ـ نفس المرجع السابق •
٦٨٩ ـ أنظر صفحة ٢٠٣ من النص •
٦٩٠ ـ أنظر صفحة ٢٠٤ من النص •

من اتخذ الهه هواه ، واضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) [من الآية ٢٣/٤٥] .

واعتمادا على هذا النص المنزل يبين لهم أن الله لا يهدى المؤمنين ليضلهم وبالتالى لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا(٦٩١) .

المسألة التاسعة والثلاثون : يبرز الأشعرى فى هذه المسألة ما يترتب على ادعاء الخصوم أن الله تعالى (هدى الكافرين فلم يهتدوا)(٦٩٢) من أن كل ما يفعله لهم لا يتم مثل : (أن ينفعهم فلا ينتفعوا .. وأن يصلحهم فلا ينصلحوا .. وبالتالى عليهم أن يقبلوا ما سبق وأنكروه من أنه يضر من يلحقه الضرر . ولا يهدى من ليس مهتديا .

المسألة الأربعون : يعتمد فيها الأشعرى على قوله تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات ..) [من الآية ٢/١٨٥] ليبين سوء فهم الخصم ، الذى فهم أن القرآن(٦٩٣) هدى للكافرين والمؤمنين ، فقد وردت الآية خاصة وهى (للمتقين) وبالتالى فقوله تعالى : (هدى للناس) أراد به الله المؤمنين دون الكافرين .

المسألة الواحدة والأربعون : ذكر الأشعرى فى هذه المسألة نصوصا منزلة مثل قوله تعالى : (انما ينذر من اتبع الذكر) . من الآية ٣٦/١١] وقوله (انما انت منذر من يخشاها) [٧٩/٤٥] وهى النصوص التى فهمها الخصوم على أنها لمن اتبع الذكر ومن لم يتبع ومن خشى الساعة(٦٩٤) ومن لم يخشاها . على اعتبار أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد أنذر الجميع ويرد الأشعرى فيبين معنى قوله تعالى فى كل آية من آياته تعالى التى استشهدوا بها ثم يورد من أقواله تعالى ما كان فيه انذار للكافرين مثل : (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم تنذرهم لا يؤمنون) . [٢/٦] وقوله تعالى : (أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) . [من الآية ١٤/١٣] من أجل بيان انذار الكافرين وانذار المتقين . وأن القرآن هدى للمتقين .

المسألة الثانية والأربعون : ثم يرد الأشعرى فى هذه المسألة الأخيرة على من يفهم قوله تعالى : (فأما ثمود فهد يناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى) .

---

٦٩١ ـ أنظر صفحة ٢٠٦ من النص .
٦٩٢ ـ نفس المرجع السابق .
٦٩٣ ـ نفس المرجع السابق .
٦٩٤ ـ أنظر صفحة ٢٠٧ من النص .

[من الآية ٤١/١٧] على أن الله قد هدى ثمود(٦٩٥) ، فيبين لأصحاب هذا الرأى أن هذه الآية (على وجهين) كما قال الأشعرى احدهما أن من ثمود من اهتدى ومنهم من لم يهتد ، وذكر قوله تعالى الذى يبين أن المهتدين نجوا مع صالح عليه السلام وهو : (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) [من الآية ١١/٦٦] والثانى أنه تعالى عنى قوما من ثمود ارتدوا بعد أن أهتدوا وكانوا فى حال ما هداهم مؤمنون . ثم يرد على اعتراضهم القائم على أنه لا يجوز (أن يقول فهديناهم) ويعنى المؤمنين من ثمود ، ويقول : (فاستحبوا) ويعنى الكافرين منهم وهم غير مؤمنين(٦٩٦) فيقول : ان هذا جائز فى اللغة التى ورد بها القرآن الكريم ويقدم أدلة لبيان جواز ذلك فى لغة القرآن مثل : (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) [من الآية ٨/٣٣] وقوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون . [من الآية ٨/٣٣] . فالله سبحانه وتعالى يعنى فى الأولى الكافرين وفى الثانية المؤمنين أى أنه اثبت مبدأ لأهل اللغة وهو (لا خلاف عند أهل اللغة فى جواز الخطاب بهذا ، أن يكون ظاهره لجنس ، والمراد به جنسان) . وبهذا يؤكد أن الهدى للمتقين ، وأن الضلال للكافرين .

١٠ ـ باب ذكر الروايات فى القدر

يذكر الأشعرى فى هذا الباب أحاديث الرسول عليه السلام ، التى تثبت أن الله قد كتب على الانسان (أجله ورزقه ، وعمله وشقى أو سعيد)(٦٩٧) .

كما أورد آيات فى اثبات علمه تعالى بالجزئيات منها : (وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس الا فى كتاب مبين) [من الآية ٦/٥٩] .

وقوله : (أحصاه الله ونسوه) [من الآية ٥٨/٦] .

وغير ذلك من أقواله تعالى التى تثبت أنه يعلم الأشياء كلها : (وقد أخبر الله تعالى أن الخلق يبعثون ويحشرون ، وأن الكافرين فى النار يخلدون ، وأن الأنبياء والمؤمنين فى الجنان يخلدون ، وأن القيامة تقوم ولم تقم بعد)(٦٦٨) .

---

٦٩٥ ـ أنظر صفحة ٢٠٨ من النص .
٦٩٦ ـ أنظر صفحة ٢٠٩ من النص .
٦٩٧ ـ أنظر صفحة ٢١٠ من النص .
٦٩٨ ـ أنظر صفحة ٢١١ من النص .

ثم يرجع الى الأحاديث النبوية الشريفة ومنها ما سبق وذكره وهو عن كتابة الأجل والرزق والعمل ... الخ .

غير أنه فى هذه المراجع يروى حديثا يحث على العمل مثل قوله عليه الصلاة والسلام (.. اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له) . [رواه البخارى : قدر] .

ثم استشهد بقوله تعالى :

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالجسنى . فسنيسره لليسرى ..) [٥ ، ٧٦/٩٢] .

ثم يرجع الى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى تدل على أن الله علم بما يكون أنه يكون ، وكتبه ، وأنه قد كتب أهل الجنة ، وأهل النار ، وخلقهم فريقين ثم يذكر قوله تعالى : (فريقا هدى ، وفريقا حق عليهم الضلالة) [من الآية ٧/٣٠] وقوله : (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) [من الآية٧/٤٢] .

وغير هذا وذلك من الآيات والأحاديث ، ويختم(٦٦٩) الروايات فى القدر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل ، جعل للجنة أهلا وللنار أهلا) (اعاذنا الله منها) [ورد بصيغ أخرى : رواه البخارى قدر ٤ ثم يذكر دليلين ، آخرين يضمن فى كل منهما مجموعة من الآيات والأحاديث الشريفة التى تعتبر أسانيد وأدلة نصية لنفى القول بالقدر ثم يختم الباب بمسألة(٧٠١) يبين فيها أن الكافر عندما يفعل يبدو له أنه حسن غير قبيح بينما هو فاسد متناقض قبيح ومن هنا كان فاعل فعله هو الله سبحانه وتعالى .

١١ ـ باب الكلام فى الشفاعة والخروج من النار

يناقش الأشعرى الشفاعة(٧٠٢) ويرى أنها للمذنبين المرتكبين للكبائر وليس للمؤمنين المبشرين بالجنة . الموعودين بها .

---

٦٦٩ ـ أنظر صفحة ٢١٢ من النص .
٧٠٠ ـ أنظر من صفحة ٢١٥ ـ ٢١٨ من النص .
٧٠١ ـ أنظر صفحة ٢١٨ من النص .
٧٠٢ ـ أنظر صفحة ٢١٩ من النص .

ويزيد فيقول انما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقابا)(٧٠٣) ٠

ثم يذكر مسألة :

وهى فى معنى (٧٠٤) قوله تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) [من الآية ٢١/٢٨] فيؤكد قوله تعالى ٠ كما يؤكد ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أنه قال ان الشفاعة لأهل الكبائر وأن المذنبين يخرجون من الجنة إلينا /

١٢ ـ باب الكلام فى الحوض

يقول الأشعرى فى هذا الباب أن المعتزلة انكرت(٧٠٥) الحوض وهو يثبته لأنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكره(٧٠٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بين طرفيه ، يعنى الحوض ـ ما بين ايلة ومكة ، أو ما بين صنعاء ومكة وأن آنيته أكثر من نجوم السماء) [رواه البخارى رقاق ٥٤ ـ وورد الحديث بصيغ أخرى ٠

١٣ ـ باب الكلام فىعذاب القبر ٠

انكرت المعتزلة عذاب القبر(٧٠٧) وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تعوذوا بالله من عذاب القبر) ٠

كما رواه الصحابة وما نفاه أحد ، وهنا يستند الى اجماعهم واثبت ايضا قوله صلى الله عليه وسلم : (لولا أن تدافنو لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعنى) ٠ [رواه ابن حنبل ٥ : ١٢٣ ، ١٢٤ وله صيغ كثيرة ٠

وفى دليل آخر :

يثبت الأشعرى(٧٠٨) من قوله تعالى ما يؤكد عذاب القبر ٠ (سنعذبهم

---

٧٠٣ ـ أنظر صفحة ٢٢٠ من النص ٠
٧٠٤ ـ نفس المرجع السابق ٠
٧٠٥ ـ أنظر صفحة ٢٢١ من النص ٠
٧٠٦ ـ أنظر صفحة ٢٢٢ من النص ٠
٧٠٧ ـ أنظر صفحة ٢٢٣ من النص ٠
٧٠٨ ـ أنظر صفحة ٢٢٤ من النص ٠

مرتين) [من الآية ٩/١] كما يشير الى فرصة الشهداء عند ربهم · من أجل اثبات أن هناك عذاب للكفار ·

١٤ ـ باب الكلام فى امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ·

يثبت الأشعرى فى هذا الباب الأدلة السمعية التى تثنى على المهاجرين(٧٠٩) والأنصار والسابقين الى الاسلام ، وعلى أهل بيعه الرضوان ، بين هذه الآدلة قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى ، لا يشركون بى شيئا) · [من الآية ٢٤/٥٥] ·

كما يثبت الأشعرى أن القرآن نطق بمدح المهاجرين والأنصار (رضى الله عنهم أجمعين) ·

وبعد اثبات ذلك يقول بأن هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم هم الذين اجمعوا على امامة ابى بكر رضى الله عنه ·

ثم يثبت دليلا : آخر من الأدلة السمعية التى تشير الى من يجب قتالهم ومن يجب ألا يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم يبدلون كلامهم · وأن أبا بكر قد قاتل من كان على هذه الصفة : من أهل فارس أو أهل اليمامة أو الروم · كما يشير الأشعرى الى أنه اذا وجبت امامة عمر رضى الله عنه فقد وجبت امامة ابى بكر رضى الله عنه لأنه العاقد له الإمامة

دليل آخر من الاجماع ·

يثبت الأشعرى اجماع(٧١١) الصحابة على امامة ابى بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ·

ثم يشير الى رأى الرافضة(٧١٢) الذين يقولون : ان عليا هو المنصوص على امامته ، كما يشير الى رأى الراوندية التى تقول : (العباس هو المنصوص على امامته(٧١٣) ويثبت أن عليا والعباس كانا من بين الذين أجمعوا على

---

٧٠٩ ـ نفس المرجع السابق ·
٧١٠ ـ أنظر صفحة ٢٢٥ من النص ·
٧١١ ـ أنظر صفحة ٢٢٦ من النص ·
٧١٢ ـ أنظر صفحة ٢٢٧ من النص ·
٧١٣ ـ نفس المرجع السابق ·

امامة ابى بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ويبين أنه لا يجوز أن يقال : ان باطن على والعباس كان خلاف ظاهرهما والا لما صح اجماع أحد ٠

ثم يثبت بعد ذلك امامة الفاروق ثم عثمان رضى الله عنهما ومن بعدهما على رضى الله عنه ٠

فهؤلاء هم الأئمة المجمع على عدلهم وفضلهم رضى الله عنهم أجمعين وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ، ثم ملك يعد ذلك) ٠

كما يشير الى أن كل ما جرى من على والزبير وعائشة رضى الله عنهم فهو اجتهاد ٠ وقد شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة ٠ فدل على أنهم كانوا على حق فى اجتهادهم)(٧١٤) وكذلك ما جرى بين على ومعاوية رضى الله عنهما فهو عن تأويل واجتهاد ، وكل الصحابة أئمة مأمونون ثم أثبت أن (تعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم)(٧١٥) ٠

وبهذا انهى الكلام فى الباب ٠

وكان قوله فيه هو خاتمة الكتاب ٠

(التحقيق)

لقد اعتمدت فى تحقيق كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)(٧١٦) على أربع نسخ خطية : **احداها** : النسخة الموجودة ببلدية الاسكندرية وبياناتها الواردة فى فهرس البلدية كالآتى :

(البلدية ٣/٣٨١٢ ج ـ ٣٢ ق ـ ١٦ × ٢٢ سم) ٠

ورقمها بفهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية هو ٧٨ ، وهو الرقم الذى يشير الى عنوان كتاب باسم (التوحيد) الأمر الذى جعلنى

---

٧١٤ ـ أنظر صفحة ٢٣٠ من النص ٠

٧١٥ ـ نفس المرجع السابق ٠

٧١٦ ـ أنظر ما سبق وكتب عن الإبانة عن أصول الديانة) بهذا التقديم

ويلاحظ أن النسخ المطبوعة بها أخطاء فاحشة منها ما ورد بالنسخة المطبوعة بالمطبعة المنيرية بمصر حيث ورد بصفحة ٥٣ ما يلى : (ان بنى اسماعيل فى النار) مع هامش أنه هكذا فى الأصل ٠ الأمر الذى جعلنى لا أتخذها أصلا للمراجعة والتحقيق ٠

أعتقد فى البداية أنه ليس (الإبانة) ، ثم تبين بفحص النسخة المصورة لكتاب (التوحيد) هذا أنها نسخة لكتاب الإبانة وهى نسخة جيدة ، وقد اعتبرتها النسخة الأ م، لأنها تخلو من التقديم والتأخير المخلين بالمعنى ، وليس بها خروم ذات قيمة ، بخلاف النسخ الأخرى ، ولأن ناسخها كان يضبط الألفاظ الى حد كبير ؛ غير أنه يجب أن يلاحظ أن ما بها من زيادات فى حاجة الى المراجعة الدقيقة ، لإستبعاد ما علق به من عبارات مدسوسة • فقد ظهر ، رغم أن هذه الزيادات تؤكد بصفة عامة اتجاه السلف ، تصريحا يخالف هذا الاتجاه مثال ذلك ما ورد بصفحة٨١ لتفسيرالاستواء من أنه (بالقهروالقدرة) فهذا تصريح لا بد وأنه بيد أحد قراء المخطوط الميالين الى الاعتزال والذين هم فى نفس الوقت على جهل بحقيقة الأمور ، ويؤكد هذا ، تعليقة بصفحة ٨٢ نصها : (قف على هذا الباب ، فان المؤلف تسامح فى ايراده هذه العبارات ، فانها تدل على الجهات صريحا ، وعلى الجسمية ضمنا فتأمله) يدل الكلام هنا على أن صاحبه يتجه الى التنزيه المطلق الذى يقول به المعتزلة والذى ترتب عليه نفى الصفات ، على نحو ما بينا قبل ذلك • خاصة وأن الالتزام • باتجاه السلف فى هذه الزيادات واضح لكل فاحص مدقق •

ويلاحظ أننا لم نقع على تاريخ نسخ هذا الأصل بسبب انتهاء الميكروفيلم مباشرة بعد نهاية النص ـ كما أنه بدأ ببدايته •

وهى بخط معتاد ، وقد رمزت اليها بحرف (س) •

والثانيــة : النسخة الخطية الموجودة بمكتبة الأزهــر الشريف وهى نسخة بقلم معتاد سنة ١٣٠٨ هـ ضمن مجموعة فى مجلد مخطوط وتشغل من ورقة ١ الى ٧٤ ، يمين ويسار • ورقمها [٩٠٤ مجاميع] بخيت ٤٦٩٥٧ •

[أنظر فهرس المكتبة الأزهرية ج ٣ فن علم الكلام (توحيد) والنسخة تقترب كثيرا من نسخة ريڤان كوشيك ونسخة دار الكتب المصرية •

وقد ثبت فى آخر هذه النسخة عبارة تدل على تاريخ نسخ المخطوط ، وهو ألف وثلاثة وثمانية • أى أنها نسخت فى وقت متأخر الى حد ما بالنسبة للفترة التى كان فيها الأشعرى •

اذ يرد عقب نهاية الكتاب ما يلى :

(هذا آخر كتاب الإبانة عن أصول الديانة) للشيخ الامام ابى الحسن ابن اسماعيل الأشعرى رضى الله عنه • وكان الفراغ من كتابته : يوم الأحد المبارك الموافق خمسة من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وثمانية ،

صلى الله على أعظم مولود وسلم وهو النبى القرشى خلاصة هاشم وعلى آله وأصحابه الأكارم • وقد كتبه العبد لربه المتوسل بجاه النبى العدنانى محمد محمد الحميدانى خبر الله كسر فؤاده وجمله وأحسن أحواله وبلغ من كل خير آماله ، هذا وأنى أرجوك ألا تعرض على فى بعض الهوامش التى قيدتها لتصحيح هذه النسخة فانى قصدت وجه الله تعالى ، فان وافقك شىء منها فخذه واترك غيره والعذر لى) [ل ٧٤ ى] فتاريخ نسخها هو ١٠٨٣ هـ/١٦٩٤ م •

ويوجد بهذه النسخة رغم وضوح خطها مسائل سقطت(٧١٧) من حسبان ناسخها أو لعلها كانت أيضا أى هذه الخروم فى الأصل القديم الذى نقل عنه الناسخ ولم يذكره •

وقد رمزت الى هذه النسخة بحرف (ز) •

والثالثة : النسخة الخطية الموجودة بمكتبة ريڤان كوشيك وبياناتها كالآتى : ٥١٠ (من ١ ــ ١٢٦ ، ١٠٨٤ هـ) •

واللوحة الأولى من النسخة المصورة مكتوب عليها : 510 Revan page : 1 — 26 ــ ومسطرته ١٤ × ٣٣ •

أما اللوحة الثانية فقد كتب فى اعلاها وبخط نسخ كبير : (أصول مجموع فى الدين) وفى الجانب الأعلى والأيسر للوحة ورد ما يلى :

(من كتب الفقير اسماعيل عثمان باشا سنة ١١٥٤ شهر شوال) •

وتحت هذه العبارة دائرة بداخلها الآية الكريمة :

(الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ومن تحتها وبداخل نفس الدائرة : عبارة : (صدق الله العظيم) مكتوبة بطريقة زخرفية ، وأسفل هذه الدائرة وعلى يسار اللوحة أيضا ورد :

(مجموعة رسائل فى العقائد)

ثم نجد وسط اللوحة وأسفل العنوان السالف الذكر وهو : (اصول مجموع فى الدين) ما يلى :

(الإبانة لابى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى •

(أصول السنة لأبى عبد الله محمد بن ابى زمنين المالكى •

---

٧١٧ ــ أنظر مثلا هامش (٥ ــ ٥) بصفحة ١٦٦ من هذا النص •

(صريح السنة) لأبى حيو محمد بن جرير الطبرى ٠

الرد على الزنادقه والجهمية) للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ٠

(الرد على الجهمية) تأليف ابى عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى ابن مندة الحافظ ٠

كتاب الصفات لأبى الحسن الدار قطنى ٠ كتاب أحاديث النزول للدار قطنى — الأربعين فى دلائل التوحيد جمع ابى اسماعيل عبد الله ابن أحمد ابن على بن مت الأنصارى لأهل الثغر بباب الأبواب للأشعرى ٠

ويتبين من هذا أن نسخة الإبانة وردت ضمن مجموعة فى أصول العقائد وأن ترتيبها فى المجموعة : الأولى ٠

ثم وردت نبذة عن اسم ابى الحسن الأشعرى وتاريخ مولده وتاريخ موكان وفاته ٠ وهى :

(ولد أبو الحسن الأشعرى واسمه على بن اسماعيل بن على بن بشر الأشعرى فى سنة ستين ومائتين وتوفى فى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة تمت ٠

ويبدأ الكتاب فى اللوحة التالية على النحو التالى :

بسم الله الرحمن الرحيم — قال السيد الإمام ابو الحسن ٠٠٠٠٠

وكل لوحة من لوحات النسخة المصورة تنقسم الى يمين ويسار ، مما يجعل مجموع صفحات المخطوط ٥٣ صفحة ٠

وينتهى الكتاب فى اللوحة الأخيرة بالآتى :

(ثم الكتاب المبارك ، وكان الفراغ منه فى يوم الثلاثاء المبارك من شهر الحرام افتتاح سنة ألف وأربع وثمانين بعد الهجرة النبوية على صاحبه أفضل الصلاة والسلام والحمد لله على الختام والتمام) ٠

ثم ترد العبارة التالية ٠

(ويتلوه ان شاء الله تعالى) أصول السنة لأبى عبد الله محمد ابى زمنين ٠٠٠٠)

وهو الكتاب الثانى فى المجموعة ٠

وهذه النسخة تقترب كثيرا من نسخة الأزهر ودار الكتب المصرية ، كما أشرنا ٠ وهذا يتبين من واقع التحقيق اذ كثيرا ما تشترك فى الزيادة والنقص ٠

وقد رمزت الى هـذه النسخة بحرف (ك) ٠

وتاريخ نسخها سنة ١٠٨٤ هـ وهو يطابق تقريبا تاريخ نسخ النسـخة الثـانية ٠

اما الرابعة : وهى النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٧ عقائد تيمور ٠ ويوجد بالصفحة الأولى ختم وقف أحمد بن اسماعيل بن محمد تيمور بمصر سنة ١٣٢١ هـ وكتب فوق الختم رقم المخطـوط ومادته ٠ اذ نجد العبارة التالية : (عقائد تيمور ١٠٧) ٠

ويسبق كتاب الإبانة : رسالة فى الذب عن الأشعرى لأبى القسم عبد الملك بن عيسى ابن درباس (من صفحة ١ الى ١٤) ٠ يؤكد فيها الاتجاه الذى ارتضاه الأشعرى لنفسه وهو اتجاه السلف الصالح ٠

يلى ذلك كتاب الإبانة الذى يشغل من صفحة ١٥ الى ١٥٣ ٠ وهو بخط واضح جميل ومسطرته ١١/١٧ ٠

ونجد عقب انتهاء النص كلاما للناسخ يذكر فيه تاريخ انتهاء نسخه للكتاب وهو : السبت المبارك فى الحجة سنة ٣٠٧ هـ/٧١٨ م وهـذا تاريخ متقدم جدا ويقع فى حياة الأشعرى ٠

ولمـا كان ورق المخطوط ليس قديما والخط لا يمثل أسلوب أهل القرن الرابع الهجرى فى الكتابة فأمامنا فرضان :

الأول : أن تكون النسخة التى بين أيدينا قد نقلها ناسخها عن نسـخة قديمة جدا بهذا التاريخ وتكون بالتالى من أهم الأصـول الخطية لـكتاب الإبانة لأنه عن نسخة وجدت فى عصر الأشعرى نفسه ، وهـذا جائز لأننـا انتهينا ، عند دراستنا للترتيب الزمنى لمصنفاته الى أن الإبانة من أوائل كتبه بعد خروجه عن الاعتزال ، لأن بها أصول المذهب ٠

والثـانى : أن يكون ناسخ الكتاب قد سقط منه رقم ١ الدال على الألف بعد الثلاثمائة وسبعة ٠ ويكون بالتالى قد نسخ ١٣٠٧ هـ/ ١٩١٨ م ٠

وهـذا القرض الثانى هو الأرجح ، وقد رمزت اليها بحرف (د) ٠

وبمقابلة هذه الأصول تبين لى أن نسـخة مكتبة الأزهر الشريف التى رمزت اليها بـ (ز) ونسخة مكتبة ريفان كوشيك (ك) ونسخه دار الكتب المصرية (د) تتقارب جميعا من ناحية سياق النص : فالفروق بينها قليلة ،

وذلك بخلاف نسخه بلدية الاسكندرية التى رمزت اليها بـ (س) والتى تخلو من الخروم التى تمثل فى النسخ الثلاث الأخرى فقرات كاملة فى بعض الأحيان ٠

غير أنه فيما عدا هـذه الفقرات ، فالنسـخ جميعا لا تختلف كثيرا من ناحية المعنى ٠ فكل منها تحتوى على مسائل الكتاب متسلسلة على التوالى ٠

ولـما كان الكتاب حافلا بالآيات الـكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ٠ فقد أثبت ترقيم كل آية ، عقبها مباشرة داخل معقوفتين هكذا : [ ] وخرجت الأحاديث معتمدة على (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى) عن كتب السنة ، وعن مسند الدارمى وموطأ مالك وسند ابن حنبل د ٠ ا ٠ ى فنسنك أستاذ ليدن سنة ١٩٣٦ ٠

وكذلك أرجعت الأشعار الى من تغنى بها مثـل امرؤ القيس والخنسـاء وقمت بترقيم الأبواب التى يصل عددها الى أربعـة عشر بابا ، كمـا قمت بترقيم فقرات الكتاب وفصوله ومسائله التى يصل عددها الى ٢٣٥ فقرة ٠

وقد صححت الأخطاء الإملائية دون الإشارة اليها جميعا ٠

كما حرصت على أن أنبه الى اختلاف صياغة بعض العبارات بأن وضعت هذه العبارة بين رقمين مكررين الأول عند بدايتها والآخر عند نهايتها هكذا : (٢٠٠٠٢) ؟ وأشرت اليها فى الهامش هكذا : (٢ ــ ٢) كما أثبت فهارس الكتاب والآيات والأحاديث والأشعار وأسماء الرجل والأماكن والموضوعات ٠

هـذا وأرجو أن أكون ، بمـا قمت به من مجهود فى تحقيق هـذا الكتاب والتقديم له والتعليق عليه ، قد أضفت جهداً جديداً الى المكتبة العربية مكتبـة التراث العربى القديم ٠

والله سبحانه وتعالى هو الموفق للصواب

فوقية حسين محمود

مصر الجديدة فى { رمضان ١٣٩٣ هـ / أكتوبر ١٩٧٣ م

فهرس الموضوعات

ملحـــوظة :

يلاحظ أن رقم صفحات التصدير والتقديم يرد أعلا الصفحات ، أما رقم صفات النص والتعليقات فيرد فى أسفل الصفحات .

التصـــــدير ٥
التقـــــديم ٩

سـيرة أبى الحسن الأشعرى :

اســـمه ٩
كنيتـــــه ١٠
مـــولده ١٣
بيئتـــه الخـاصة ١٤
بيئتـــه العـــامة ٢٠
أطوار حيـاته ٢٨
الأول ٢٩
الثـــانى ٣٠
الثـــالث ٣٤
وفاتـــه ٣٦
مدفنـــــه ٣٧
مصـــنفاته : ٣٨
تمهيـــــد ٣٨
أولا : قائمة ابن فورك مع اثبات تعليقات الدارسين والتعقيب عليهـــا ٤١
القسم الأول من قائمة ابن فورك ، حتى سنة ٣٢٠ هـ ـ ٩٣٥ م ٤١
القسم الثانى من قائمة ابن فورك من سنة ٣٢٠ هـ ـ ٩٣٥ م الى ٣٢٤ هـ ـ ٩٣٩ م ٦٤
ما استدرك به ابن عساكر على قائمة ابن فورك ٧٢
ثانيا ـ التعريف بمصنفاته التى لها نسخ بين أيدينا ٨٠
(أ) المخطوط منهـا ٨١
(ب) المطبـــوع منهـــا ٨٥
التصنيف الزمنى وقائمة ابن فورك ٩٠
منهج الأشـــعرى ٩٢
أولا ـ حقيقة كل من وقفنى السلف والمعتزلة ٩٣
وقفة السلف من النصوص المنزلة ٩٣
ابن حنبـــل ... ... ى ٩٣
الجهميـــة والمعتزلة ١٠٦
الأصول الخمســة ١٠٦
ثانيا ـ موقف الأشـعرى ١١٠
التحليـــل : ١٣٤
التحقيـــق : ١٨٧